مجموعة

قصص وأخبار

من صحيح السنة والآثار

الرسالة الثانية

قصص إسلام الصحابة

تأليف
أ. د. عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين
الأستاذ بكلية المعلمين بالرياض

الدرس الأول

أخبار إسلام أم المؤمنين خديجة
وابن عمها ورقة بن نوفل – رضي الله عنهما –

١ – عن عروة بن الزبير – رضي الله عنهما – قال : حدثني جار لخديجة بنت خويلد ، أنه سمع النبي ... وهو يقول لخديجة : « أي خديجة ، والله لا أعبد اللات ، والله لا أعبد العزى أبداً » قال : فتقول خديجة : خلِّ اللات ، خلِّ العزى[1] . قال : كانت صنمهم التي كانوا يعبدون ، ثم يضطجعون[2] .

٢ – وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : أول ما بدىء به رسول الله ... من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء[3] ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنَّث فيه – وهو التعبد الليالي ذوات العدد – قبل أن ينزع إلى أهله[4] ، ويتزود لذلك[5] ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق[6]، وهو في غار حراء .

فجاءه الملك[7] ، فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء[8] ، قال : فأخذني فغطني[9] حتى بلغ مني الجهد[1] ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا

(١) الأقرب أن هذا قبل البعثه . ينظر حاشية السندي على المسند ٤٦٧/٢٩ .
(٢) رواه الإمام أحمد (١٧٩٤٧) وإسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيحين ، سوى جار خديجة ، وهو صحابي ، وجهالته لا تضر .
(٣) الخلاء : الخلوة والاعتزال عن الناس .
(٤) أي قبل أن يرجع إلى أهله ... .
(٥) أي أنه ... كان يأخذ الزاد إذا أراد أن يذهب للخلوة للتعبد .
(٦) أي حتى نزل عليه الوحي .
(٧) وهو جبريل عليه السلام .
(٨) أي لا أحسن القراءة .
(٩) أي ضمّه وضغطه .

بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني[٢] ، فقال :

ÇÊÈ t,n=yz “Ï%©!$# y7În/u‘ ÉOó™$$Î/ ù&u•ø%$# } y7š/u‘ur ù&u•ø%$# ÇËÈ @,n=tã ô`ÏB z`»|¡SM}$# t,n=yz ÇÌÈ ãPu•ø.F{$# { [العلق: ١ - ٣] .

فرجع بها رسول الله ... يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني[٣] ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع[٤] ، فقال لخديجة ، وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي[٥] .

فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكَلّ[٦] ، وتكسب المعدوم[٧] ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق[٨] ، فانطلقت به خديجة ، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك .

فقال له ورقة : يا ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ... خبر ما

---

(١) المراد : حتى بلغ الغط مني الغاية والمشقة .

(٢) قال النووي في شرح مسلم : ﴿ قال العلماء : والحكمة في الغط شغله من الالتفات ، والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقوله له ، وكرره ثلاثاً مبالغة في التنبيه ، ففيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه . وا÷ أعلم ﴾ .

(٣) أي غَطُّوني .

(٤) أي الفزع والخوف .

(٥) مال الحافظ ابن حجر في الفتح إلى أنه ... خاف من الموت أو المرض من شدة الرعب والخوف .

(٦) أي تساعد كل من حصل له ما يثقله من فقر أو كثرة عيال ، أو يتم ، وذلك بالإنفاق عليهم .

(٧) أي تعين الفقير ، وذلك بأن تكسبه المال ، فتعطيه المال تبرعاً .

(٨) النوائب : جمع نائبة ، وهي الحادثة . وهذه الجملة تجمع جميع ما تقدم وما لم يتقدم من مكارم الأخلاق وخصال الخير .

رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس[١] الذي نزّل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً[٢] ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قوم ، فقال رسول الله ... : أو مخرجيَّ هم ؟ قال : نعم ، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً[٣] ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي[٤] . رواه البخاري ومسلم[٥] .

٣ – وعن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – قال : سئل النبي ... عن أبي طالب ، هل تنفعه نبوتك ؟ قال : « نعم ، أخرجته من غمرة جهنم إلى ضحضاح[٦] منها » .

وسئل عن خديجة – لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن – فقال : « أبصرتها على نهر من أنهار الجنة ، في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب » .

وسئل عن ورقة بن نوفل . قال : « أبصرته في بطنان[٧] من الجنة ، عليه سندس » .

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل ، فقال : « يبعث يوم القيامة أمة وحده بيني وبين عيسى » . عليهما السلام[٨] .

---

(١) الناموس في اللغة : صاحب سر الخير ، ويقابله : الجاسوس ، وهو صاحب سر الشر.
والمراد هنا : جبريل عليه السلام ، سمي بذلك لأن ا÷ تعالى خصه بالوحي .
(٢) أي : شاباً قوياً حتى أبالغ في نصرتك .
(٣) أي : قوياً .
(٤) أي لم يلبث إلا وقتاً قليلاً حتى توفي ، وتوقف نزول القرآن فترة من الزمن .
(٥) صحيح البخاري : بدء الوحي (٣) ، والتفسير (٤٩٥٣) ، وصحيح مسلم : الإيمان (١٦٠) .
(٦) قال في النهاية (مادة : ضحضح) : « الضحضاح في الأصل : ما رق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين ، فاستعاره للنار » .
(٧) البطنان : جمع بطن ، وهو وسط الشيء أو أصله ، والمراد من دواخل الجنَّة . ينظر النهاية (مادة : بطن) .
(٨) رواه أبو يعلى (٢٠٤٧) وفي سنده مجالد ، وفيه ضعف ، وقال الهيثمي ٤١٦/٩ : « فيه مجالد ، وهذا مما مدح من حديث مجالد ، وبقية رجاله رجال =

الفوائد والعبر :

١ – فضل خديجة رضي الله عنها ، ورباطة جأشها ، وصواب رأيها ، وفراستها ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ‹‹ خير نساء أهل الجنة أربع : مريم بنت عمران ، وفاطمة بنت محمد ... ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية امرأة فرعون ››[١] ، وثبت أيضاً عنه ... أنه قال : ‹‹ خير نسائها – أي هذه الأمة – خديجة بنت خويلد ›› متفق عليه[٢] .
٢ – أن من اتصف بالأخلاق الفاضلة وحرص على مساعدة إخوانه المحتاجين حري بأن يوفق للخير ، وفي الحديث عن النبي ... قال : ‹‹ والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ›› . رواه مسلم[٣] .
ولذلك ينبغي للمسلم أن يحرص على مساعدة المحتاجين والصدقة على المساكين واليتامى والأرامل ، سواء كان ذلك بالمال أو بقضاء حوائجهم ، أو بمساعدتهم على قضائها .
٣ – فضل الزوجة الصالحة العاقلة ، وأنها خير معين لزوجها – بعد الله تعالى – على تحمل الصعاب .
٤ – أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على الاستشارة في الأمور المهمة .
٥ – أنه ينبغي له أن يحرص على استشارة أصحاب الرأي السديد من أهل الصلاح والخبرة ، الذين يحرصون على مصلحة من استشارهم ، فيشيرون عليه بما يرون أنه خير له وللمسلمين .
وفي المقابل ينبغي أن لا يستشير من عصى الله تعالى وجعل همه الدنيا ؛ لأنه لو كان له رأي سديد لما آثر الدنيا القصيرة الفانية على الآخرة

الصحيح ›› ، ولكل فقرة من فقراته شواهد ، فهو صحيح بشواهده ، ينظر صحيح البخاري
= (١٧٩٢، ٣٨١٦، ٣٨٢٠، ٦٢٠٨) ، وصحيح مسلم (٢٠٩، ٢٤٣٢ – ٢٤٣٤) ، ومسند أبي يعلى (٩٧٣) .
(١) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٣٣٦ – ١٣٣٩) بأسانيد صحيحة ، وصححه الحافظ في الفتح (١٣٥/٧) .
(٢) صحيح البخاري (٣٨٦٥) ، وصحيح مسلم (٢٤٣٠) .
(٣) صحيح مسلم (٢٦٩٩) .

الطويلة الباقية ، ولم يفكر فيما ينجيه من أهوالها ، فشابه من قال الله فيهم :
} žcÎ) ÏäIwàs¯»yd tbq™7Ïtä† s's#Å_$yèø9$# tbrâ‘x‹tƒur öNèduä!#u‘ur $YBöqtƒ Wx‹É)rO{ [الإنسان: ٢٧] .

وأيضاً لو كان للعاصي رأي سديد لما عصى الله تعالى وهو يعلم أن المعصية سبب لإحراقه بالنار ، وحرمانه من الجنة ، وفي صحيح البخاري عن النبي ... أنه قال : « كل أمتي يدخلون الجنة ، إلا من أبى » قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى »[1] ، كما أن العاصي ربما يحمله فسقه على الحسد لمن استشاره ، أو يحمله فسقه على أن يشير عليه بأي رأي يخطر بباله دون نظر في مصلحة من استشاره ، أو يشير عليه بما فيه مضرة للآخرين ، أو معصية لله تعالى .

وكذلك لا يستشير الأحمق الذي يضع الأمور في غير موضعها ، فيشير عليه بما يضره ، وهو يريد أن ينفعه .

٦ – فضل ورقة بن نوفل ، وأنه من المؤمنين الموحدين ، المشهود لهم بالجنة .

٧ – أن من سنة الله في هذا الكون وجود الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل ، بين الأنبياء وبين أعدائهم من المشركين ، وبين أتباع الأنبياء من الدعاة والمصلحين ، وبين أعدائهم من الكفار والفساق والمنافقين ، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتحلى بالصبر والحكمة ، وأجره على الله .

٨ – أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على مناصرة الأنبياء ، وذلك بالدعوة إلى طريقتهم ، وبمناصرة الدعاة إلى الله تعالى والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، بشتى الوسائل التي يمكنه القيام بها ، وأن يحذر من أن يسلك طريق الكفار والمنافقين والفساق في إيذاء الدعاة إلى الله تعالى سواء أكان ذلك بالقول أم بغيره[2] . والله أعلم .

---

(١) صحيح البخاري (٧٢٨٠) .

(٢) ينظر في شرح قصة إسلام ورقة وبيان بعض فوائدها : شرح مسلم للنووي ١٩٧/٢ – ٢٠٤ ، جامع الأصول : الوحي ٢٧٩/١١، ٢٧٨ ، فتح الباري ٢٢/١ – ٢٧ ، و٧١٦/٨ – ٧٢١ ، الفتح الرباني : السيرة ٢٠٧/٢٠، ٢٠٨ .

٩ – فضل زيد بن عمرو بن نفيل ، وأنه كان من الموحِّدين ، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده .

١٠ – أن الفضل لا يكون بالنسب ، وإنما بالإيمان والتقوى .

١١ – أن الهداية بيد الله يهبها لمن يشاء ، ولهذا لم يستطع النبي … هداية عمه أبي طالب إلى الإسلام ، لأن الله لم يكتب له ذلك[١] .

١٢ – إثبات شفاعة النبي … لعمه أبي طالب يوم القيامة، فيخفف عنه العذاب من أجل شفاعته ، ولكنه لا يخرج من النار .

---

(١) ينظر كلام الحافظ ابن القيم الآتي عند بيان فوائد قصة سلمان الفارسي – رضي ا ÷ عنه – إن شاء ا ÷ تعالى .

الدرس الثاني

أخبار إسلام أفضل هذه الأمة بعد نبيها ...
وهو أبو بكر الصديق – رضي الله عنه –

٤ – عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال : كنت جالساً عند النبي ... ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي ... : « أما صاحبكم فقد غامر »[(١)] ، فسلَّم ، وقال يا رسول الله : إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه[(٢)] ، ثُمَّ ندِمْتُ ، فسألْته أن يغفر لي ، فأَبى عَلَيَّ ، فأقبلت إليك ، فقال النبي × : « يغفر الله لك يا أبا بكر » ثلاثاً ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر فسأل : أَثَمَّ أبو بكرٍ ؟ فقالوا : لا ، فأتى إلى النبي ... ، فسلَّمَ عليه ، فجعل وَجْهُ النبي يَتَمَعَّرُ حتى أشفق أبو بكر[(٣)] ، فجثا على رُكْبَتَيْهِ ، فقال : يا رسول الله والله أنا كنت أظلم ، مرتين ، فقال النبي ... : « إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ » مرتين ، فما أُوذِيَ بعدها . رواه البخاري[(٤)] .

٥ – وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه سئل : من أول من آمن بالنبي ... : فقال : أول من آمن به أبو بكر ، أما سمعت قول حسان :

---

(١) أي خاصم . والمعنى دخل في غمرة الخصومة .
(٢) أي أغضبته .
(٣) أي أحمر وجه النبي ... من الغضب حتى خشي أبو بكر أن يصيب عمر من رسول ا÷ ... ما يكره .
(٤) صحيح البخاري (٣٦٦١) . قال الحافظ ابن كثير في البداية ٦٩/٤ ، ٧١ : « وهذا كالنص على أنه أول من أسلم – رضي ا÷ عنه – ... وهو المشهور عن جمهور = أهل السنة » . ثم ذكر أقوالاً عن بعض أهل العلم في ذلك ثم قال ٧٣/٤ : « وقد أجاب أبو حنيفة بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن الغلمان علي بن أبي طالب رضي ا÷ عنهم أجمعين » وينظر الفتح ٢٤/٧، ١٧٠ .

إذا تذكَّرتَ شجواً[١] من أخي ثقة	فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أوفاها وأعدلها	بعد النبي وأولاها بما حملا
والتالي الثاني[٢] المحمود مشهدُه	وأول الناس منهم صدق الرسلا
عاش حميداً لأمر الله متبعاً	بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا[٣]

٦ – وعن عمار بن ياسر – رضي الله عنه – قال : رأيت رسول الله ... وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر . رواه البخاري[٤] .

الفوائد والعبر :

١ – أن أبا بكر رضي الله عنه هو أفضل الصحابة – رضي الله عنهم – .

٢ – أنه ينبغي للمسلم المبادرة إلى الاعتذار ممن أخطأ عليه وأن يحذر من التسويف في ذلك ، ومثله من وقع في معصية من معاصي الله تعالى ، فيجب عليه أن يبادر إلى التوبة منها .

٣ – أن من كانت له سوابق حسنة كثيرة ينبغي أن تغتفر زلاته اليسيره .

٤ – أن العفو والصفح عن زلات الآخرين خلق إسلامي رفيع اتصف به أصحاب النبي ... .

٥ – أن اعتراف المسلم بخطئه وطلب العفو عنه ممن أخطأ عليه فضيلة من الفضائل وخلق كريم لا يتصف به إلا أهل العدل والإنصاف .

(١) الشجو : الحزن .

(٢) أبو بكر – رضي ا÷ عنه – هو التالي للنبي ... حيث تولى الخلافة بعده ، وهو ثاني اثنين إذ هما في الغار .

(٣) أي لم يترك سنة النبي ... وطريقته ، بل سار عليها . وهذا الأثر رواه ابن أبي شيبة (١٨٤٣٣) ، ويعقوب ٣/٢٦٣ ، والطبري في تاريخه ٢/٣١٤ من طريقين يقوي أحدهما الآخر عن ابن عباس به ، فهو حسن لغيره .

(٤) صحيح البخاري : مناقب الأنصار ، باب إسلام أبي بكر (٣٨٥٧) .

٦ – أن وقوع الخطأ من أهل الفضل لا يقدح في فضلهم ، فكل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون .

٧ – أنه يستحب للجليس أن يلاحظ ويراعي حال جليسه ومن يخاطبه وما يظهر على وجهه من تغير فرح أو حزن أو غضب ، ولهذا لاحظ أبو بكر – رضي الله عنه – تغير وجه النبي ... ، وعمل على إيضاح الأمر الذي كان سبباً في تغير وجهه عليه الصلاة والسلام .

٨ – أن الركبة ليست من العورة ، وإنما هي نهاية العورة ، لأن عورة الرجل التي يحرم عليه أن يظهرها أمام الآخرين هي من السرة إلى الركبة .

٩ – جواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان في ذلك مصلحة وأمن على الممدوح من العجب أو الاغترار بهذا المدح[١] .

* * *

(١) ينظر الفتح ٧/٢٦ .

الدرس الثالث

أخبار إسلام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –

كان عمر رضي الله عنه صنديداً من صناديد قريش[١] ، وكان في أول أمره مبغضاً للإسلام ، مؤذياً لرسول الله ... وللمسلمين .

٧ – فهذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحكي بعض أذاه قبل أن يسلم لرسول الله ... ، ولبعض المسلمين ، فيقول : كنت من أشد الناس على رسول الله ... ، فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة ، في بعض طريق مكة إذ لقيني رجل من قريش ، فقال : أين تريد يا ابن الخطاب ؟ فقلت : أريد التي ، والتي ، والتي[٢] . قال : عجباً لك يا ابن الخطاب ممن تزعم أنك كذلك ، وقد دخل عليك الأمر في بيتك[٣] . قلت : وما ذاك ؟ قال : أختك قد أسلمت . قال عمر : فرجعت مغضباً حتى قرعت الباب ، وقد كان رسول الله ... إذا أسلم الرجل والرجلان ممن لا شيء له ضمهما رسول الله ... إلى الرجل الذي في يده السعة فينالان من فضل طعامه ، وقد كان ضم إلى زوج أختي رجلين ، فلما قرعت الباب قيل : من هذا ؟ قلت : عمر بن الخطاب . فتبادروا فاختفوا مني ، فقامت أختي تفتح الباب . فقلت : يا عدوة نفسها ، أصبوت ؟ وضربتها بشيء في يدي على رأسها ، فسال الدم ، فلما رأتِ الدم ، بكت ، فقالت : يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل ، فقد صبوتُ[٤] .

---

(١) كانوا يطلقون في الجاهلية على من يجمع بين الشجاعة والمال ﴿ صنديداً ﴾ .

(٢) جاء في بعض روايات هذا الخبر أن عمر خرج يريد قتل النبي ... .

(٣) أي عجباً لك ، تزعم أنك تريد قتل محمد وهو من بني هاشم ، وتترك من على دينه من أقاربك .

(٤) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٣٧٦) وغيره ، وفي إسناده إسحاق الحنيني ، وأسامة بن زيد بن أسلم ، وفي كل منهما ضعف ، وله شاهد من مرسل محمد بن زيد بن عبدا÷ بن عمر ، رواه ابن عائذ في مغازيه كما في السيرة لابن =

٨ – وهذا صهره وابن عمه سعيد بن زيد رضي الله عنه يحكي بعض أذاه له ولأخته فاطمة بنت الخطاب ، فيقول : لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته ، وما أسلم . رواه البخاري[1] .

ولشدة عداء عمر رضي الله عنه للإسلام وأهله وأذاه لهم كان المسلمون يستبعدون إسلامه :

٩ – فعن عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أمه ليلى قالت : كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا ، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة ، أتى عمر بن الخطاب ، وأنا على بعيري ، وأنا أريد أن أتوجه ، فقال : أين يا أم عبدالله ؟ فقلت : آذيتمونا في ديننا ، فنذهب في أرض الله حيث لا نؤذى ، فقال : صحبكم الله ، ثم ذهب ، فجاء زوجي عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رقة عمر ، فقال : ترجين أن يسلم ؟ والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب[2] .

ثم إن النبي ... دعا لعمر بن الخطاب :

١٠ – فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله

سيد الناس ١٦٢/١ ، وهو حسن الإسناد ، وله شاهد ثان من مرسل الزهري عند عبدالرزاق (٩٧١٨) بإسناد صحيح ، وله شاهد ثالث من حديث أنس عند ابن سعد (٢٦٧/٣) ورجاله ثقات ، عدا القاسم بن عثمان وهو « ضعيف » كما في الميزان واللسان . وله شواهد أخرى كثيرة تنظر في السيرة الذهبية رقم (٤١٩) .

وبالجملة فهذا الخبر حسن بشواهده ، ولم أسقه بتمامه لأن ما ذكر فيه من إسلام عمر بعد ضربه لأخته مباشرة يخالف حديث سعيد بن زيد الآتي بعده ، ولعله من أجل ذلك قال الذهبي في « الميزان » في ترجمة القاسم بن عثمان « منكر جداً » ، ومما يؤيد عدم ثبوت آخر هذا الخبر عدم ذكر الزهري له في مرسله السابق .

(١) صحيح البخاري : مناقب الأنصار (٣٨٦٢، ٣٨٦٧) .

(٢) رواه ابن إسحاق : إسلام عمر ص١٦٠ ، ومن طريقه ابن هشام ٣٤٢/٢ ، والطبراني ٢٩/٢٥ ورجاله حديثهم لا ينزل عن درجة الحسن ، عدا عبدالعزيز بن عبدا÷ بن عامر ، فلم يوثقه سوى ابن حبان ، وينظر لسان الميزان ، وتعجيل المنفعة . وقد صحح هذا الأثر الهيثمي في المجمع ٢٤/٦ ، وحسنه الدكتور وصي ا÷ في تعليقه على فضائل الصحابة ٢٧٩/١ .

... : ﴿ اللهم أعز الإسلام بأحبّ هذين الرجلين إليك : بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب ﴾ فكان أحبهما إلى الله – عز وجل – عمر بن الخطاب[١] .

ثم إنه حصل موقف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع فيه القرآن ، فبهره ببلاغته وإعجازه ، فعلم أنه من كلام الله تعالى ، وأنه ليس بقول بشر ، فأسلم بعد سماعه له :

١١ – فعن عمر رضي الله عنه قال : ﴿ خرجت أتعرض رسول الله ... قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أعجب من تأليف القرآن ، قال : فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش ، فقرأ :

uqèd $tBur ÇÍÉÈ 5OƒÍ•x. 5Aqß™u‘ ãAöqs)s9 ¼çm¯RÎ) }
. { sè?ﷲtbqãZÏB $¨B Wx‹Ï=s% 4 9•Ïã$x© ÉAöqs)Î/

قلت : كاهن . قال : } Ÿwur ÉAöqs)Î/ 9`Ïd%x. 4 Wx‹Ï=s% $¨B
ÇÍÌÈ tûüÏHs>»yèø9$# Éb>§‘ `ÏiB ×@ƒÍ”\s? ÇÍËÈ tbrã•ª.x‹s?
ÇÍÍÈ È@ƒÍr$s%F{$# èt/ﷲuÙ $sYø‹n=tã tA§qs)s? öqs9ur
èsÜs)s9ﷲ$uZ §NèO ÇÍÎÈ ÈûüÏJu‹ø9$$Î/ ZÏBﷲçm $tRõ‹s{{
>‰tnr& ô`ÏiB Oä3ZÏB $yJsù ÇÍÏÈ tûüÏ?uqø9$# ZÏBﷲçm
ÇÍÐÈ tûüiÍ“Åf»xm Ztãﷲçm { [الحاقة: ٤٠ - ٤٨] إلى آخر السورة .

قال : فوقع الإسلام من قلبي كل موقع ﴾[٢] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٩٥/٢) ، والترمذي (٣٦٨١) ، وابن حبان (الإحسان ٦٨٨١) . بإسناد حسن .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١٧/١، ١٨) عن أبي شريح ، عن عمر. وإسناده صحيح مرسل. وينظر المجمع (٦٢/٩) .

وله شاهد بنحوه من حديث جابر رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الأوائل ١٠٣/١٤ ، رقم (١٧٧٢٨) وإسناده ضعيف ، وله شاهد آخر من مرسل الزهري عند عبدالرزاق (٩٧١٨) بإسناد صحيح ، وله شاهد ثالث بنحوه رواه ابن إسحاق ، كما في السيرة لابن هشام ٣٤٦/٢ ، ومن طريقه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٣٧٤) قال ابن إسحاق : حدثني عبدا÷ بن أبي نجيح المكي ، عن أصحابه : عطاء ومجاهد ، أو عمن روى ذلك أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أن كان يقول ... فذكره .

وبالجملة : الرواية الأولى ضعفها ليس قوياً ، فتتقوى بالروايات التي بعدها .

١٢ – وعن عبدالله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – قال:
لمَّا أسلم عمر قال : أي قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر الجمحي ، فغدا عليه[١] . قال عبدالله : وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت .
حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أني أسلمت ، ودخلت في دين محمد ... ؟ .
قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه[٢] واتبعه عمر ، واتبعته أنا ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، وهم في أنديتهم[٣] حول الكعبة . ألا إن ابن الخطاب قد صبأ .
قال : يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكني أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وثاروا عليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه ، حتى قامت الشمس على رؤوسهم ، قال : وطلح فقعد ، وقاموا على رأسه[٤] وهو يقول : إفعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا .
قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص مُوَشًّى[٥] ، حتى وقف عليهم . فقال : ما شأنكم به ؟ فقالوا : صبأ عمر . قال : فمه[٦] ، رجلٌ اختار لنفسه أمراً فما تريدون ؟ أترون بني

---

(١) أي أن عمر رضي ا÷ عنه لما أسلم أراد أن يشهر إسلامه ويعلنه ، فبحث عن أكثر قريش إعلاناً للأخبار ، فدلوه على جميل ، فذهب إليه عمر في الغداة – وهي الصباح – فأخبره .
(٢) أي أن جميل بن معمرة لما كلمه عمر لم يرد على عمر ، وإنما قام مباشرة ليخبر بإسلام عمر .
(٣) أي في مجالسهم .
(٤) أي أنهم لما علموا بإسلامه قاموا إليه ليضربوه ، فأخذ يضاربهم حتى جاء وقت الزوال ، وتعب عمر ، فجلس ، فوقفوا عنده .
(٥) الحبرة على وزن عنبه : برد يمان . والوشي في الثوب : خلط لون بلون . ينظر الصحاح مادة « حبر » ، واللسان مادة « وشى » .
(٦) أي فماذا تريدون منه .

عدي يسلمون لكم صاحبكم هكذا[١] ؟ خلوا عن الرجل[٢] .

١٣ – وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم ، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا نصلي[٣] .

الفوائد والعبر :

١ – أنه ينبغي للمسلم أن يبتعد عن الأماكن التي تكثر فيها الفتن ، ويجب عليه أن يهاجر من المكان الذي لا يستطيع فيه عبادة ربه إلى مكان يعبد الله فيه ويظهر فيه شعائر الإسلام .

٢ – أنه يجب على المسلم أن يتحمل الأذى في ذات الله تعالى ، وليكن قدوته في ذلك رسول الله ... وأصحابه ، وليحذر من حال كثير من ضعفاء الإيمان الذين إذا حصل لأحدهم أدنى أذى ترك بعض الواجبات الشرعية ، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وربما فعل بعض المحرمات من أجل ذلك .

٣ – أن دعاء الله تعالى أعظم سلاح يلجأ إليه المسلم ، ولذلك ينبغي للمسلم أن يحرص على الإتيان بأسباب الإجابة ، والبعد عن موانعها كأكل المال الحرام ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ‹‹ مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا

---

(١) أي أن بني عدي وهم فخذ عمر بن الخطاب لن يتركوكم إن قتلتم عمر أو أضررتم به ضرراً بيّناً .

(٢) رواه ابن إسحاق (ص١٦٤) ، ومن طريقه الإمام أحمد في الفضائل (٣٧٢) ، وابن حبان (الإحسان ٦٨٧٩) قال : حدثني نافع ، عن ابن عمر . وإسناده حسن . وحسنه ابن كثير في السيرة (٣١/٢) .
ويدل على ترتيب إسلام عمر رضي ا÷ عنه على النسق السابق رواية الزهري عند عبدالرزاق (٩٧١٨) .

(٣) رواه ابن سعد ٢٧٠/٣ بإسناد صحيح ، على شرط البخاري ، وروى البخاري جزأه الأول (٣٨٦٣) .

يستجاب لكم »[1] ولهذا لما حقق النبي ... وأصحابه هذه الأسباب وابتعدوا عن تلك الموانع استجاب الله دعاءهم .

أما اليوم فلما تساهل الناس في المكاسب المحرمة وقصروا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من رحم الله لم يستجب لكثير منهم .

٤ – أنه ينبغي للداعية أن يجمع بين الصبر على المدعوِّين والاستمرار في دعوتهم وعدم اليأس من هدايتهم ، وبين دعاء الله تعالى أن يهديهم إلى الصراط المستقيم .

٥ – ظهر في هذه الأخبار عظمة هذا القرآن وإعجازه الذي بهر أئمة الفصاحة والبيان ، وجعل ألد أعداء الإسلام ينقادون عن قناعة تامة للدخول في هذا الدين .

كما ظهر في هذه الأخبار قوة وصدق إيمان عمر رضي الله عنه وبلاءه في دين الله وقوته في الحق ، وفي ذلك ما يغيظ أعداء الصحابة – الذين هم أفضل هذه الأمة – من الرافضة وغيرهم ، وبهذا وغيره استحق عمر أن يكون أفضل الصحابة بعد أبي بكر رضي الله عنه .

* * *

(١) رواه ابن ماجه في سننه (٤٠٠٤) ، وهو في صحيحه للألباني .

الدرس الرابع

خبر إسلام الخليفة الراشد عثمان بن عفان – رضي الله عنه –

١٤ – عن عبيدالله بن عدي بن الخيار – رحمه الله – أن المِسْوَر بن مخرمةَ وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا له : ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد بن عقبة[1] فقد أكثر الناس فيه ؟ قال : فقصدت لعثمان حين خرج إلى الصلاة ، فقلت : إن لي إليك حاجة ، وهي نصيحةٌ لك . قال : يا أيها المرءُ أعوذ بالله منك . فانصرفت ، فلما قضيت الصلاة جلست إلى المسور وإلى ابن عبد يغوث ، فحدثتهما بما قلت لعثمان وما قال لي . فقالا : قد قضيت الذي كان عليك ، فبينما أنا جالس معهما إذ جاءني رسول عثمان ؛ فأتيته ، فقال : ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله سبحانه بعث محمداً ... بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، وكنتَ ممَّنِ استجابَ لله ولرسوله ... ، فهاجرت الهجرتين ، وصحبتَ رسولَ الله ... ورأيتَ هديه . وقد أكثر الناس في شأن الوليد بن عقبة ، فحق عليك أن تقيم عليه الحد . قال : أدركتَ رسول الله ... ؟ قلت : لا ، ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها . قال : أما بعد فإن الله بعث محمداً ... بالحق ، فكنتُ ممَّن استجاب لله ولرسوله ، وآمنتُ بما بُعث به وهاجرتُ الهجرتين – كما قلتَ – وصحبتُ رسول الله ... وبايعتُه ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله . ثم أبو بكر مثله . ثم عمر مثله . ثم استخلفت ، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم ؟ قلت : بلى . قال : فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم[2] ؟ أما ما ذكرتَ من شأن الوليد فسنأخذ فيه

---

(١) وهو أخو عثمان – رضي ÷ عنه – لأمه ، وكان عمر بن الخطاب رضي ÷ عنه ولاه الجزيرة بأرض العراق ، ثم نقله عثمان منها إلى الكوفة ، فشرب الخمر وهو أمير عليها ، فأخر عثمان إقامة الحد عليه ليتأكد من عدالة الشهود . ينظر : فتح الباري ٥٦/٧ .

(٢) قال في الفتح ٥٧/٧ : « كأنهم كانوا يتكلمون في سبب تأخيره إقامة الحد على =

بالحق إن شاء الله . ثم دعا علياً فأمره أن يَجلِدَ ، فجلَدَهُ ثمانين . رواه البخاري[١] .

الفوائد والعبر :

١ – فضل الخليفة الراشد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وبيان عدله وإقامته لحدود الله وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأنه لا يحابي في ذلك أحدا .

٢ – فضل الصحابة على من بعدهم .

٣ – أنه يجب على المسلم مناصحة ولي الأمر إذا رأى ما يحتاج إلى مناصحته فيه ، وذلك فيما بينه وبينه ، كما فعل هذا التابعي الجليل، ويحرم عليه أن يجهر بذلك أمام عامة الناس ، لئلا يوغر صدورهم عليه ، فيحصل من ذلك ضرر ، كما حصل في آخر خلافة الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، لما تجرأ بعض الناس على الكلام فيه أمام العامه ، فأوغروا الصدور ضده وكان من أعظم أضرار ذلك قتله – رضي الله عنه – والذي لا تزال الأمة تعاني من آثاره إلى اليوم[٢] .

وقد ثبت عن النبي … أنه قال : ‹‹ من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فليأخذ بيده فليخل به ، فإن قبلها قبلها ، وإن ردها كان قد أدى الذي عليه ››[٣] .

٤ – أنه يجب على الحاكم أن يقيم الحدود كما شرعها الله تعالى ، وألا تأخذه في ذلك لومة لائم ، وأن يقيمها على كل من يجب إقامة الحد عليه ،

الوليد ›› .

(١) صحيح البخاري : فضائل الصحابة (٣٦٩٥) ، ومناقب الأنصار (٣٨٧٢) ، وينظر في إسلامه أيضاً المصنف لابن أبي شيبة : الفضائل ٥٣/١٢ .

(٢) ينظر شرح رياض الصالحين لشيخنا محمد بن عثيمين ، باب أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم (شرح حديث معقل بن يسار : مامن عبد يسترعيه ا÷ …) .

(٣) رواه الإمام أحمد (١٥٣٣٣) ، وابن أبي عاصم في السنة ، باب كيف نصيحة الرعية للولاة (١٠٩٦ – ١٠٩٨) ، والبخاري في الكبير ١٨/٧، ١٩، والحاكم ٢٩٠/٣ وسنده حسن .

كائناً من كان ، فإن التفريق في ذلك أو التساهل فيه من أسباب هلاك الأمم ، فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة مرفوعاً : « أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »[١] .

* * *

(١) صحيح البخاري : الحدود (٦٧٨٨) ، وصحيح مسلم : الحدود (١٦٨٨) .

الدرس الخامس

أخبار إسلام الخليفة الراشد علي بن أبي طالب وجماعة من السابقين إلى الإسلام

١٥ – عن بريدة بن الحصيب – رضي الله عنه – قال : انطلق أبو ذر ونعيم ابن عم أبي ذر وأنا معهم نطلب النبي … ، وهو بالجبل مكتتم[١] ، فقال أبو ذر : يا محمد أتيناك نسمع ما تقول وإلى ما تدعو ، فقال رسول الله … : « أقول لا إله إلا الله ، وإني رسول الله » ، فآمن به أبو ذر وصاحبه ، وآمنت به ، وكان علي في حاجة لرسول الله … أرسله فيها ، وأوحي إلى رسول الله … يوم الإثنين ، وصلَّى عليٌّ يوم الثلاثاء[٢] .

١٦ – وعن عمار بن ياسر – رضي الله عنهما – قال : رأيت رسول الله … وما معه إلا خمسة أعبد[٣] ، وامرأتان[٤] ، وأبو بكر . رواه البخاري[٥] .

١٧ – وعن عفيف الكندي – رضي الله عنه – قال: جئت في الجاهلية إلى مكة ، وأنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، قال : فأنا عنده ، وأنا أنظر إلى الكعبة ، وقد حلقت الشمس ، فارتفعت[٦] ، إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة ، فرفع

(١) في اللفظ الذي نقله الحافظ في الإصابة في ترجمة نعيم : « مستتر » ومعناهما واحد .
(٢) رواه الحاكم ٣/١١٢ ، وصححه . وسنده حسن . وله شاهد من حديث أنس عند الحاكم في الموضع السابق ، وشواهد أخرى تنظر في السيرة لابن إسحاق ص١١٩ ، الفتح الرباني ٢٠/٢١٣ ، ٢١٤ ، السيرة الذهبية ، رقم (٣٧٠) .
(٣) وهم : بلال ، وزيد بن حارثه ، وعامر بن فهيرة ، وأبو فكيهة ، وشقران .
(٤) وهما خديجة وأم أيمن . ينظر : الفتح ٧/٢٤ .
(٥) صحيح البخاري : مناقب الأنصار (٣٨٥٧) .
(٦) في بعض روايات هذا الحديث : « فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت » .

رأسه إلى السماء ، فنظر ، ثم استقبل الكعبة قائماً ، إذ جاء غلام حتى قام عن يمينه ، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة ، فقامت خلفهما ، ثم ركع الشاب ، فركع الغلام ، وركعت المرأة ، ثم رفع الشاب رأسه ، ورفع الغلام رأسه ، ورفعت المرأة رأسها ، ثم خرَّ الشاب ساجداً ، وخر الغلام ساجداً ، وخرت المرأة ، قال : فقلت : يا عباس إني أرى أمراً عظيماً . فقال العباس : أمر عظيم ، هل تدري من هذا الشاب ؟ قلت : لا ، ما أدري . قال : هذا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب ابن أخي ، هل تدري من هذا الغلام ؟ قلت : لا ، ما أدري . قال : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن أخي . هل تدري من هذه المرأة؟ قلت: لا ، ما أدري . قال : هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا الذي ترى ، حدثنا أن رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، فهو عليه، ولا والله ما علمت على ظهر الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . قال عفيف : فتمنيت بعد أني كنت رابعهم[1] .

---

(١) رواه ابن سعد ٨/١٧، ١٨، والنسائي في خصائص علي (٥) ، والطبري في تاريخه ٢/٣١١ وغيرهم من طريق أسد بن عبداء÷ ، عن ابن يحيى بن عفيف ، عن جده – وعند بعضهم عن يحيى بن عفيف عن أبيه عفيف – وأسد فيه لين كما في التقريب ، وابن يحيى مجهول ، وأبوه لم يوثقه سوى ابن حبان ، لكن يحيى من
= كبار التابعين ، ولا يبعد أن يكون ابنه كذلك ، وكثير من أهل العلم يقوي حديث من لم يجرح منهم .
ورواه الإمام أحمد (١٧٨٧) ، والحاكم ١٨٣/٣، والعقيلي ٨٠/١ وغيرهم من طريق يحيى بن الأشعث ، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جده . ويحيى لم يوثقه سوى ابن حبان ، وإسماعيل لم يوثق ، وقال البخاري : « في حديثه نظر » ، وأبوه قال عنه البخاري : « فيه نظر » . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ، وله شاهد معتبر من أولاد عفيف » ، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٢٢٠/٣ .
وقال في الاستيعاب ١٦٣/٣ : « حديث حسن جداً » ثم ساق الحديث من طريقيه ، ونقل تحسينه في الإصابة ، ولم يتعقبه ، وذكره الألباني في صحيح السيرة لابن كثير ص١١٥ – ١١٧ .
وله شاهد من حديث ابن مسعود ، رواه الطبراني (١٠٣١٧) وفي سنده بشر بن =

الفوائد والعبر :

١ – أن الحق لا يعرف بكثرة الرجال ، بل إن أكثر الخلق يكرهون الحق ويحاربونه ، قال الله تعالى :

{ ÇÐÑÈ tbqèdÍ•»x. Èd,ysù=Ï9 öNä.uŽnYø.r& }
[الزخرف: ٧٨] .

وقد قال عدونا الشيطان الرجيم كما حكى الله تعالى عنه :

y7sÛ¨uŽÅÀ öNçlm; ¨by‰ãèø%{ ƒuqøîr&‘ÏZoK !$yJÎ6sù } üt/ÈûtiB .`ÏiB Oßg¨Yu‹Ï?Uy §NèO ÇÊÏÈ tLìÉ)tFó¡ãKø9$# ƒr&öNÎkÈ]»yJ ô`tãur öNÎgÏÿù=yz ô`ÏBur ƒr&öNÎk‰Ï‰ öNèdu•sVø.r& ß‰ÅgrB Ÿwur ( öNÎgÎ=Í¬!$oÿw¬ `tãur ÇÊÐÈ šúïÍ•Å3»x© { [الأعراف: ١٦، ١٧] .

ولهذا تجد اليوم أكثر أهل الأرض في ضلال ، فالمنتسبون إلى الإسلام لا يشكلون سوى سدس العالم أو أقل ، وإذا أمعنت النظر في هذا السدس وجدت أكثرهم غثاء كغثاء السيل ، بل إن الكثير منهم لا يصلي ، فهم من عداد الكفار الضالين ، لما رواه مسلم عن النبي ... أنه قال : « بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة »(١) ، وبعضهم قد وقع في الشرك بعبادة القبور أو بالغلو في الصالحين ، أو بغير ذلك .

٢ – أن أتباع الأنبياء – وبالأخص في أول أمرهم – هم الفقراء ، وقد ثبت عن هرقل ملك الروم أنه قال لأبي سفيان – رضي الله عنه – : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقال أبو سفيان : بل ضعفاؤهم . ثم قال هرقل في آخر كلامه : سألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . رواه البخاري(٢) ، وذلك لأن أصحاب المال أو الجاه قد يمنعهم مالهم أو جاههم من اتباع الحق تكبراً أو خوفاً على جاههم ، فيتلاعب بهم الشيطان ، فيكونون أتباعاً له ، بدلاً من أن يكونوا عباداً لخالقهم ورازقهم .

مهران ، وهو ضعيف ترك أبو حاتم رواية حديثه ، وبالجملة فلعل هذا الحديث يقرب من الحسن . وينظر المجمع ٩/١٠٣، ٢٢٢ .

(١) صحيح مسلم (٨٢) .
(٢) صحيح البخاري (٧) .

٣ – أنه ينبغي للداعية الصبر على ما يلاقيه في سبيل دعوته ، واستعمال الوسائل التي تحمي دعوته من السِّريّة وغيرها .

٤ – أنه ينبغي للداعية استعمال كل أسلوب مباح يرجى أن يكون نافعاً لاقناع المدعوِّين بدين الإسلام أو بالتمسك بتعاليمه ، ولعله من أجل هذا أخفى أبو ذر – رضي الله عنه – إسلامه على بريدة ونعيم لما جاء بهما إلى النبي ... ، ثم نطق بالشهادة قبلهما ، كأنه لتوه أسلم ، ليقتديا به ، مع أنه قد أسلم قبل ذلك .

٥ – أن العاقل يجب عليه قبول الحق وإن أعرض عنه أكثر الخلق ، ليكون من السابقين إلى الخير ، ولئلا يباغته الأجل وهو معرض عنه ، فيشقى في الدنيا والآخرة .

* * *

الدرس السادس

أخبار إسلام سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه –

١٨ – عن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال : ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام . رواه البخاري[١] .

١٩ – وعن سعد بن أبي وقاص أيضاً أنه قال لما شكاه أهل الكوفة بالعراق إلى عمر بن الخطاب ، فقالوا : إنه لا يحسن يصلي وكان ممن شكاه بعض بني أسد فقال – رضي الله عنه – : (إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ، وكنا نغزو مع النبي – ... – وما لنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ماله خلط ، ثم أصبحت بنو أسد تُعَزِّرنِي على الإسلام – أي تعيرني بأني لا أحسن أصلي – قال سعد : (لقد خبت إذاً وضل عملي) رواه البخاري[٢] .

٢٠ – وعن سعد بن أبي وقاص أيضاً – رضي الله عنه – قال : إنه نزلت فيَّ آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه . ولا تأكل ولا تشرب . قالت : زعمتَ أن الله وصّاك بوالديك . وأنا أمك . وأنا آمرك بهذا .

قال : مكثت ثلاثاً حتى غُشي عليها من الجهد . فقام ابن لها يقال له عُمارة . فسقاها . فجعلتْ تدعو على سعد . فأنزل الله عزّ وجل في القرآن هذه الآية :

Fn=uHxqﷲçm ƒy‰Ï9¨uqÎ/ﷲÏm z`»|¡SM}$# $uZøŠ¢¹urur } ’Îû ¼çmè=»|ÁÏùur durﷲ9` 4’n?tã durﷲ$·Z ¼çm–Bé& ¥’n<Î) ƒy‰Ï9¨uqÏ9urﷲy7 ’Í< ö • à6ô©$# Èbr& ütB%tæﷲÈû x8Í • ô±è@ br& #’n?tã x8#y‰yg»y_ bÎ)ur ÇÊÍÈ ãŽ • ÅÁyJø9$#

---

(١) صحيح البخاري: مناقب الأنصار ، باب إسلام سعد (٣٨٥٨)، وهذا حسب علمه – رضي ا÷ عنه – وإلا فقد أسلم قبله أربعة بإجماع أهل العلم ، وقد كان الصحابة في هذا الوقت يخفون إسلامهم . البداية والنهاية ٨٠/٥ ، فتح الباري ٨٤/٧، ١٧٠ .

(٢) صحيح البخاري (٣٧٢٨) .

(èÏÜè?ﷲ$yJßg Ÿxsù ÖNù=Ïæ ¾ÏmÎ/ y7s9 }§øŠs9 $tB ’Ï1 $yJßgö6Ïm$|¹ur (ètBﷲ$]ùrã • R‘%o9$#ﷲ$u‹ ’Îû } [لقمان: ١٤، ١٥] .

قال : وأصاب رسول الله … غنيمة عظيمة . فإذا فيها سيف فأخذته فأتيت به رسول الله … فقلت : نفلني هذا السيف . فأنا من قد علمت حاله . فقال : « رده من حيث أخذته » فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لامتني نفسي ، فرجعت إليه . فقلت أعطنيه . قال فشد لي صوته « رده من حيث أخذته » قال فأنزل الله عز وجل :

} ÉA$xÿRF{$# Ç`tã y7tRqè=t«ó¡o„ (} [الأنفال: ١] .

قال : ومرضت فأرسلت إلى النبي … فأتاني . فقلت : دعني أقسم مالي حيث شئت . قال فأبى . قلت : فالنصف . قال فأبى . قلت : فالثلث . قال فسكت . فكان بعدُ الثلث جائزاً .

قال : وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين . فقالوا : تعال نطعمك ونسقيك خمراً . وذلك قبل أن تحرم الخمر . قال فأتيتهم في حش – والحش البستان – فإذا رأس جزور مشوى عندهم ، وزقٌ من خمر . قال : فأكلت وشربت معهم . قال فذكرت الأنصار والمهاجرون عندهم . فقلت : المهاجرون خير من الأنصار . قال فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرح بأنفي . فأتيت الرسول … فأخبرته ، فأنزل الله عز وجل – يعني نفسه – شأن الخمر :

} $yJ¯RÎ) (#ûqãYtB#uä tûïÏ%©!$# $pkš‰r'¯»tƒ ãN»s9ø—F{$#ur Ü>$|ÁRF{$#ur ãŽÅ£øŠyJø9$#ur ã•ôJsƒù:$# Ó§ô_Í‘ ô`ÏiB ×@yJtã Ç`»sÜø‹¤±9$# çnqç7Ï^tGô_$$sù { [المائدة: ٩٠] رواه مسلم[1] .

الفوائد والعبر :

١ – فضل السابقين الأولين من المسلمين ، قال الله تعالى :

} Ÿw ’ÈqtGó¡o„ Oä3YÏB ô`¨B t,xÿRr& `ÏB È@ö6s% ÆÀtGø9$# Ÿ@tG»s%ur 4 y7Í´¯»s9'ré& ãNsàôãr& Zpy_u‘yŠ z`ÏiB tûïÏ%©!$# (#qà)xÿRr& .`ÏB ß‰÷èt/ (#qè=tG»s%ur 4

(١) صحيح مسلم (١٧٤٨) .

ès?ﷲtbqè=yJ $yJÎ/ ª!$#ur 4 4Óo_ó¡çtù:$# ª!$# y%tãur yxä.ur
ÇÊÉÈ ÖŽ•Î7yz } [الحديد: ١٠] .

وفضل من سبق إلى خير فاقتدى به من سواء .

٢ – فضل سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – .

٣ – أن الحق لا يعتبر بكثرة العدد ، وإنما بموافقته شرع الله تعالى .

٤ – أن بر الوالدين وصلة الأرحام حق واجب ، ولكن حق الله تعالى أوجب ، فإذا تعارض حق الله تعالى مع رضى أحد سواه وجب تقديم حق الله تعالى ، قال النبي ... : ((لا طاعة في معصية الله عز وجل إنما الطاعة في المعروف)) متفق عليه(١) .

٥ – وجوب الثبات على دين الله والصبر على الأذى فيه .

٦ – عظم أمانة الصحابة – رضي الله عنهم – ولهذا لم يأخذ سعد رضي الله عنه شيئاً من الغنيمة قبل قسمتها ، لأن هذا من الغلول المحرم ، ولهذا ينبغي للإنسان الحذر من الوقوع في أي نوع من أنواع الغلول ، ومن ذلك أن يأخذ الإنسان مالاً من بيت مال المسلمين – وهو الذي يسميه العامة : مال الحكومة – بغير حق ، فإن هذا من أعظم الغلول الذي ورد في شأنه وعيد شديد .

٧ – أنه يحرم على الإنسان أن يتصرف في ماله بما يخالف شرع الله تعالى .

٨ – بيان أضرار الخمر .

*   *   *

(١) صحيح البخاري (٧٢٥٧) ، وصحيح مسلم (١٨٤٠) .

الدرس السابع

إسلام عمرو بن عبسة السلمي

٢١ – عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال : كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء ، وهم يعبدون الأوثان ، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً[١] فقعدت على راحلتي ، فقدمت عليه ، فإذا رسول الله ... مستخف ، جرآء[٢] عليه قومه ، فتلطفتُ حتى دخلت عليه بمكة ، فقلت له : ما أنت ؟ قال : ﴿ أنا نبي ﴾ . فقلت : وما نبي ؟. قال : ﴿ أرسلني الله ﴾ . فقلت : وبأي شيء أرسلك ؟ قال : ﴿ أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيءٌ ﴾ . قلت له : فمن معك على هذا ؟ . قال : ﴿ حر وعبد ﴾ ، قال : ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به ، فقلت : إني متبعك . قال : ﴿ إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا[٣] ، ألا ترى حالي وحال الناس ؟ ولكن ارجع إلى أهلك ، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني[٤] ، قال : فذهبت إلى أهلي ، وقدم رسول الله ... المدينة ، وكنت في أهلي ، فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة ، حتى قدم عليَّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة فقلت : ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة ؟ فقالوا : الناس إليه سراع[٥] ، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك . فقدمت المدينة . فدخلت عليه ، فقلت : يا رسول الله ! أتعرفني ؟ قال : ﴿ نعم . أنت الذي لقيتني بمكة ؟ ﴾ قال فقلت : بلى . فقلت : يا نبي الله ! أخبرني عما علمك الله وأجهله .

---

(١) يريد النبي ... ، أي : أنه يخبر بأخبار لا يخبر بها غيره في عصره ، ومراده ما ذكره ... من أن ا÷ تعالى أرسله ، وما يتلو من القرآن ، وما يدعو إليه من التوحيد .

(٢) جرآء : جمع جريء ، من الجرأة وهي الإقدام والتسلط .

(٣) أي لا تستطيع إظهار دينك بمكة ، لأذى قريش لمن يسلم .

(٤) أي ارجع إلى أهلك واعبد ا÷ عندهم ، فإذا سمعت أن ا÷ أظهر ديني وصارت الغلبة له على الكفر ، وأعز ا÷ المسلمين فأتني .

(٥) أي أن الناس يتبعونه ، ويدخلون في دينه .

أخبرني عن الصلاة ؟ قال : صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة[١] حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان[٢] ، وحينئذ يسجد لها الكفار[٣] ، ثم صل ، فإن الصلاة مشهودة محضورة[٤] حتى يستقل الظل بالرمح[٥] ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم ، فإذا أقبل الفيء فصل[٦] . فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس ، فإنها تغرب بين قرني شيطان ، وحينئذٍ يسجد لها الكفار ﴾ . قال : فقلت : يا نبي الله ! فالوضوء ؟ حدثني عنه . قال : ... فذكر بقية الحديث وفيه أنه صلى ... ذكر فضل الوضوء ، ثم قال بعده : .. فإن هو قام ، فحمد الله وأثنى عليه ، ومجده بالذي هو له أهل ، وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه ﴾[٧] . رواه مسلم[١].

---

(١) أي اترك الصلاة في هذا الوقت الذي هو وقت نهي ، والمراد أنه لا تصلي فيه النوافل التي ليس لها سبب .
(٢) قيل : إن الشيطان يدني قرنيه من الشمس عند طلوعها ، لتطلع بين قرنيه ، من أجل أن يكون من يسجد للشمس مصلياً له .
(٣) أي أن الكفار الذين يعبدون الشمس يسجدون ويصلون للشمس في هذا الوقت .
(٤) أي يحضرها ويشهدها الملائكة – عليهم السلام – .
(٥) أي يكون ظل الرمح قليلاً ، وذلك أن ظل الشيء القائم كالرمح يكون طويلاً من جهة المغرب عند طلوع الشمس ، وكلما ارتفع النهار قصر ظله ، فإذا جاء وقت الاستواء – وهو وجود الشمس في وسط السماء ليست مائلة لا إلى المشرق ولا إلى المغرب – كان ظل القائم أقصر ما يكون ، ثم بعده تزول الشمس وتميل جهة الغروب، فيبدأ الظل في الزيادة في جهة المشرق، فوقت الاستواء الذي يكون فيه = الظل أقصر ما يكون وقت نهي ، لا يجوز أن يصلي فيه نافلة لا سبب لها ، وهو الوقت الذي تسجر – أي توقد فيه جهنم – أعاذنا ا÷ منها – ، وهو وقت قصير ، خمس دقائق ، أو أقل منها .
(٦) أي إذا بدأ الظل في الزيادة جهة المشرق – وذلك بعد زوال الشمس – فإن هذا الوقت ليس وقت نهي عن الصلاة .
(٧) ينظر في شرح ألفاظ هذا الحديث : التمهيد (٦/٤ – ١٢) ، شرح النووي لمسلم (١١٥/٦ – ١١٨) ، طرح التثريب (١٩٥/٢، ١٩٦) ، شرح الأبي والسنوسي (٤٣٧/٢ – ٤٣٩) ، إغاثة اللهفان (١٨٥/١، ٣٦٢) .

الفوائد والعبر :

١ – أنه ينبغي للمؤمن وللداعية أن لا ييأس من ظهور الحق واتباع الناس له ، فإن نصر الله قريب ، ومن نصر الله نصره الله كما قال تعالى :
ôMÎm6s[ãƒur öNä.öŽÝÇZtƒ ©!$# (#rãŽÝÇZs? bÎ) }
ÇĐÈ ö/ä3tB#y‰ø%r& { [محمد: ٧] .

فهذا النبي الكريم ... في بداية دعوته ليس معه على دين الإسلام سوى حر وعبد، وكانوا مختفين لا يستطيعون إظهار دينهم ولا الدعوة إليه، وأراد قومه قتله ... وقتلوا بعض أصحابه ، فصبر ... هو وأصحابه وثابروا في سبيل نشر هذا الدين العظيم ، حتى عبد الله وحده وانتشر التوحيد والإيمان ، وزال الشرك وعبادة الأوثان في كثير من بقاع الأرض ، واتسعت دولة الإسلام ، وبلغت حدودها من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن البحر الأسود شمالاً إلى بحر العرب جنوباً ؛ بل إن الدعوة إلى هذا الدين بلغت أرجاء المعمورة كما قال ... : ‹ لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل ›[٢] .

٢ – أنه ينبغي للعبد أن يسير على الحق ولو أعرض عنه أكثر الخلق ، ليفوز بسعادة الدنيا والنجاة في الآخرة .

٣ – أن أعداء الحق من الكفار والمنافقين والفساق في كل زمان لا يألون جهداً في حرب الدين الصحيح – دين الإسلام – ومنع تطبيقه في الأرض ، وحرب الدعاة إليه ، ومنعهم من نشره ، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قال تعالى في حق الكفار والمنافقين :
«!$# u‘qçR (#qä«ÏÿôÜãƒ br& šcrß‰ƒÌ•ãƒ }
¼çnu‘qçR ¢OÏFãƒ br& HwÎ) ª!$# ’n1ù'tƒur óOÎgÏd¨uqøùr'Î/
ÇÌËÈ šcrã•Ïÿ»s3ø9$# onÍ•Ÿ2 öqs9ur { [التوبة: ٣٢] .

وكما قال تعالى في حق عموم العصاة والفساق : } ª!$#ur
šúïÉ‹©9$# ß‰ƒÌ•ãƒur öNà6ø‹n=tæ z>qçGtƒ br& ß‰ƒÌ•ãƒ
{ $VJŠÏàtã ¸xøŠtB (#qè=ŠÏÿsC br& ÏN¨uqpk¤¶9$# tbqãèÎ7-Gtƒ

(١) صحيح مسلم : صلاة المسافرين ، باب إسلام عمرو بن عبسة (٨٣٢) .
(٢) رواه أحمد (٤/٦) ، وابن حبان (٦٦٩٩ ، ٦٧٠١) وإسناده صحيح .

[النساء: ٢٧] .

٤ – أنه يجب على المسلم أن يتعلم أحكام دينه التي يحتاج إليها ، كما أنه ينبغي له أن يسأل أهل العلم عما يجهله من دين الله تعالى ، ليعبد ربه على بصيرة ، وليسلم من فتن الشبهات والشهوات – بإذن الله تعالى – .

٥ – أن في نهيه ... عن الصلاة في هذه الأوقات فوائد وأحكام كثيرة أهمها :

أولاً : سد الذرائع التي توقع في الشرك .

ثانياً : تحريم التشبه بالكفار في عباداتهم ، ومثلها ما اختصوا به من عادات ، سواء أكان ذلك في اللباس أم في الهيئة ، وفي الحديث : « من تشبه بقوم فهو منهم »(١) كما أن تشبه المسلم بهم علامة على ضعف شخصيته ، وشعوره بالنقص ، وأنهم أفضل منه فلذلك رضي أن يكون تابعاً لهم ، وهذا خطأ ظاهر ، فإن المسلم أفضل من جميع الكفار ، والنظرة الصحيحة إلى الكافر هي ما أخبر عنها ربنا جل وعلا في قوله تعالى :

$yJx. tbqè=ä.ù'tƒur tbqãè-FyJtFtƒ (#rã • xÿx. tûïÏ%©!$#ur }
{ ÇÊËÈ öNçl°; WtB‰“Yq â'$¨Y9$#ur RF{$#‰ãN»yè ã@ä.ù's?
[محمد: ١٢] .

(١) رواه البزار كما في الكشف (١٤٤) بإسناد محتمل للتحسين ، لكن قال : « لا نعلمه مسنداً عن حذيفة إلا من هذا الوجه ، وقد وقفه بعضهم على حذيفة » ، وينظر المجمع ٢٧١/١٠ ، ورواه الإمام أحمد (٥١١٤) بإسناد محتمل للتحسين ، ورواه ابن أبي شيبة ٣٢٢/٥ من مرسل طاووس ، وفي سنده سعيد بن جبلة ، وقد تكلم فيه بعضهم ، ولم يوثق . ينظر : اللسان ٢٥/٣ ، وقد حسنه الحافظ في الفتح ٩٨/٦ ، ورواه سعيد (٢٣٧٠) من مرسل الحسن . وبالجملة فلعل الحديث مجموع هذه الأسانيد يرتقي إلى درجة الحسن لغيره . وينظر : فيض القدير ١٠٤/٦ ، ١٠٥ ، الإرواء (١٢٦٩) .

الدرس الثامن

أخبار إسلام عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه –

٢٢ – عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : كنت غلاماً يافعاً[١] أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة ، فأتى عليَّ رسول الله … وأبو بكر وقد فرّا من المشركين ، فقال : ‹‹ يا غلام هل عندك لبن تسقينا ؟ ›› قلت : إني مؤتمن ، ولست بساقيكما . قالا : ‹‹ فهل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ ›› قلت : نعم ، فأتيتهما بها ، فاعتقلها أبو بكر ، وأخذ رسول الله … الضرع ، فدعا ، فحفل الضرع[٢] ، وأتاه أبو بكر بصخرة منقعرة ، فحلب ، ثم شرب هو وأبو بكر ، ثم سقياني ، ثم قال للضرع : ‹‹ اقلص ›› ، فقلص . فلما كان بعد أتيت رسول الله … فأسلمت ، فقلت : علمني من هذا القول الطيب – يعني القرآن – ، فقال رسول الله … : ‹‹ إنك غلام معلَّم ›› ، فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد[٣] .

٢٣ – وعن ابن مسعود أيضاً قال : لقد رأيتني سادس ستة ، ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا[٤] .

الفوائد والعبر :

١ – أنه يجب على المؤتمن أن يحافظ على الأمانة التي أؤتمن إياها .
٢ – أنه يجب قبول الحق ممن قاله ولو كان كافراً .
٣ – في هذا الحديث معجزة من معجزات النبي … .

---

(١) أي : شاباً قارب البلوغ .
(٢) أي اجتمع فيه اللبن .
(٣) رواه الطيالسي (٣٥٣) ، وأحمد (٣٥٩٨، ٤٤١٢) ، وابن أبي شيبة ٧/٥١ ، وأبو يعلى (٥٠٩٦) ، وابن حبان (٦٥٠٤) ، ويعقوب ٢/٥٣٧ بإسناد حسن ، وقد صحح إسناده الذهبي في سير النبلاء ١/٤٦٥ .
(٤) رواه الطبراني (٨٤٠٦) ، والحاكم ٣/٣١٣ بإسناد صحيح ، رجاله ثقات ، رجال الصحيح . وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

٤ – أن القرآن هو أطيب الكلام وأحسن الحديث ، وقد شهد بذلك الكفار فضلاً عن المسلمين ، وقد روى البيهقي أن الوليد بن المغيرة سمع القرآن فكأنه رق له ، فأنكر عليه قومه من المشركين ، فقال لهم : « والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ، ولا بأشعار الجن مني ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة[١] ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته »[٢] .

٥ – أهمية الحفظ للقرآن وغيره من النصوص المهمة كالسنة والمتون العلمية ، فحفظ العلم سبب للعمل به ، وسبب لاستحضار النص عند التعليم والدعوة والتوجيه .

٦ – أهمية أخذ العلم عن أهله ، وقراءة القرآن على من هو متقن لقراءته ، ليسلم المتعلم من الخطأ والزلل ، ولهذا قال بعض أهل العلم : « لا تأخذ العلم عن صحفي ولا عن مصحفي » ، وقال غيره : « من كان معلمه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه » .

٧ – فضل ابن مسعود – رضي الله عنه – وسعة علمه ، وقد روى البخاري عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال : « والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه »[٣] ، ورواه مسلم من طريق شقيق بن سلمة بنحوه ، ثم قال شقيق : فجلست في حلق أصحاب محمد ... فما سمعت أحداً يرد ذلك عليه ولا يعيبه[٤] .

---

(١) الطلاوة : الحسن والبهجة والرونق ، كما في اللسان (مادة : طلي) .
(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٣٤) وإسناده محتمل للتحسين ، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٣٢٣/١ : « إسناده جيد » .
(٣) صحيح البخاري (٥٠٠٢) .
(٤) صحيح مسلم (٢٤٦٢) ، وأخرج هذه الرواية البخاري أيضاً (٥٠٠٠) أخصر من رواية مسلم .

* * *

الدرس التاسع

إسلام أبي ذر وقومه غفار

٢٤ – عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام[١] ، فخرجت أنا وأخي أنيس وأمُّنا فنزلنا على خال لنا ، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا ، فحسدنا قومه فقالوا : إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس[٢] ، فجاء خالنا فنثا علينا الذي قيل له[٣] . فقلت : أما ما مضى من معروفك فقد كدّرته ، ولا جماع لك فيما بعد[٤] ، فقرّبنا صرمتنا[٥] ، فاحتملنا عليها ، وتغطى خالنا ثوبه فجعل يبكي ، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة[٦] ، فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها ، فأتيا الكاهن فخيّر أنيساً ، فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها[٧] .

قال : وقد صليتُ ، يا ابن أخي ! قبل أن ألقى رسول الله ... بثلاث سنين ، قلت : لمن ؟ قال : لله . قلت : فأين توجه ؟ قال : أتوجَّه حيث يوجهني ربي . أُصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيتُ كأني خِفاء[٨] ، حتى تعلوني الشمس .

فقال أنيس : إن لي حاجة بمكة فاكفني . فانطلق أنيس حتى أتى مكة .

---

(١) وذلك بالقتال فيه ، وكان أهل الجاهلية يعيبون من يقاتل في الأشهر الحرم ، والأشهر الحرم هي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم ، ورجب . وقد اختلف أهل العلم هل نسخ تحريم القتال فيها أم لا .
(٢) أي أنه يدخل على أهله في غيبته ، وهذا اتهام له بفعل الفاحشة .
(٣) أي أن خالهم أخبرهم بما قال له قومه من اتهام أنيس .
(٤) أي لن نجتمع معك في منزلك بعد قولك هذا .
(٥) الصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين .
(٦) أي حملنا متاعنا على صرمتنا وسافرنا عليها حتى نزلنا قريباً من مكة .
(٧) أي أن أنيساً تراهن هو وشاعر آخر أيهما أفضل في الشعر ، وكان الرهن صرمة هذا وصرمة هذا ، فأيهما غلب أخذ الصرمتين معاً ، فتحاكما إلى كاهن ، فحكم بأن أنيساً أفضل من صاحبه ، فأخذ أنيس الصرمتين .
(٨) الخفاء : الكساء .

فراث عليَّ[١] ، ثم جاء فقلت : ما صنعتَ ؟ قال : لقيتُ رجلاً بمكة على دينك[٢] يزعم أن الله أرسله . قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون شاعر ، كاهن ، ساحر . وكان أنيسٌ أحد الشعراء .

قال أنيس : لقد سمعتُ قول الكهنة ، فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر[٣] فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر[٤] ، والله إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون .

قال : قلت : فاكفني حتى أذهب فأنظر . قال فأتيت مكة . فتضعّفت رجلاً منهم فقلت : أين هذا الذي تدعونه الصابىء ؟[٥] ، فأشار إليّ، فقال: الصابىء . فمال عليَّ أهل الوادي بكل مدرة وعظم[٦] حتى خررت مغشياً عليَّ . قال : فارتفعت حين ارتفعتُ ، كأني نُصُب أحمر[٧] . قال : فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء وشربت من مائها ، ولقد لبثت يا ابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم ما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عُكُن بطني[٨] ، وما وجدت على كبدي سخفة جوع[٩] .

قال : فبينا أهل مكة في ليلة قمراء إضحيان[١٠] ، إذ ضُرب على

---

(١) أي أبطأ وتأخر .
(٢) وذلك أنه لقي النبي ... ، وهو عليه الصلاة والسلام موحد لا يعبد إلا ا÷ ، وهذا هو دين أبي ذر رضي ا÷ عنه .
(٣) أي على طرق الشعر وأنواعه وقوافيه .
(٤) أي لا يمكن غيري أن يقول : إنه شعر .
(٥) أي نظرت إلى رجل أرى أنه ضعيف من أهل مكة فسألته عن النبي ... ، الذي كان يسميه أهل مكة « الصابىء » والأصل أن « الصابىء » هو التارك لدينه . وقد سأل رجلاً ضعيفاً لأن الضعيف غالباً لا يناله بمكروه ولن يفطن لقصده .
(٦) أي أن أهل مكة قاموا عليه يرمونه بالمدر – وهو الطين اليابس – والعظام .
(٧) المراد أنه لما قام بعد إفاقته فإذا هو على هيئة النصب الأحمر ، بسبب كثرة الدم على جسده من الجراح ، والنصب حجر كان أهل الجاهلية ينصبونه ويذبحون عليه ، فيحمر من الدم .
(٨) أي تثنى لحم بطنه من السمن .
(٩) سخفة الجوع : هزاله وضعفه .
(١٠) أي كثير ضوء قمرها .

أصمختهم[١] ، فما يطوف بالبيت أحدٌ ، وامرأتان منهم تدعوان إسافاً ونائلة[٢] ، قال : فأتتا عليَّ في طوافهما فقلت : أنكحا أحدهما الآخر. قال: فما تناهتا عن قولهما[٣] . قال : فأتتا عليّ . فقلت : هَنٌ مثل الخشبة ، غير أني لا أكني[٤] . فانطلقتا تولولان[٥] وتقولان : لو كان هاهنا أحد من أنفارنا[٦] ! قال : فاستقبلهما رسول الله ... وأبو بكر وهما هابطان[٧] . قال : « مالكما ؟ » قالتا : الصابئ بين الكعبة وأستارها[٨] . قال : « ما قال لكما ؟ » قالتا : إنه قال لنا كلمة تملأ الفم[٩] . وجاء رسول الله ... حتى استلم الحجر ، وطاف بالبيت هو وصاحبه ثم صلى ، فلما قضى صلاته – قال أبو ذر – فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام ، قال : فقلت : السلام عليك يا رسول الله ! فقال: « وعليك ورحمة الله ». ثم قال: « من أنت ؟ » قال قلت : من غفار . قال : فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته . فقلت في نفسي: كره أنِ انتميت إلى غفار. فذهبت آخذ بيده . فقدعني صاحبه[١٠]

(١) الصماخ هو خرق الأذن ، وفي رواية « أسمختهم » وهما بمعنى . والمراد : آذانهم . أي أنهم ناموا .
(٢) أي لا يوجد من يطوف سوى امرأتين ، وكانتا تدعوان صنمي أساف ونائلة .
(٣) أي مرتا عليه في طوافهما ، فقال لهما : أنكحا أحدهما – أي إساف ونائلة – الآخر ، وهذا سب للصنمين ، يقول : ومع هذا السب فلم يتركا دعاء هذين الصنمين .
(٤) « الهن » لفظة يكنى بها عن كل شيء ، وأكثر ما تستعمل في الكناية عن ذكر الرَّجل ، فأبو ذر صرح لهما باسم الذكر ، ولم يأت بالكناية . وأراد بذلك سب الصنمين ، كما ذكر في مقولته الأولى « أنكحا أحدهما الآخر » .
(٥) أي تدعوان على أنفسهما بالويل .
(٦) الأنفار : جمع نفر ، وهو الذي ينفر عند الاستغاثة . ومرادهما : لو كان هنا أحد من أنصارنا لنصرنا عليه .
(٧) في بعض الروايات « وهما هابطان من الجبل » .
(٨) أي أن هذا الرجل الذي سب الصنمين – وهو أبو ذر – قد استتر بثياب الكعبة ، فهو بين الكعبة وأستارها .
(٩) أي قال كلمة عظيمة كالشيء الذي يملأ الشيء ، أو أنها لقبحها كأنها تسد فم حاكيها وتملؤه ، لاستعظامها .
(١٠) المراد أن أبا بكر رضي ÷ عنه كف يد أبي ذر لما مدها ، ومنعه من إمساك يد =

وكان أعلم به مني ، ثم رفع رأسه . ثم قال : ‹‹ متى كنت هاهنا ؟ ›› . قال : قلت : قد كنت هاهنا منذ ثلاثين ، بين يوم وليلة ، قال : ‹‹ فمن كان يطعمك ؟ ›› . قال : قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم . فسمنت حتى تكسرت عُكن بطني ، وما أجد على كبدي سُخفة جوع . قال : ‹‹ إنها مباركة ، إنها طعام طُعم ››[1] .

قال أبو بكر : يا رسول الله ، ائذن لي في طعامه الليلة . فانطلق رسول الله ... وأبو بكر وانطلقت معهما . ففتح أبو بكر باباً ، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف ، وكان ذلك أول طعام أكلته ، ثم غبرت ما غبرتُ ، ثم أتيت رسول الله ...[2] فقال : ‹‹ إنه وُجهت لي أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب[3] فهل أنت مبلِّغٌ عني قومك ؟[4] عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ››[5] .

فأتيت أنيساً فقال : ما صنعت ؟ قلت : صنعت أني قد أسلمت وصدّقت . قال : ما بي رغبة عن دينك[6] ، فإني قد أسلمت وصدّقت . فأتينا أمنا ، فقالت : ما بي رغبة عن دينكما ، فإني قد أسلمت وصدّقت . فاحتملنا[7] حتى أتينا قومنا غفاراً . فأسلم نصفهم ، وكان يؤمهم إيماء بن رحضة الغفاري ، وكان سيدهم .

وقال نصفهم : إذا قدم رسول الله ... المدينة أسلمنا ، فقدم رسول الله النبي ... .

(١) أي تشبع شاربها ، كما يشبعه الطعام .
(٢) أي بقيت ما بقيت ، ومراده أنه غاب عن النبي ... فترة ، ثم أتاه .
(٣) روى البخاري (٤٠٨١) ، ومسلم (٢٢٧٢) عن النبي ... أنه قال : ‹‹ رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي – أي اعتقادي – إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي يثرب ›› .
(٤) أي هل أنت قائم بدعوة قومك إلى الإسلام إذا رجعت إليهم ، وهذا طلب وأمر من النبي ... لأبي ذر أن يدعو قومه إلى الإسلام .
(٥) أي عسى ÷ أن ينفعهم بك بدعوتك لهم ، فيدخلو في الإسلام ، ويثيبك ÷ على ذلك ، لأن من دعى إلى هدى كان له مثل أجر من تبعه .
(٦) أي لا أكرهه ؛ بل أدخل فيه .
(٧) أي حملنا أنفسنا ومتاعنا على رواحلنا .

... المدينة فأسلم نصفهم الباقي .
وجاءت أسلَمُ . فقالوا : يا رسول الله ، إخوتنا ، نسلم على الذي أسلموا عليه . فأسلموا . فقال رسول الله ... : « غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله »[(١)] رواه مسلم[(٢)] .
ورواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس ، وفيه : فسمع من قوله – أي من قول النبي ... – وأسلم مكانه ، فقال له النبي ... : « ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري » ، فقال : والذينفسي بيده ، لأصرخن بها بين ظهرانيهم »[(٣)] ، فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . ثم ثار القوم ، فضربوه حتى أضجعوه[(٤)] ، فأتى العباس فأكبَّ عليه ، فقال : ويلكُم ! ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم ، فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد بمثلها ، وثاروا إليه فضربوه ، فأكبَّ عليه العباس فأنقذه[(٥)] .

الفوائد والعبر :

١ – عداء الكفار لأهل الحق ، واتهامهم لهم بما هم برآء منه ، لتنفير الناس منهم .
٢ – ضلال الكفار وسفههم ، حيث يدعون أحجاراً لا تضر ولا تنفع .

---

(١) هذا إما دعاء ؛ لإسلام هاتين القبيلتين من غير قتال ، وإما إخبار عن ما فعل ا÷ بهما من المغفرة والمسالمة لهما .
(٢) صحيح مسلم : الفضائل (٢٤٧٤) .
(٣) أي لأرفعن صوتي بكلمة التوحيد « لا إله إلا ا÷ محمد رسول ا÷ » بين المشركين .
(٤) أي أن الكفار قاموا إليه فضربوه حتى سقط .
(٥) صحيح البخاري : الفضائل (٣٥٢٢، ٣٨٦١) ، وصحيح مسلم : الفضائل (٢٤٧٤) .
وينظر في شرح ألفاظ هذا الحديث : المعلم ٣/١٥٤، ١٥٥ ، المفهم ٦/٣٩٠ – ٤٠٢ ، إكمال المعلم ٧/٥٠٣ – ٥٠٨ ، شرح مسلم للنووي ١٦/٢٧ – ٣٤ ، فتح الباري ٦/٥٤٩ ، و٧/١٧٤ ، شرح الأبي والسنوسي لصحيح مسلم ٦/٣٠١ – ٣٠٧ .

٣ – فضل ماء زمزم .

٤ – مشروعية الدعوة إلى الله تعالى لكل مسلم ، ولو كان علمه قليلاً ، إذا كان على بصيرة في الأمر الذي يدعو إليه .

٥ – بيان الأجر العظيم الذي يؤتيه الله تعالى من دعا إلى سبيله فهدى الله على يديه ولو رجلاً واحداً ، لأن له مثل أجور جميع من هداهم الله على يديه .

الدرس العاشر

إسلام ضماد بن ثعلبة الأزدي

٢٥ – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : إن ضماداً قدم مكة ، وكان من أزد شنوءه وكان يرقي من هذه الريح[١] ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمداً مجنون ، فقال : لو أني رأيت هذه الرجل لعل الله يشفيه على يدي ، قال : فلقيه ، فقال : يا محمد ، إني أرقي من هذه الريح ، وإن الله يشفي على يديّ من شاء ، هل لك ؟[٢] .

فقال رسول الله ... : « إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد » .

قال : فقال : أعِدْ عليَّ كلماتك هؤلاء ، فأعادهن عليه رسول الله ... ثلاث مرات ، قال : فقال : لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر[٣] .

قال : فقال : (هات يدك أبايعك على الإسلام) ، قال : فبايعته ، فقال رسول الله ... : « وعلى قومك »[٤] ، قال : وعلى قومي .

قال : فبعث رسول الله ... سرية فمروا بقومه ، فقال صاحب السرية للجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟ فقال : رجل من القوم : أصبت منهم مطهرة[٥] ، فقال : ردّها ، فإنّ هؤلاء قوم ضماد . رواه مسلم[٦] .

(١) أي يعالج بالرقية من مس الجن ، وسميّ الجن « الأرواح » لأنهم لا يراهم الناس ، فهم كالروح والريح .
(٢) أي هل لك أن أرقيك وأعالجك .
(٣) « ناعوس » بالنون هو قعر البحر ولجته ووسطه . وفي بعض النسخ « ناموس » بالميم ، وفي بعضها « قاعوس » والمعنى واحد . ينظر شرح مسلم للنووي ١٥٧/٦ ، ١٥٨ .
(٤) أي تبايعني على قومك أيضاً ، وذلك بأن يدعوهم إلى الإسلام حتى يدخلوا فيه .
(٥) المِطهرة بكسر الميم وفتحها ، وهي إناء يتطهر فيه .
(٦) صحيح مسلم : الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٨) .

الفوائد والعبر :

١ – في اتهام المشركين للنبي ... بالجنون – مع أنه – عليه الصلاة والسلام – أرجحهم عقلاً وأحسنهم رأياً – سلوك منهم لطريقة من طرق أهل الكفر والنفاق والفسوق في الصد عن دين الله الحق ، وذلك باتهام الدعاة إليه بكل تهمة تجعل الطغام من الناس الذين يتأثرون بالدعايات الكاذبة لا يقبلون دعوتهم .

فمرة قالوا عن النبي ... إنه كاهن ، ومرة قالوا : شاعر ، ومرة قالوا : ساحر ، ومرة قالوا : مجنون . وهكذا .

وهكذا دعاة الباطل في كل عصر ، وهذا ما نسمعه منهم في هذا العصر ، فمرة يصفون الدعاة إلى الله والمتمسكين به بأنهم « مجانين » أو « موسوسين » ، ومرة يصفونهم بأنهم من أهل « الإرهاب والإفساد في الأرض » . وإمامهم في ذلك فرعون الذي قال عن نبي الله موسى عليه السلام :

} br& rr&ﷲ öNà6sYƒÏŠ tAÏd‰t7ãƒ br& ß$%s{r& þ’ÏoTÎ) yŠ$|¡xÿø9$# ÇÚö‘F{$# ’Îû u• Îgøàãƒ { [غافر: ٢٦] .

٢ – ينبغي للداعية أن يقابل هذه التهم بالصبر والحلم والصفح والعفو ، وأن يذكر في دعوته ما يبين بطلان هذه التهم ، كما أنه ينبغي أن لا تكون هذه التهم وأمثالها من الأذى صادة ومانعة للداعية عن مواصلة دعوته وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالله تعالى لما ذكر في سورة العصر « التواصي بالحق » وهو الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أعقبه بـ « التواصي بالصبر » ، وهذا ما سار عليه النبي ... في دعوته .

٣ – أن هذا الدين هو دين الفطرة ، فبمجرد أن يعرض على من يطلب الحق يسرع بالدخول فيه غالباً ، ولو كان قد شوهت صورته عنده .

٤ – أنه مهما صدّ الصادون ومكر الماكرون لإبعاد الناس عن الحق فإن الله تعالى يمكر بهم ، فهؤلاء الذي اتهموا النبي ... بالجنون ، كان من مكر الله بهم أن من أوائل من يدخل في دعوته من يعالج داء الجن، بل إنه جاء ليعالج من قالوا كذباً وزوراً : إنه مجنون ، فكان أن هداه الله ودخل في دين الله تعالى ، وهذا كحال فرعون الذي كان يقتل أبناء بني إسرائيل

خوفاً على نفسه فكان من مكر الله به أن ربى من سيقتله من أبنائهم في بيت فرعون نفسه ، وجعله ينفق عليه بل ويعطي أمه مالاً لترضعه ، وهو موسى – عليه السلام – .

٥ – أنه يجب على المسلم أن يدعو إلى دين الله تعالى ، فيدعو إلى ما يعلمه وما هو على بصيرة فيه من دينه ، وأن لا يستسلم للشبهات التي يلقيها الشيطان عليه بأنه لا علم عنده ، أو أن الدعوة إلى الله من مهمات العلماء وحدهم ، فمن المعلوم أن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا لم يقم بها من يكفي أثم الناس جميعاً ، فمن علم أصل الدين وجب عليه الدعوة إليه ، ومن علم أحكاماً أخرى وجب عليه الدعوة إليها ، فهذا الصحابي لما بايعه النبي ... اشترط عليه أن يدعو قومه إلى دين الله تعالى مع أنه حديث عهد بإسلام .

* * *

الدرس الحادي عشر

قصة إسلام عثمان بن مظعون الجمحي

٢٦ – عن عبدالله بن عباس قال : بينما رسول الله ... بفِناء بيته بمكة جالس[١] ، إذ مر به عثمان بن مظعون ، فكَشَر إلى رسول الله ...[٢] ، فقال له رسول الله ... : ألا تجلسُ ؟ قال : بلى ، قال : فجلس رسول الله ... مستقبِلَه ، فبينما هو يحدثه إذْ شَخَص رسول الله ... ببصره إلى السماء ، فنظر ساعةً إلى السماء ، فأخذ يضَع بصره حتى وضَعَه على يمينه في الأرض ، فتحرَّف رسول الله ... عن جليسه عثمان إلى حيث وضَع بصره ، وأخذ يُنْغِضُ رأسَه كأنه يَسْتَفْقِهُ ما يقال له[٣] ، وابنُ مظعون ينظر ، فلما قَضى حاجته واستفقَه ما يقال له ، شخَص بصرُ رسول الله ... إلى السماء كما شخص أول مرة ، فأتبعه بصره حتى توارى في السماء ، فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى ، قال : يا محمد ، فيم كُنتُ أجالسك وآتيك ، ما رأيتُك تفعل كفعلك الغَداة[٤] ! قال : وما رأيتَني فعلتُ ؟ قال : رأيتك تشخص ببصرك إلى السماء ثم وضعتَه حيث وضعتَه على يمينك فَتَحَرَّفْتَ إليه وتركتني فأخذتَ تُنْغِض رأسَك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك ، قال وفَطَنْتَ لذاك ؟ قال عثمان : نعم ، قال رسول الله ... : أتاني رسول الله[٥] آنفاً وأنت جالس ، قال : رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فما قال لك ؟ قال:

Ç`»|¡ômM}$#ur ÉAô%‰yèø9$$Î/ ã•ãBù'tƒ ©!$# ¨bÎ) * }
Ïä!$t±ósxÿø9$# Ç`tã Ztƒur4‘sS 4’n1ö•à)ø9$# “ÏŒ Ä›!$tGƒÎ)ur
öNà6¯=yès9 öNä3Ýàìètƒ 4 ÄÓøöt7ø9$#ur Í•x6YßJø9$#ur

---

(١) أي أنه ... جالس أمام بيته .

(٢) أي : أظهر أسنانه ، والتكشير يكون للضحك ، ويكون لإظهار عدم الرضى . والمراد هنا فيما يظهر : الثاني .

(٣) أي تشبه حاله حال من يحادث غيره ، ويتثبت من كلام هذا الذي يحادثه .

(٤) يقول : إنني في جميع المرات التي جالستك فيها لم أرك تفعل مثل فعلك في هذه المرة .

(٥) وهو جبريل – عليه السلام – .

ÇÒÉÈ šcrã • ª.x‹s? } [النحل: ٩٠] .

قال عثمان : فذلك حين استقرَّ الإيمان في قلبي وأحببتُ محمداً[1] .

الفوائد والعبر :

١ – أن الداعية : ينبغي له أن يتحلى بالصبر على ما يصدر من المدعوين تجاهه من أذى في حال دعوته لهم ، وهذا هو حال الدعاة الناجين من الخسارة كما قال تعالى :

} ÇËÈ AŽô£äz ’Å"s9 z`»|¡SM}$# ¨bÎ) ÇÊÈ ÎŽóÇyèø9$#ur ÏM»ysÎ=»¢Á9$# (#qè=ÏJtãur (#qãZtB#uä tûïÏ%©!$# žwÎ) { ÇÌÈ ÎŽö9¢Á9$$Î/ (#öq|¹#uqs?ur Èd,ysø9$$Î/ (#öq|¹#uqs?ur [العصر] .

أما غيرهم من المسلمين ممن قصر في أحد هذه الأمور الأربعة فيخشى عليهم من الخسارة .

٢ – أن الداعية الموفق والناجح في دعوته لا ييأس من استجابة المدعوين ، بل يكرر الدعوة ويستمر فيها حتى يستجيب المدعوون أو يُعذِرَ في دعوته ، فينال الأجر العظيم من الله تعالى .

٣ – أن القرآن هو أعظم معجزة أوتيها نبينا محمد ... ، وهي معجزته الخالدة ، فقد روى البخاري ومسلم عن النبي ... أنه قال : « مامن الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »[2] .

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٩٢٢) ، والبخاري في الأدب المفرد (٨٩٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٦٣٤) ، والطبراني في الكبير (٨٣٢٢) بإسناد محتمل للتحسين ، رجاله حديثهم لا ينزل عن درجة الحسن ، عدا شهر ، ففيه ضعف يسير ، لكن الراوي عنه هنا عبدالحميد بن بهرام ، وأحاديثه عن شهر قوية ، كما قال غير واحد من الحفاظ ، وقال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية السابقه : « إسناد جيد متصل حسن ، قد بين فيه السماع المتصل » ، وقال أحمد شاكر : « إسناده صحيح » .

(٢) صحيح البخاري (٤٩٨١) ، وصحيح مسلم (١٥٢) . قال في جامع الأصول ٥٣٣/٨ : « ليس شيء من كتب ÷ا المنزلة كان معجزاً إلا القرآن » .

فهذه آية واحدة من آيات هذا الكتاب العظيم بهرت بإعجازها اللفظي والمعنوي فصحاء العرب وأساطينهم ، فهي قد اشتملت على الأمر بجل خصال الخير وعلى النهي عن جل خصال الشر ، في ألفاظ قليلة جامعة ، وقد روى البيهقي أن الوليد بن المغيرة سمع من النبي ... هذه الآية فكأنه رق لقراءة القرآن لما سمعها فانكر عليه قومه فقال لهم : ⟪ والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ، ولا بأشعار الجن مني ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته ⟫[1] .

وروى البخاري في الأدب المفرد عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال : ⟪ ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية ⟫[2] .

* * *

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٣٤) وإسناده محتمل للتحسين . وقال العراقي في تخريج الإحياء ٣٢٣/١ : ⟪ إسناده جيد ⟫ .

(٢) الأدب المفرد ، باب الظلم (٤٨٩) ، وينظر : الدر المنثور ١٥٨/٥ – ١٦٣ ، وما نقله في فضل ÷ الصمد ٣٤٠/٢، ٣٤١ ، عن الحافظ ابن القيم في بيان ما اشتملت عليه هذه الآية من ضروب المحاسن والقضايا والأوامر والنواهي والمواعظ والوصايا .

الدرس الثاني عشر

أخبار إسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي ... وركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف

٢٧ – عن يعقوب بن عتبة – رحمه الله – أن أبا جهل اعترض لرسول الله ... بالصفا ، فآذاه ، وكان حمزة رضي الله عنه صاحب قنص وصيد ، وكان يومئذ في قنصه ، فلما رجع قالت له امرأته – وكانت قد رأت ما صنع أبو جهل لرسول الله ... –: يا أبا عمارة لو رأيت ما صنع – تعني أبا جهل – بابن أخيك ؟ فغضب حمزة ، ومضى كما هو قبل أن يدخل بيته ، وهو معلق قوسه في عنقه ، حتى دخل المسجد ، فوجد أبا جهل في مجلس من مجالس قريش ، فلم يكلمه حتى علا رأسه بقوسه ، فشجه ، فقام رجال من قريش إلى حمزة يمسكونه عنه ، فقال حمزة : ديني دين محمد ، أشهد أنه رسول الله ، فوالله لا أنثني عن ذلك ، فامنعوني عن ذلك إن كنتم صادقين . فلما أسلم حمزة عزّ به رسول الله ... والمسلمون ، وثبت لهم بعض أمرهم ، وهابته قريش ، وعلموا أن حمزة – رضي الله عنه – سيمنعه[١] .

٢٨ – وعن سعيد بن جبير – رحمه الله – أن رسول الله ... كان بالبطحاء فأتى عليه يزيد بن ركانه أو ركانه بن يزيد ومعه أعنز له ، فقال له : يا محمد هل لك أن تصارعني ؟ فقال : ﴿ ما تُسبقني ؟ ﴾[٢] قال شاة من

(١) رواه الطبراني (٢٩٢٥، ٢٩٢٦) من مرسل يعقوب بن عتبة ، ومن مرسل محمد بن كعب ، ورجال إسناديهما حديثهم لا ينزل عن درجة الحسن إن شاء ا÷ ، ورواه الحاكم ١٩٢/٣ بإسناد حسن عن ابن إسحاق ، قال : حدثني رجل من أسلم – وكان واعية – ... فذكره ، فالحديث بمجموع هذه المراسيل يقرب من الحسن . وقال الهيثمي ٢٦٧/٩ عن الأول : ﴿ رجاله ثقات ﴾ ، وقال عن الثاني : ﴿ رجاله رجال الصحيح ﴾ ، والرواية الثالثة أخرجها ابن هشام ٢٩١/١، ٢٩٢ أيضاً .

(٢) أي ما الذي تعطيني إن أنا صرعتك .

غنمي . فصارعه ، فصرعه ، فأخذ شاة ، قال ركانه : هل لك في العَوِد[١] ؟ قال : « ما تُسْبِقُنِي ؟ » قال أخرى[٢] . ذكر ذلك مراراً[٣] ، فقال : يا محمد والله ما وضع أحد جنبي إلى الأرض ، وما أنت الذي تصرعني[٤] ، يعني فأسلم ، ورد عليه رسول الله ... غنمه[٥] .

الفوائد والعبر :

١ – أنه ينبغي للداعية إلى الله تعالى تحمل الأذى في سبيل الله وما يلاقيه من المدعوين من أذى كلامي أو جسدي ، أو مالي ، أو غيرها .
٢ – أن الله تعالى قد يمكر بأعدائه ويحبط كيدهم ، فيجعل عملهم في الصد عن دين الله سبباً في هداية بعض من أراد سبحانه وتعالى هدايتهم ، كما حصل لحمزة رضي الله عنه ، وأعظم منه ما حصل لموسى عليه

(١) أي هل لك أن تصارعني مرة أخرى .
(٢) أي أنه قال للنبي ... : أعطيك شاة أخرى من غنمي إن صرعتني .
(٣) المراد أن ركانه كرر هذا الطلب بتكرار المصارعة مراراً ، فتصارعا عدة مرات وفي كل مرة يصرعه النبي ... فيعطيه في كل مرة شاة .
(٤) أي أن ركانة علم أن النبي ... ليس هو الذي يصرعه بقوته المعتادة ، ولكن ا÷ أعانه في ذلك ، فاستدل بذلك على أنه رسول من ا÷ ، وأن ا÷ يؤيده .
(٥) رواه أبو داود في المراسيل (٢٩٩) ، ومن طريقه البيهقي في السنن ١٠/١٨ بإسناد صحيح عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير . ورواه الخطيب كما في الإصابة ٦١٨/٣ ، وأبو الشيخ كما في التلخيص ٢٩٩/٤ بإسنادين أحدهما صحيح والثاني ضعيف عن حماد بن سلمة عن عمرو عن سعيد عن ابن عباس . وإسناد المرسل أقوى . ولهذا المرسل شاهد رواه البيهقي في الدلائل ٢٥٠/٦ من طريق محمد بن عبدا÷ بن يزيد بن ركانة عن جده ركانة . وهو مرسل كما أشار إلى ذلك البيهقي – أي منقطع – ومحمد هذا لم أقف على ترجمته . ولهذين المرسلين شواهد كثيرة متصلة ومرسلة في قصة المصارعة ،
= وفي كونه أسلم رضي ا÷ عنه . وقد جود الرواية المتصلة ابن كثير في البداية ٢٥٦/٤ ، وابن القيم في الفروسية ص٢٠٢ ، وحسنها الألباني في الارواء (١٥٠٣) . وينظر في شواهد هذه الروايات : الإصابة٥٠٦/١ ، والسيرة الذهبية ٥٦٨/٢، ٥٦٩ .

السلام ، حيث جعل كيد فرعون سبباً في تربيته لنبيه موسى عليه السلام في قصره ، وجعل قتله على يديه .

٣ – أن العبد قد يدخل في دين الله أو يعمل العمل الصالح من غير إخلاص ، بل لأمر دنيوي كحمية أو مصلحة مالية أو نحوهما فما يلبث أن يقوى إيمانه ويخلص في أعماله لله تعالى ، كما هي حال حمزة – رضي الله عنه – .

٤ – في قصة ركانة – فيما يظهر – دليل من دلائل النبوة ، ولهذا كان سبب إسلامه – رضي الله عنه – ما تيقن به من أن سبب صرع النبي ... له في كل مرة هو تأييد الله وعونه لنبيه عليه الصلاة والسلام .

٥ – جواز المصارعة التي لا ضرر فيها على المتصارعَيْن ، أما المصارعة التي فيها ضرر على أحدهما كما يحصل في المصارعات والملاكمات في العصر الحاضر فهي محرمة ، لحديث : « لا ضرر ، ولا ضرار »[1] ، ومثل المصارعة بقية الألعاب الأخرى ، فما كان منها لا ضرر فيه وليس فيه محظور شرعي آخر فهو جائز ، وما كان بخلافه فهو محرم .

٦ – جواز أخذ المال من قبل الغالب في المصارعة ونحوها إذا تبرع به أحد المتصارعين ، ومثله إذا دفعه طرف ثالث ، أما إذا كان هذا المال يدفعه المغلوب منهما فقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أنه من القمار المحرم[2] .

* * *

(١) رواه الإمام مالك ٧٤٥/٢ ، والإمام أحمد (٢٨٦٥) ، وابن ماجه (٢٣٤٠) ، والدارقطني ٢٢٨/٤ وغيرهم من طرق يشد بعضها بعضاً ، فهو حسن بمجموع طرقه ، وقد توسعت في تخريجه في رسالة : « الأجل في القرض » ص٩١، ٩٢ .

(٢) ينظر في مسائل المصارعات ونحوها : « الفروسية » لابن القيم وتعليق محققه عليه ، و « المسابقات » للدكتور سعد الشثري .

الدرس الثالث عشر

خبر إسلام بعض الجن في أول البعثة

٢٩ – عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال : ‹‹ ما قرأ رسول الله ... على الجن وما رآهم ، انطلق رسول الله ... في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ[١] وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب .

قالوا : وما ذاك إلا من شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة برسول الله ... وهو بنخلة[٢] وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، وقالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ، فأوحى الله إلى نبيه :

Ö • xÿtR yìyJtGó™$# çm¯Rr& ¥’n<Î) zÓÇrré& ö@è% }
Çd`Ågù:$# z`ÏiB { [الجن: ١] رواه البخاري ومسلم[٣] .

الفوائد والعبر :

١ – الإيمان بعالم الجن ، وأن منهم المؤمن ومنهم الكافر ، فيجب على المسلم أن يؤمن بذلك كله ، لثبوته في القرآن والسنة ، ومن أنكر ذلك فهو راد لهما ، مكذب لهما ، وهذا كفر مخرج من الملة .

٢ – أن رسالة النبي ... عامة إلى الثقلين الجن والإنس .

---

(١) وهو سوق يقع شمالاً شرقيا عن مدينة الطائف ، قرب الحوية ، ينظر معجم الأماكن الوارد ذكرها في صحيح البخاري للجنيدل ص٣٢٩ .

(٢) نخلة : مكان بين مكة والطائف .

(٣) صحيح البخاري : التفسير (٤٩٢١) ، وصحيح مسلم (٤٤٩) .

٣ – سرعة استجابة بعض الجن للحق ، وأنهم خير من بعض الإنس الذين لا يقبلون الحق أو يترددون في قبوله ، وقد روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم النفر من الجن ، واستمسك الإنس بعبادتهم ، فنزلت :

4’n<Î) šcqäótGö6tƒ šcqãäô‰tƒ tûïÏ%©!$# y7Í´¯»s9'ré& } s's#‹Å™uqø9$# ÞOÎgÎn/u‘ {[1] .

٤ – ثبوت استراق الجن لخبر السماء ، وقد روى البخاري من طريق سفيان الثوري عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن نبي الله ... قال : إذا قضى الله الأمر في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله[2] ، كأنه[3] سلسلة على صفوان[4] ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق[5] وهو العلي الكبير . فيسمعها مسترق السمع ، ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض ، ووصف سفيان بكفه فحرفها ، وبدد بين أصابعه ، فيسمع الكلمة ، فيلقها إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن[6] فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة

(١) صحيح البخاري (٤٧١٥) ، وصحيح مسلم (٣٠٣٠) .
(٢) أي إذا تكلم جل وعلا بالوحي صعقوا ، وخروا سجدا ، وضربوا بأجنحهم خضوعاً ÷ تعالى .
(٣) أي كلام ا÷ تعالى .
(٤) جاء في حديث ابن مسعود مرفوعاً (إذا تكلم ا÷ بالوحي يسمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان ، فيفزعون) .
(٥) جاء في حديث النواس بن سمعان أن أول من يرفع رأسه منهم جبريل عليه السلام ، فيكلمه ا÷ تعالى من وحيه بما أراد ، فينتهي به على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكته : ماذا قال ربنا ؟ قال : الحق . فينتهي به حيث أمر .
(٦) أي أن الجن الذين يسترقون السمع يكون بعضهم فوق بعض ، حتى يكون أعلاهم يسمع كلام الملائكة بخبر السماء فيخبر به من تحته ، وهكذا حتى يخبر آخرهم الكاهن من الأنس .

كذبة[١] فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء[٢] .

وكثير من ضعاف الإيمان إذا أخبره الكاهن بأمر ثم وقع ما أخبر به هذا الكاهن ، ظن أن الكاهن يعلم الغيب ، وصدقه في كل ما يخبر به من الأمور المستقبلة ، وهذا والعياذ بالله كفر مخرج من الملة ، فقد روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن النبي ... أنه قال: ﴿ من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ... ﴾[٣] ولذلك فإنه يجب على المسلم الحذر من الذهاب إلى الكهان ومن تصديقهم لئلا يقع في الكفر من حيث يعلم أو لا يعلم .

* * *

(١) أي أن الساحر أو الكاهن إذا أخبره الجن بالكلمة من خبر السماء كذب معها مائة كذبة ، ثم أخبر بجميع ذلك الناس .

(٢) صحيح البخاري : التفسير (٤٨٠٠) وينظر في شرح عبارات هذا الحديث : جامع الأصول ٣٢٨/٢ ، ٣٢٩ ، الفتح ٥٢٨/٨ ، ٥٢٩ .

(٣) المسند ٤٢٩/٢ .

الدرس الرابع عشر

قصة إسلام أصحمة النجاشي ملك الحبشة

٣٠ – عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال : أمرنا رسول الله ... أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي ، قال : فبلغ ذلك قومنا ، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وجمعوا للنجاشي هدية ، فقدمنا وقدما على النجاشي ، فأتوه بهديته فقبلها ، وسجدوا ، ثم قال له عمرو بن العاص : إن قوماً منا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك ، فقال لهم النجاشي : في أرضي ؟ قالوا : نعم ، فبعث إلينا فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد ، أنا خطيبكم اليوم ، قال : فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره ، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين[1] ، وقد قال له عمرو بن العاص وعمارة : إنهم لا يسجدون لك ، قال : فلما انتهينا إليه زبرنا من عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك[2] ، فقال جعفر : لا نسجد إلا لله ، فلما انتهينا إلى النجاشي قال : ما يمنعك أن تسجد ؟ قال : لا نسجد إلا لله ، قال له النجاشي : وما ذاك ؟ قال : إن الله بعث فينا رسوله ، وهو الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم :

ÿ¼çmèÿôœ$# èt/ﷲ“Ï‰ .`ÏB ’ÏAù'tƒ 5Aqß™u • Î/ }
. { (qr&ﷲß‰uH

فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر ، قال : فأعجب النجاشي قولُه ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أصلح الله الملك ، إنهم يخالفونك في ابن مريم ؟ فقال النجاشي لجعفر : ما يقول صاحبك في ابن مريم ؟ قال : يقول

---

(١) أي أن القسيسين – وهم العلماء من النصارى – ، والرهبان – وهم العباد منهم – كانوا جالسين سماطين ، والسماط : الصف .

(٢) أي نهروهم معاتبين لهم على عدم سجودهم للنجاشي .

فيه قول الله : هو روح الله وكلمته[١] ، أخرجه من البتول[٢] العذراء التي لم يقربها بشر ، قال : فتناول النجاشي عوداً من الأرض ، فقال : (يا معشر القسيسين والرهبان ، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقول في ابن مريم ما يزن هذه ، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله والذي بشر به عيسى بن مريم ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه ، امكثوا في أرضي ما شئتم) . وأمر لنا بطعام وكسوة ، وقال : ردوا على هذين هديتهما ، قال : وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيرا ، وكان عمارة بن الوليد رجلاً جميلاً ، قال : وكانا لما أقبلا في البحر إلى النجاشي ، شربا الخمر ، قال : ومع عمرو بن العاص امرأته ، فلما شربا الخمر قال عمارة لعمرو : مر امرأتك فلتقبلني ، فقال له عمرو : ألا تستحي ، فأخذه عمارة فرمى به في البحر ، فجعل عمرو يناشده حتى أدخله السفينة ، فحقد عليه عمرو ذلك ، فقال عمرو للنجاشي بعدما قدما عليه : إنك إذا خرجت خلف عمارة في أهلك ، قال : فدعا النجاشي بعمارة فنفخ في إحليله[٣] ، فصار مع الوحش[٤][٥] .

---

(١) سمي المسيح عليه السلام : (روح الله) لأن الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام فنفخ في درع مريم فحملت بعيسى عليه السلام ، وهذه الإضافة إلى الله للتفضيل ، وإلا فإن جميع الأرواح من خلقه تعالى . وسمي (كلمة الله) لأن الله خلقه بكلمة (كن) ، فكان بشراً من غير أب .

(٢) البتول من النساء : هي التي انقطعت عن الرجال ، فلم تتزوج . وبه سميت مريم – رضي الله عنها – لتركها الزواج .

(٣) الإحليل : ذَكَرُ الرَّجل .

(٤) جاء في رواية موسى بن عقبة لهذه القصة كما عند البيهقي في الدلائل ٢/٢٩٦ قال : ‹‹ فمكر عمرو بعمارة ، فقال : يا عمارة إنك رجل جميل ، فاذهب إلى امرأة النجاشي ، فتحدث عندها إذا خرج زوجها ، فإن ذلك عون لنا في حاجتنا ، فراسلها عمارة حتى دخل عليها ، فلما دخل عليها انطلق عمرو إلى النجاشي ، فقال له : إن صاحبي هذا صاحب نساء ، وإنه يريد أهلك ، فاعلم ذلك ، فبعث النجاشي ، فإذا عمارة عند امرأته ، فأمر به فنفخ في إحليله ، ثم ألقي في جزيرة من البحر ، فجن واستوحش مع الوحش ، ورجع عمرو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه وخيب مسيره ومنعه حاجته ›› .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في المغازي باب ما جاء في الحبشة وأمر =

الفوائد والعبر :

١ û أن الكفار لا يتركون وسيلة لحرب الإسلام وأهله إلا عملوها ، فهؤلاء المسلمون هاجروا إلى أرض نائية وراء البحار ولم يصدر منهم أذى للمشركين ومع ذلك حرص الكفار على صدهم عن دينهم .

٢ û أنه السجود لا يجوز إلا لله تعالى ، سواء أكان سجود عبادة أم سجود تحية ، ومثل السجود : الركوع والانحناء ، فلا يجوز في شريعة الإسلام أن يفعل المسلم شيئا من ذلك إلا الله تعالى ، وقد قال النبي ... : ‹‹ ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد ››[(١)] ، وسئل ... عن الرجل يلقى أخاه أو صديقه أينحني له ؟ فقال ... : ‹‹ لا ››[(٢)] .

٣ û من وسائل الدعوة إلى الله تعالى تذكير المدعو بما يؤمن به من الحق ، ليكون ذلك – بمشيئة الله – سبباً في قبوله للدعوة .

٤ û أن الغيرة على المحارم من أخلاق الرجال التي جبلوا عليها، ولا يتخلى عن هذه الغيرة أو يقصر فيها إلا ديوث .

٥ û أن الهداية هبة من الله تعالى وفضل، فقد يهدي جل وعلا على يدي المسلم البعيد في القرابة والمكان ولا يكتب الهداية على يديه لأقرب أقربائه .

٦ û خبث الخمر ، فهي أم الخبائث ، فهي سبب لفساد الدين والعقل والمال وسبب لحدوث العداوات بين الناس ، كما قال تعالى :

yìÏ%qãƒ br& ß`»sÜø‹¤±9$# ß‰ƒÍ•ãƒ $yJ¯RÎ) }
’Îû uä!$ŸÒøót7ø9$#ur nour¨y‰yèø9$# •t/ﷲãNä3uZ
«!$# Í•ø.ÏŒ `tã öNä.£‰ÝÁtƒur •yJø9$#urﷲÎŽÅ£ Ksƒù:$#ﷲÍ•
{ ÇÒÊÈ tbqåkyJZ–B LäêRr& ö@ygsù (Ïo4qn=¢Á9$# Ç`tãur

النجاشي وقصة إسلامه ٣٤٦/١٤ – ٣٤٨ ، والبيهقي ٢٩٩/٢ ، والحاكم ٣٠٩/٢، ٣١٠ بإسناد صحيح . وقد صححه الحاكم والبيهقي . وله شاهد بنحوه دون قصة عمارة من حديث ابن مسعود ، رواه أحمد ٤٦١/١ بإسناد حسن ، وقد حسنه الحافظ في الفتح ١٧٩/٧ ، وقال ابن كثير في البداية ١٧٤/٤ : ‹‹ إسناد جيد ، وسياق حسن ›› ، وله شاهد ثالث من حديث أم سلمة ، رواه الإمام أحمد ٢٩٠/٥ ، ٢٩١ . مطولاً بإسناد حسن .

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٤١٦٢) وغيره بإسناد حسن .

(٢) رواه الإمام أحمد ١٩٨/٣ ، والترمذي (٢٧٢٨) وحسنه .

[المائدة: ٩١] .

٧ û أن الله تعالى قد يعجل العقوبة للكفار ولكل من يحارب شرع الله تعالى ويؤذي المسلمين ، وقد يؤخر عقوبته جل وعلا استدراجاً له حتى يأخذه على حين غفلة دون أن يحدث توبة ، كما قال تعالى :

} Ÿwur žútù|¡óss? ©!$# ¸xÏÿ»xî $£Jtã ètƒﷲã@yJ
#$9à©»=ÏJßqcš 4 $yJ¯RÎ) ½jzxsãƒ •öNèdã 5QöquŠÏ9 ßÈy,ô±n@
ÏmŠÏù #${F/öÁ|»• ã ÇÍËÈ { [إبراهيم: ٤٢] .

* * *

الدرس الخامس عشر
قصة إسلام إياس بن معاذ

٣١ – عن محمود بن لبيد – رضي الله عنه – ، قال : لما قدم أبو الحَيْسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن مُعاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج[١] ، سَمِعَ بهم رسول الله ... ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : « هل لكم في خير مما جئتم له ؟ » فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : « أنا رسول الله بعثني إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليّ الكتاب » قال : ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

قال : فقال إياس ابن مُعاذ ، وكان غلاماً حدثاً : أي قوم ، هذا والله خيرٌ مما جئتم له . قال : فيأخذ أبو الحيْسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء ، فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دَعْنَا منك ، فلَعمري لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسولُ الله ... عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرني مَنْ حضره من قومه عند موته : أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلّل الله تعالى ويكبّره ويحمده ويسبّحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله ... ما سمع[٢] .

العظات والعبر :

(١) أي أنهم جاءوا يطلبون من قريش أن تعينهم وتناصرهم في حربهم التي بينهم وبين أبناء عمومتهم الخزرج .
(٢) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٤٢٧/٢ ، ٤٢٨ ، وأحمد ٤٢٧/٥ ، والبخاري في تاريخه الكبير ٤٤٢/١ ، والحاكم ١٨٠/٣ ، ١٨١ بإسناد حسن . وقد صححه الحافظ في الإصابة ١٢٠/١ .

١ – من وسائل الدعوة الذهاب إلى المدعوين في مجالسهم وأماكن تواجدهم لإيصال الدعوة والخير إليهم .

٢ – على الداعية الاهتمام بالدعوة إلى التوحيد والتحذير مما ينقضه أو ينقصه .

٣ – التذكير بالقرآن والاستشهاد بنصوصه ونصوص سنة المصطفى ... من أهم وسائل الدعوة ، قال الله تعالى :

{ ÇÍÎÈ Ï‰ŠÏãur ß$$sƒs† `tB Èb#uäö • à)ø9$$Î/ ö • Ïj.x‹sù } [ق: ٤٥] .

٤ – أن الانقياد لشرع الله ونصرة دينه هو أعظم أسباب النصر ، كما قال تعالى :

©!$# žcÎ) 3 ÿ¼çnãŽÝÇYtƒ `tB ª!$# žcuŽÝÇZuŠs9ur } ÇÍÉÈ î“ƒÍ“tã :”Èqs)s9 { [الحج: ٤٠] .

وهذا بلا شك خير من المعاهدات والأحلاف مع البشر . ولهذا قال رسول الله ... كما في هذا الحديث ﴿ هل لكم إلى خير مما جئتم له ﴾ .

٥ – تحمل الأذى في ذات الله خلق من أخلاق المؤمنين والدعاة الصابرين ، وسبب من أسباب الثبات على دين الله .

٦ – أن من ثبت على دين الله ودعا إليه وصبر على الأذى فيه حري أن يوفق للخاتمة الحسنة ، كما وفق إياس – رضي الله عنه – لذلك .

* * *

الدرس السادس عشر

إسلام عَدَّاس

٣٢ – عن محمد بن كعب القرظي : قال : لما انتهى رسول الله ... إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، فجلس إليهم رسول الله ... فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام على من خالفه من قومه(١) ، فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك(٢) ، وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك(٣) ؟! ، وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك(٤) .

فقام رسول الله ... من عندهم وقد يئس من خير ثقيف(٥) ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حبلة من عنب(٦) ، فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف .

فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ، وما لقي ، تحركت له رَحِمُهُما ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قطفاً من هذا

---

(١) أي طلب منهم أن ينصروه ويحموه ليدعوا إلى الإسلام بعد دخولهم فيه ، وأن يعينوه على مواجهة من لم يسلم من قريش وغيرهم .

(٢) وهذا تكذيب منه لنبوة النبي ... ، وردٌّ سيء .

(٣) وهذا ردٌّ أسوأ من رد سابقه .

(٤) وهذا الرد من الثالث أقل سوءاً من ردّ صاحبيه ، وهو نوع من أنواع كفر الإعراض ، فهو أعرض عن النظر فيما دعاه إليه النبي ... .

(٥) أي يئس أن يجد عندهم خيراً ، وذلك أنه يئس من إسلام أحد منهم .

(٦) أي شجرة من عنب .

العنب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه ، فلما جاءه عدّاس قال رسول الله : من أي البلاد أنت يا عدّاس ؟ . قال : من أهل نينوى[1] . فقال رسول الله ... : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله : ذاك أخي ، كان نبياً وأنا نبي ، فأكبّ عدّاس على رسول الله ... يقبل رأسه ويديه وقدميه .

فقال أحد ابنا ربيعة لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عدّاس قالا له : ويلك يا عدّاس ! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ، ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي . قالا له : ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك – وهو النصرانية – خير من دينه[2] .

الفوائد والعبر :

١ – وجوب تحمل الأذى في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وتطبيق شرعه .

٢ – أنه ينبغي للداعية أن يتحلّى بالصبر والعفو عن من أساءَ إليه من

---

(١) وهي مدينة من مدن العراق .

(٢) رواه إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٤١٩/٢ عن يزيد بن أبي زياد ، عن محمد بن كعب . وفي إسناده ضعف يسير ، من أجل يزيد ، وهو مرسل .

= وله شاهد من مرسل الزهري رواه عنه تلميذه موسى بن عقبة في مغازيه كما في السيرة لابن كثير ١٣٥/٢ ، ومن طريق ابن عقبة رواه البيهقي في الدلائل ٤١٥/٢ – ٤١٧ ، وهو مرسل صحيح ، وله شاهد آخر من مرسل سليمان التيمي في مغازيه كما في الروض الأنف ٢٣٤/٢ ، والإصابة ٤٥٩/٢ . ولكثير من أجزاء هذا الحديث شواهد أخرى ، تنظر في الإصابة ، وطبقات ابن سعد ٢١١/١ ، والمجمع ٣٥/٦ ، وفي بعض هذه الشواهد أن عدّاساً قال : ‹‹ أشهد أنك عبده ورسوله›› .

وبالجملة هذه الشواهد ضعفها ليس قوياً ، فيرتقي بها مرسل كعب إلى درجة الحسن لغيره . وا÷ أعلم .

المدعوِّين ، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما[١] عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ... فقالت : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحُد ؟ فقال النبي ... : « لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ؛ إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي[٢] ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب[٣] ، فرفعت رأسي ، فإذا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد أرسل الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال فسلّم علي ، ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين[٤] . فقال النبي ... : « بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً » .

٣ – في رد بني عبد ياليل السيء بيان لسفاهة الكفار وضلالهم وتلاعب الشيطان بهم ، وهذا شأن كل من عصى الله تعالى ، فإن الشيطان يتلاعب به ويستحوذ عليه حتى يريه الباطل حقاً والحق باطلاً .

ولهذا يجب على كل عاقل أن يتبع شرع الله تعالى الذي أنزله خالق البشر الذي يعلم ما يصلحهم في عاجل أمرهم وآجله ، وأن يبتعد عن معصية الله ، فهي عنوان السفه ، ويكفي أن صاحبها يحرم نفسه دخول الجنة ، ويعرضها لدخول نار جهنم من أجل معاصي لا يستفيد منها شيئاً ، وإنما هي طاعة لعدوه الشيطان الذي همه أن يدخل بني آدم معه في نار جهنم . نسأل الله السلامة والعافية .

٤ – أن الغنى والمنصب وما يكون فيه الإنسان من الترف قد يكون

---

(١) صحيح البخاري : بدء الخلق (٣٢٣١) ، وصحيح مسلم : الجهاد (١٧٩٥) .
(٢) أي انطلقت إلى الجهة المقابلة لوجهي .
(٣) القرن الجبل الصغير المنقطع من جبل كبير ، والمراد قرن المنازل الذي هو ميقات أهل نجد .
(٤) الأخشبان : جبلان بمكة ، أحدهما أبو قبيس ، وجبل آخر مقابل له ، وينظر في شرح عبارات هذا الحديث : شرح صحيح مسلم للنووي ١٥٥/١٢ ، الفتح ٣١٥/٦ ، المرقاة ٤١١/٥ .

من أعظم الأسباب التي تصدّ عن اتباع الحق والسير على الصراط المستقيم ، فالله تعالى يختبر العباد بهذه المتع والزينة لينظر هل يقدمونها على طاعة الله أم لا ؟ كما قال تعالى :

$ol°; ZpsYƒÎ— ÇÚö'F{$# 'n?tã $tB $sYù=yèy_ $¯RÎ) }
WxyJtã ß`|¡ômr& öNåkš‰r& óOèduqè=ö7sYÏ9 { [الكهف: ٧] .

فكثير من الناس تتغلب عليهم هذه الشهوات فلا ينقادون للحق ؛ ولهذا جاء في هذا الحديث أن أغنياء أهل الطائف وزعماءهم لما ينقادوا للحق ، وكذلك عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وفي المقابل نجد عدّاساً هذا العبد المملوك سارع للاعتراف بالحق والتصديق بنبوة النبي ... .

* * *

الدرس السابع عشر

خبر إسلام أوائل الأنصار بسبب استفتاح اليهود عليهم وإخبارهم لهم بقرب بعثة النبي …

٣٣ – عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا ، لما كنا نسمع من رجال يهود ، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل الكتاب ، عندهم علم ليس لنا[١] ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يُبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم[٢] ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله … أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنا به ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة :

×- «!$# Ï‰YÏã ô`ÏiB Ò=»tGÏ. öNèduä!%y` $£Js9ur }
ã@ö6s% `ÏB (#qçR%x.ur öNßgyètB $yJÏj9 Ïd‰|ÁãB
$£Jn=sù [٣](#rã•xÿx. tûïÏ%©!$# ’n?tã šcqßsÏFøÿtGó¡tƒ
«!$# èn=sùªèpuZ 4 ¾ÏmÎ/ (#rã•xÿŸ2 (#qèùu•tã $¨B Nèduä!$y_
ÇÑÒÈ šúïÍ•Ïÿ»s3ø9$# ’n?tã { [البقرة: ٨٩][٤] .

---

(١) أي أن اليهود عندهم علم ليس عند مشركي العرب ، لأن اليهود أهل الكتاب ، فهم عندهم علم لكن لم يعملوا به ، فهم مغضوب عليهم لأنهم لم يعملوا بعلمهم .

(٢) قيل : إن إرم : عاد الأولى ، وقيل : بيت مملكة عاد . ينظر تفسير ابن كثير لآية (٧) من سورة الفجر ، ولسان العرب ١٥/١٢ .

(٣) استفتاح اليهود على مشركي العرب هو ماذكر في هذا الحديث من قول اليهود : إنه قد تقارب – أي قرب – زمان نبي – يعنون محمدا … – يبعث الآن ، أي أنه قد حان وقت بعثته ، فنتبعه إذا بعث ، ونقتلكم معه .

(٤) رواه ابن إسحاق في السيرة : قصة الأحبار ، ص٦٣ ، ومن طريقه ابن جرير في تفسير الآية ٨٩ من البقرة بإسناد حسن ، وسيأتي هذا الخبر مطولاً قريباً إن شاء ا÷ تعالى .

٣٤ – وعن سلمة بن سلامة الأشهلي الأنصاري – رضي الله عنه – وكان من أصحاب بدر ، قال : كان لنا جار من يهود في بني عبدالأشهل(١) ، قال : فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ... بيسير ، فوقف على مجلس بني عبدالأشهل . قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً ، عليّ بردة مضطبع فيها بفناء أهلي ، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يا فلان ! ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ويجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : (نعم والذي يحلف به(٢) ، لود أن له بحظه من تلك النار(٣) أعظم تنور في الدنيار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه وأن ينجو من تلك النار غداً) ، قالوا له : ويحك وما آية ذلك ؟(٤) قال : (نبي يبعث من نحو هذه البلاد)، وأشار بيده نحو مكة واليمن ، قالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً ، فقال : (إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه)(٥).

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار(٦) حتى بعث الله تعالى رسوله

---

(١) (بنو عبدالأشهل) فخذ من الأنصار ، وكانوا بالمدينة .

(٢) أي أن اليهود أقسم أنه يود ... إلخ ، ولم يذكر سلمة الأمر الذي أقسم به اليهودي .

(٣) من عقائد اليهود أن كل واحد منهم سيدخل النار مدة يسيرة ثم يخرج منها ، كما أخبر ÷ا عن ذلك بقوله : } YB§ƒr& HwÎ) â'$¨Y9$# $uZ¡¡yJs? `s9 (#qä9$s%ur 4 ZoyŠrß‰÷è¨B { [البقرة: ٨٠] . فعند اليهود أنهم سيدخلون النار أياماً معدودة ، قيل : إنها الأيام التي عبدوا فيها العجل ، وقيل غير ذلك . ويزعمون أنهم سيخرجون بعد هذه الأيام المعدودة ، والحق أن من مات منهم على دينه بعد بعثة النبي ... أو قبله وهو مشرك وعنده علم ، فهو خالد في نار جهنم ، أعاذنا ÷ا منها .

(٤) أي ما علامة صحة وجود البعث والجنة والنار والجزاء .

(٥) أي أن هذا الغلام – وهو سلمة – إن يكبر ولا يموت وهو صغير فسيدرك مبعث هذا النبي لقرب مبعثه .

(٦) كأن هذا مثل يضرب لقرب حصول الشيء ، أي لم نجلس إلا مدة حتى بعث النبي ... .

… ، وهو[١] حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً ، فقلنا : ويلك يا فلان ! ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : (بلى وليس به[٢])[٣] .

الفوائد والعبر :

١ – أنه ينبغي للمسلم أن يتذكر دائماً نعمة الله عليه بهدايته إياه إلى الإسلام ، وأن يشكر الله تعالى على ذلك بقلبه ولسانه وجوارحه .
٢ – أن العداوة والبغضاء لا تمنع المسلم من أن يعترف بما عند عدوه من علم أو فضل .
٣ – أن اليهود مغضوب عليهم ، لأن معهم علم لم يعملوا به ، ولهذا قال الله عنهم في الآية السابقة :

4 ¾ÏmÎ/ (#rã•xÿŸ2 (#qèùu•tã $¨B Nèduä!$y_ $£Jn=sù } . {

وهذا يدل على خبث اليهود وقسوة قلوبهم ، بل يدل على سفههم وقلة عقولهم ، إذ كيف يعلم أحدهم نبوة النبي … وأنه إن مات غير مؤمن به كان من حطب جهنم خالداً فيها ، ومع ذلك يصر على الكفر به ويبقى على دين اليهود المحرف المنسوخ .
٤ – أنه يجب على المسلم أن يحذر مما وقع فيه اليهود من عدم العمل بما علموا من الحق ، وأن يحذر من الوقوع فيما وقع فيه بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام من التشبه بهم في ذلك كبعض غلاة الصوفية الذين يتعلمون العلم للبركة فقط كما يقولون .

---

(١) أي اليهودي .
(٢) في الرواية الأخرى : قال سلمة بن سلامة : فقضى ا÷ أن جاء بالنبي … المدينة ، فقلت : هذا النبي قد جاء ، فقال اليهودي : أما وا÷ إنه لأنه – أي أن هذا هو النبي الذي أخبرتكم عنه – قال سلمة : فقلت : ما لك عن الإسلام ؟ فقال : وا÷ لا أدع اليهودية . ينظر المجمع ٢٣٠/٨ ، وعزاها للطبراني ، ويقارن بلوغ الأماني ١٨/٢١ .
(٣) رواه إسحاق في السيرة قصة الأحبار ، ص٦٣ ، ٦٤ ، رقم (٦٤) ، ومن طريقة الإمام أحمد ٤٦٧/٣ بإسناد حسن .

٥ – من أساليب الدعوة تذكير المدعو بما يؤمن به ويعتقده ويقتنع به من الحق لعل ذلك يكون سبباً في قبوله للدخول في الإسلام أو التزامه بجميع أحكامه إن كان من المسلمين .

* * *

الدرس الثامن عشر
خبر إسلام بعض الأنصار وبيعة العقبة الأولى

٣٥ – عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله ... قال لهم : « ممن أنتم ؟ » قالوا : نفر من الخزرج .
قال : « أمن موالي يهود ؟ » قالوا : نعم[1] . قال : « أفلا تجلسون أكلمكم ؟ » قالوا : بلى . قال : فجلسوا معه ، فدعاهم رسول الله ... إلى الله – عز وجل – ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، وكان مما صنع الله لهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانت الأوس والخزرج أهل شرك ، وأصحاب أوثان ، فكانوا إذا كان بينهم شيء ، قالت اليهود : إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه[2] ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما كلم رسول الله ... أولئك النفر ودعاهم إلى الله – عز وجل – قال بعضهم لبعض يا قوم اعلموا والله أن هذا النبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه ، فأجابوه لما دعاهم إلى الله عز وجل ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى الله عز وجل أن يجمعهم الله بك ، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله ... راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا وهم فيما يزعمون ستة نفر من الخزرج ، منهم من بني النجار : أسعد بن زرارة وهو أبو أمامة ، وعوف بن مالك بن رفاعة ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعقبة بن عامر بن زياد ، وجابر بن عبدالله .

قال : فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ... ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر

---

(١) وذلك أن بينهم وبين اليهود تناصر وتحالفات .
(٢) أي أتى زمن بعثته .

من رسول الله ... . حتى إذا كان العام المقبل أتى الموسم[١] اثنا عشر رجلاً من الأنصار ، فلقوا رسول الله ... بالعقبة ، وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله ... بيعة النساء ، قبل أن تُفْتَرَضَ الحرب[٢] .

الفوائد والعبر :

١ û في هذا الحديث دليل من دلائل نبوة نبينا محمد بن عبدالله ... ، وهو أخبار اليهود بوقت بعثته ... .

٢ û أن اليهود مغضوب عليهم ، لأنهم يعلمون الحق ولا يعملون به ، فهم كانوا يستفتحون على الذين كفروا – والاستفتاح هو ما ذكر في هذا الحديث – فلما بعث النبي ... وكان من العرب – وكانوا يحتقرون العرب – لم يسلموا بغياً وحسداً ، قال الله تعالى :

×- «!$# Ï‰YÏã ô`ÏiB Ò=»tGÏ. öNèduä!%y` $£Js9ur } ã@ö6s% `ÏB (#qçR%x.ur öNßgyètB $yJÏj9 Ïd‰|ÁãB Nèduä!$y_ $£Jn=sù (#rã•xÿx. tûïÏ%©!$# ’n?tã šcqßsÏFøÿtGó¡tƒ ’n?tã «!$# èn=sùﷲèpuZ 4 ¾ÏmÎ/ (#rã•xÿŸ2 (#qèùu•tã $¨B #$9ø3s»ÿÏ•íúš ÈÒÑÇ { [البقرة: ٨٩] .

ولهذا يدعو المسلم في كل صلاة عند قراءته للفاتحة أن يجنبه الله طريقهم .

٣ û أن الكفر والشرك ومعصية الله تعالى وعدم التمسك بالأخلاق الإسلامية سبب لحصول الفرقة وحصول الشقاق .

٤ û أن التمسك بالإسلام والالتزام بأحكامه وأخلاقه التزاماً صحيحاً

---

(١) أي موسم الحج .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل ٤٣٣/٢ – ٤٣٥ ، وأبو نعيم في الدلائل ص٢٥٣ ، وسنده حسن . وهذه البيعة هي البيعة التي لا ذكر للحرب فيها ، وهي التي يبايع بها النساء عادة لأنهن لا جهاد عليهن ، وقد ذكرها ا÷ تعالى بقوله :

àM»sYÏB÷sßJø9$# x8uä!%y` #sŒÎ) •ÓÉ<¨Z9$# $pkš‰r'¯»tƒ } Ÿwur $Z«ø‹x© «!$$Î/ šÆø.ÎŽô³ç„ žw br& #’n?tã y7uZ÷èÎƒ$t7ãƒ Ÿwur £`èdy‰»s9÷rr& z`ù=çFø)tƒ Ÿwur tûüÏR÷“tƒ Ÿwur z`ø%ÎŽô£tƒ £`Îk‰Ï‰÷ƒr& tû÷üt/ ¼çmuZƒÎŽtIøÿtƒ 9`»tFôgç6Î/ tûüÏ?ù'tƒ £`ßg÷èÎƒ$t6sù 7$rÞ•÷êtB ’Îû y7sYŠÅÁ÷ètƒ Ÿwur ÆÎgÏ=ã_ö‘r&ur { ÇÊËÈ ×LìÏm§‘ Ö‘qàÿxî ©!$# ¨bÎ) ( ©!$# £`çlm; ö•ÏÿøótGó™$#ur [الممتحنة: ١٢] .

سبب للألفة وذهاب الشحناء والفرقة والعداوات .

٥ û أن من فقه شيئاً من أمور الإسلام وكان على بصيرة فيه شرع له أن يدعو إلى هذا الشيء الذي علمه ، ولا يشترط في الداعية أن يكون من العلماء ، فإن هذا من الشبهات التي يثبط بها الشيطان كثيراً من المسلمين عن الدعوة إلى الله تعالى ، فالصحيح أن من علم أمراً وجب عليه الدعوة إليه ، ولهذا رجع هؤلاء المسلمون من الأنصار وهم حديثو عهد بإسلام دعاة بين قومهم وأهل ديارهم ، قال الله تعالى :

} ö@è% ¾ÍnÉ‹»yd þ’Ì?Š Î6y™ (#ûqãã ôŠr& ’n<Î) «!$# 4 4’n?tã >ouŽ• ÅÁt/ O$tRr& Ç`tBur ÓÉ_yèt6¨?$# { [يوسف: ١٠٨] .

فكل من اتبع النبي ... وجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى فيما عنده بصيرة فيه .

الدرس التاسع عشر

قصة إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وقومهما بني عبد الأشهل

٣٦ – عن عبدالله بن أبي بكر بن حزم ، وعبدالله بن المغيرة بن معيقيب ، قالا : بعث رسول الله ... مصعب بن عمير مع النفر الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى إلى المدينة يفقه أهلها ، ويقرئهم قالا : وكان منزله على أسعد بن زرارة ، وكان إنما يسمى بالمدينة المقرئ ، فخرج به يوماً أسعد بن زرارة إلى دار بني عبد الأشهل فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر، وهي قرية لبني ظفر دون قرية بني عبد الأشهل – وكانا ابني عم – يقال لها بئر مرق ، فسمع بهما سعد بن معاذ وكان ابن خالته أسعد بن زرارة ، فقال لأسيد بن حضير : إئت أسعد بن زرارة فازدجره عنا فليكف عنا ما نكره ، فإنه قد بلغني أنه قد جاء بهذا الرجل الغريب معه يتسفه به سفهاؤنا وضعفاؤنا ، فإنه لولا ما بيني وبينه من القرابة كفيتك ذلك .

فأخذ أسيد بن حضير الحربة ، ثم خرج حتى أتاهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة ، قال لمصعب بن عمير : هذا والله سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه[1] . قال : إن يقعد أكلمه .

فوقف عليهما متشتماً ، فقال : يا أسعد ! مالنا ولك تأتينا بهذا الرجل الغريب يَسْفَه به سفهاؤنا وضعفاؤنا ، فقال : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره . فقال : قد أنصفتم ، ثم ركز الحربة وجلس ، فكلمه مصعب بن عمير وعرض عليه الإسلام ، وتلا عليه القرآن ، فوالله لعرفنا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم لتسهله ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ، وكيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين ؟ قالا : تغتسل ، وتطهر ثيابك ، وتشهد شهادة الحق ، وتصلي ركعتين ، ففعل . ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً إن تابعكما لم يخالفكما أحد من قومه ، وهو سعد بن معاذ ، وسأرسله إليكما الآن .

---

(١) اجتهد في دعوته .

ثم خرج حتى أتى سعد بن معاذ ، فلما رآه سعد بن معاذ مقبلاً قال : أحلف بالله لقد رجع عليكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به ، ماذا صنعت ؟ قال : قد ازدجرتهما ، وقد بلغني أن بني حارثة يريدون أسعد بن زرارة ليقتلوه ليخفروك فيه ، لأنه ابن خالتك ، فقام إليه سعد مغضباً فأخذ الحربة من يده ، قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً ، ثم خرج فلما نظر إليه أسعد بن زرارة قد طلع عليهما ، قال لمصعب : هذا والله سيد من وراءه من قومه إن هو تابعك لم يخالفك أحد من قومه ، فاصدق الله فيه ، فقال مصعب بن عمير : إن يسمع مني أكلمه .

فلما وقف عليهما ، قال : يا أسعد ! ما دعاك إلى أن تغشاني بما أكره – وهو متشتم – أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما طمعت في هذا مني ، فقال له : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته أعفيت مما تكره . قال : انصفتماني ، ثم ركز الحربة وجلس ، فكلمه مصعب وعرض عليه الإسلام ، وتلا عليه القرآن ، فوالله لعرفنا فيه الإسلام قبل أن يتكلم لتسهل وجهه . ثم قال : ما أحسن هذا وكيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين ؟ فقالا له : تغتسل ، وتطهر ثيابك وتشهد شهادة الحق ، وتركع ركعتين ، فقام ففعل ثم أخذ الحربة وانصرف عنهما إلى قومه .

فلما رآه رجال بني عبد الأشهل ، قالوا : نقسم بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل : أي رجل تعلموني فيكم ؟ قالوا : نعلمك والله خيرنا وأفضلنا فينا رأياً ، قال : فإن كلام نسائكم ورجالكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله وحده ، وتصدقوا بمحمد ... ، فوالله ما أمسى في ذلك اليوم في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً[1] .

---

(١) هذان المرسلان رواهما البيهقي في الدلائل ٢/٤٣٨ – ٤٤٠ بسند حسن ، ولهما شاهد بنحوهما من مرسل عروة بن الزبير ، رواه أبو نعيم في الدلائل ص٢٦١ – ٢٦٦ بسند قريب من الحسن ، ولهما شاهد آخر بنحوهما من مرسل الزهري ، رواه البيهقي في الدلائل ٢/٤٣٠ – ٤٣٣ بسند حسن . فالخبر حسن لغيره بمجموع هذه المراسيل .

الفوائد والعبر :

١ û وجوب بعث الدعاة إلى البلدان والأقاليم لتعليم الناس دين الله تعالى ، ولدعوة غير المسلمين إلى الدخول في دين الإسلام ، لإخراجهم من الظلمات إلى النور .

٢ û أنه ينبغي للداعية أن يتحلى بالصبر والحلم ، فيتحمل ما قد يصدر من المدعوين تجاهه من أذى ، كما قال تعالى :

{ (#öq|¹#uqs?ur Èd,ysø9$$Î/ (#öq|¹#uqs?ur ÎŽö9¢Á9$$Î/ ÇÌÈ } [العصر: ٣] .

٣ û الاهتمام بسادات القبائل ومن لهم مكانة في المجتمع ، لأنه يرجى بإسلامهم إسلام قومهم .

٤ û أنه ينبغي لكل مسلم أن يستغل مكانته بين قومه وأهل مجتمعه في الدعوة إلى الله تعالى .

الدرس العشرون

خبر إسلام أكثر الأنصار وبيعة العقبة الثانية

٣٧ – عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – قال : مكث رسول الله ... بمكة عشر سنين يتّبعُ الناسَ في منازلهم بعُكاظ[١] ، ومجنّة[٢] ، وفي المواسم بمنى يقول : ‹‹ مَنْ يُؤْوِينِيْ ؟ من يَنْصُرنِيْ حتى أبلّغَ رسالة ربّي وله الجنَّة ؟ ›› . حتى إنّ الرجلَ لَيَخْرُجُ من اليمن أو من مُضر فيأتيه قومُه ، فيقولون : احذر غُلامَ قريشٍ ، لا يَفتِنُك . ويَمْشِي بين رجالهم وهم يُشيرون إليه بالأصابع[٣] ، حتى بَعَثَنا الله إليه من يَثْرِبَ[٤] ، فآويناه وصدّقناه ، فَيَخْرُج الرجلُ منّا ، فيؤمن به ، ويقرئُهُ القرآن ، فينقلب إلى أهله ، فيُسلمون بإسلامه ، حتى لم يبقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رهطٌ من المسلمين يُظهرون الإسلامَ ، ثم ائتمروا جميعاً[٥] ، فقلنا : حتى متى نتركُ رسولَ الله ... يُطْرَدُ في جبال مكةَ ويُخافُ ؟ فَرَحلَ إليه مِنّا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم ، فواعدناه شِعْبَ العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجُلَيْنِ حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله ، علام نُبايِعُك ؟ قال : ‹‹ تُبايِعونِيْ على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليُسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله ، لا تخافون في الله لومة لائم[٦] ، وعلى أَنْ تَنْصُرُوْنِيْ ، فَتمنعوني إذا قَدِمْتُ عليكم ممّا تَمْنَعُون منه أَنْفُسَكُمْ وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة ›› . فقُمنا إليه ، وأخذ بيده أسعدُ بنُ زرارَةَ ، وهو من

---

(١) عكاظ : سوق بين مكة والطائف كانت تجتمع فيها العرب كل عام . ينظر معجم البلدان ٤/١٤٢ .
(٢) مجنة : سوق للعرب أيضاً وهو بأسفل مكة . ينظر معجم البلدان ٥/٥٧ ، ٥٨ .
(٣) أي أن المشركين من أهل مكة كانوا يشيرون إلى النبي ... إذا مشى بين رحالهم في تلك الأسواق والمواسم يحذرون الناس منه .
(٤) وهي المدينة النبوية .
(٥) أي تشاوروا واتفقوا .
(٦) أي لا تتركوا قول الحق خوفاً من الناس .

أصغرهم فقال : رُوَيْداً يا أهلَ يَثْرِبَ ، فَإنّا لم نضرب إليه أكبادَ الإبِلِ[١] إلا ونحن نَعْلَمُ أنه رسولُ الله ، وإنّ إخراجه اليومَ مُفارقةُ العرب كافّةً، وقتل خياركم، وأن تعضّكم السيوف[٢] ، فإمّا أنتم قومٌ تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وإمّا أنتم قومٌ تخافون من أنفسكم خِيفة ، فبيّنُوا ذلك ، فهو أعْذَرُ لكم عند الله[٣] . قالوا : أمط عنّا يا أسعدُ ، فوالله لا ندعُ هذه البيعةَ أبداً ، ولا نستلقيها أبداً[٤] . قال : فقُمنا إليه فبايعناه ، وأخذَ علينا وشرط[٥] ، ويعطينا على ذلك الجنة[٦] .

الفوائد والعبر :

١ – أنه ينبغي للداعية أن يبحث عن من ينصره على من ناوأ دعوته، ومن يعينه على نشر العقيدة الصحيحة ومحاربة الشرك كما فعل النبي

---

(١) أي لم نأت إليه على الإبل من مسافات بعيدة .
(٢) أي أن مبايعة النبي ... هذه البيعة – وهي بيعة العقبة الثانية – وطلب أن يخرج إليهم في يثرب لينصروه ويحاربوا من عاداه أو حاربه في ذلك كله معادات لجميع العرب ، لأن كل العرب مشركون معادون للنبي ... ، وفيه أيضاً مخاطرة لأن تقع بينهم وبين جميع العرب حروب فيقتل خيارهم ويضربون بالسيوف في هذه الحروب .
(٣) أي إن كنتم ستصبرون على كل هذه الأخطار والأمور العظام فعاهدوا النبي ... ، وبايعوه على أن يخرج إليكم وتحموه وتنصروه ، وا÷ تعالى سيثيبكم على ذلك ، وإن كنتم تخشون أن تضعفوا أو تقصروا في حماية النبي ... ونصرته فبينوا هذه الخشية للنبي ... ولا تبايعوه على خروجه إليكم ونصرتكم له ، فهذا خير لكم من أن تبايعوه وتخرجوه ثم تقصّرون في نصرته .
(٤) أي قال هؤلاء الأنصار لأسعد بن زراره : أبعد عنا يدك التي أمسكت بها يد النبي ... ولا تحل بيننا وبين مبايعته ، فإننا لن نترك هذه البيعة ولن نطلب من النبي ... أن يعفينا منها ، بل نحن ماضون فيها حريصون عليها وسنوفي بها .
(٥) أي أخذ علينا العهد بأن نفي بهذه البيعة ، واشترط لنفسه في هذه البيعة شروطاً .
(٦) رواه الإمام أحمد ٣٢٢/٣ ، ٣٢٣ ، وابن حبان (٦٢٧٥ ، ٧٠١٢) بإسناد حسن . وقد حسن إسناده الحافظ في الفتح : فضائل الأنصار باب وفود الأنصار ٢٢٢/٧ ، وقال الحافظ ابن كثير في البداية ٣٩٩/٤ : (إسناد جيد على شرط مسلم) .

...، وقد اقتدى به أئمة الإسلام في ذلك، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما فعله الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، فقد جد في البحث عن من يناصره في الدعوة إلى نبذ الخرافات وترك عبادة القبور ، حتى وفق الله الإمام محمد بن سعود لمناصرة هذه الدعوة ، فنصرهما الله تعالى على من ناوأهما ، وقمع الله بهما وبدولتهما الشرك ونشر التوحيد ، وما نراه اليوم في هذه الدولة من نشر للتوحيد والعقيدة الصحيحة في هذه الجزيرة بل وفي غيرها من بلاد المسلمين وغيرها ولله الحمد هو امتداد لهذه الدعوة المباركة .

٢ – أن من سنة الله في هذا الكون وجود الصراع بين أهل الحق وأهل الضلال ، وأن أعداء الحق من الكفار والفساق والظلمة يبذلون كل ما يستطيعون لحرب الدعوة الصحيحة ، ومن ذلك تشويه سمعة الدعاة إلى الله تعالى والتحذير منهم ، وادعاء أنهم أصحاب هوى وفتنة .

٣ – أنه ينبغي للمسلم وللداعية على وجه الخصوص أن لا يقدم على أمر من أمور الدعوة أو غيرها حتى ينظر في أمره ، فينظر هل يستطيع القيام بهذا العمل أم لا ، وهل الوقت والمكان مناسبان لذلك وما أشبه ذلك مما يترتب عليه صلاح هذا الأمر أو عدم صلاحه .

٤ – فضل الأنصار – رضي الله عنهم – لإيثارهم طاعة الله والجنة على ما سواهما ، ولتقديمهم أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل نصرة رسول الله ... .

* * *

الدرس الحادي والعشرون

قصة إسلام عبدالله بن عمرو بن حرام وخبر بيعة العقبة الثانية مفصلاً

٣٨ – عن كعب بن مالك الأنصاري – رضي الله عنه – وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله – ... – قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين ، وقد صلينا وفقهنا ، معنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا ، خرجنا نسأل عن رسول الله ... ، وكنا لا نعرفه ، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلاً من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله ... فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟

قال : قلنا : نعم ، قال : وقد كنا نعرف العباس – كان لا يزال يقدم علينا تاجراً – قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس .

قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ، ورسول الله ... جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا إليه ، فقال رسول الله ... للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟

قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك .

قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله ... : « الشاعر » ؟ قال : نعم .

قال : وخرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله ... بالعقبة[١] من أوسط أيام التشريق[٢] ، قال : فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ... لها ، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً[٣] ، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ... إيانا العقبة .

---

(١) وهي بمنى بقرب الجمرة الكبرى ، التي تسمى « جمرة العقبة » .
(٢) أي ليلة الثاني عشر من ذي الحجة .
(٣) أي : إننا حريصون ونحب لك أن تنجو مما تؤدي بك إليه معصية ا÷ بعبادة الأصنام ، حيث أن من مات عليها كان مصيره جهنم يوم القيامة .

قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً .
قال : فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ... ، نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى إذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نسائنا .
قال : فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ... ، حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج – وكانت العرب ، إنما يسمون هذا الحي من الأنصار (الخزرج) خزرجها وأوسها – إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه[١] ، فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزّ ومنعة من قومه وبلده .
قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .
قال : فتكلم رسول الله ... ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله عز وجل ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » .
قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم ، والذي بعثك بالحق نبياً ، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا[٢] ، فبايِعْنا يا رسول الله ... ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة[٣] ، ورثناها كابراً عن كابر .
قال : فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله ... أبو الهيثم بن

(١) أي ممن لم يقر بنبوة محمد ... وبقي على دين قومه .
(٢) أزرنا : نساءنا لأن العرب تكني عن المرأة بالإزار . وقيل : أراد : أنفسنا ، لأنه يكنى أيضاً عن النفس بالإزار . ينظر : النهاية مادة (أزر) .
(٣) الحلقة : السلاح عموماً .

التيهان ، فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالاً[١] ، وإنا قاطعوها – يعني اليهود – فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟

قال فتبسم رسول الله ... ثم قال: « بل الدم الدم ، والهدم الهدم[٢] أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم » ، وقال رسول الله ... : « أخرجوا لي اثني عشر نقيباً[٣] منكم يكونون على قومهم » ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

قال : وكان أول من ضرب على يد رسول الله ... البراء بن معرور ، ثم بايع بعده القوم ، فلما بايعنا رسول الله ... صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الحباحب – المنازل – هل لكم في مذمم[٤] والصباة[٥] معه ، قد اجتمعوا على حربكم[٦] . فقال رسول الله ... : « هذا أزب العقبة[٧] ، هذا ابن أزيب ، أتسمع أي عدو الله ، أما والله لأفرغن لك » .

ثم قال رسول الله ... : « ارفضوا[٨] إلى رحالكم » قال : فقال له العباس بن عبادة بن نضله : والله الذي بعثك بالحق : إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا ؟ قال : فقال رسول الله ... : « لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم » . قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فنمنا عليها حتى أصبحنا .

---

(١) أي عهوداً ومواثيق .
(٢) أي ذمتي ذمتكم ، وحرمتي حرمتكم ومصيري مصيركم ، وهذا مثال معروف عند المعاهدة والمناصرة .
(٣) النقيب : العريف ، وهو شاهد القوم وكفيلهم .
(٤) مذمم : المذموم جداً ، يريد النبي ... .
(٥) الصباة : جمع صابئ ، وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ... صابئ .
(٦) أزب العقبة : اسم شيطان .
(٧) في رواية الطبراني كما في المجمع ٤٧/٦ وهي مرسلة : « يا معشر قريش هذه الخزرج والأوس تبايع محمداً على قتالكم » .
(٨) ارفضوا : تفرقوا .

قال : فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش[١] ، حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من أحياء العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم . قال : فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه . قال : وقد صدقوا ، لم يعلموه . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض ، ثم قام القوم[٢] .

الفوائد والعبر :

١ ـ أن التكتم على التصرفات التي يخشى من علم الأعداء بها ضرر على المسلمين أمر مطلوب وهو من أسباب نصر المسلمين على أعدائهم .
٢ ـ أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على دعوة أقاربه إلى التمسك بدين الإسلام وإلى البعد عن معصية الله ليكون ذلك سبباً – بعد رحمة الله – في نجاتهم من النار .
٣ ـ أهمية هذه البيعة في الإسلام ، فقد كانت هي اللبنة الأولى في تأسيس الدولة الإسلامية وقيام كيان مستقل للمسلمين ينطلقون منه للدعوة إلى الله والجهاد في سبيله واخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام .
٤ ـ أهمية وضع الكفلاء والعرفاء من كبار العشائر وسادة القبائل ليكونوا مسؤولين في تنفيذ ما يطلب من قومهم ، وبذلك تنتظم الأمور وتتحدد المسؤوليات ، ولا تكون المسؤوليات عائمة مشتتة ، فهذا كله من أكبر أسباب نجاح الأمور المهمة وقيام كل فرد بمسؤوليته فيها .

---

(١) أي كبارهم . وينظر في شرح عبارات وألفاظ هذا الحديث : النهاية ، الفتح الرباني ٢٧١/٢٠ – ٢٧٥ ، مرويات الهجرة ص٧٥ – ٧٩ .
(٢) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٤٤٠/٢ – ٤٤٣ ، والطيالسي (منحة ٩٣/٢، ٩٤) ، وأحمد ٤٦٠/٣ – ٤٦٢ ، وابن حبان (٧٠١١) ، والحاكم ٤٤١/٣ . وإسناده حسن ، رجاله رجال الصحيح . وله شواهد كثيرة ، تنظر في الدلائل للبيهقي ٤٥٠/٢ – ٤٥٥ ، والسيرة الذهبية ٤٢٠/٢، ٤٢١ .

٥ û عداوة الشيطان للحق وأهله .

٦ û أن الله ينصر المؤمنين ويصد عنهم كيد الشيطان وأعوانه إذا صدقوا في نصرتهم لله تعالى والتوكل عليه .

* * *

الدرس الثاني والعشرون

قصة إسلام أحد الأعراب وقصة إسلام الراعي يوم الهجرة

٣٩ – عن شداد بن الهاد – رضي الله عنه – أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ... فآمن به واتبعه ، ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي ... بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم النبي ... فيها شيئاً ، فقسم وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاءهم دفعوه إليه فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم لك النبي ... ، فأخذه فجاء به إلى النبي ... فقال : ما هذا ؟ قال : ‹‹ قسمته لك ›› ، قال : ما على هذا تبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا – وأشار إلى حلقه – بسهم فأموت فأدخل الجنة ، فقال : ‹‹ إن تَصدُق الله يصدقك ›› ، فلبثوا قليلاً ، ثم نهضوا في قتال العدو ، فأتي به النبي ... يُحمَل ، قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي ... : ‹‹ أهو هو ؟ ›› ، قالوا : نعم ، قال : ‹‹ صَدَق الله فصدقه ›› ، ثم كفنه النبي ... في جُبّة ثم قدمه فصلى عليه ، فكان مما ظهر من صلاته : ‹‹ اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك ، فقتل شهيداً ، أنا شهيد على ذلك ››[١] .

٤٠ – وعن قيس بن النعمان السكوني – رضي الله عنه – قال : انطلق رسول الله – ... – ومعه أبو بكر مستخفيان من قريش فمروا براع فقال له رسول الله – ... – : ‹‹ هل من شاة ضربها الفحل ؟ ›› قال : لا ،

---

(١) رواه النسائي في الجنائز : الصلاة على الشهداء ٣٦٢/٤ ، حديث ١٩٥٢ (دار المعرفة) ، وعبدالرزاق في الجهاد ، باب الصلاة على الشهيد ٢٧٦/٥ ، رقم (٩٥٩٧) ، والحاكم في ‹‹ ذكر شداد بن الهاد ›› ٥٩٥/٣ ، ٥٩٦ ، والمزي في تهذيب الكمال لوحة ٨٠٠ ، والبيهقي في الكبرى : الجنائز ، باب في المرتث ١٥/٤ ، ١٦ عن ابن جريج ، أخبرني عكرمة بن خالد ، أن ابن أبي عمار أخبره ، عن شداد بن الهاد ... فذكره . وإسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال مسلم ، عدا شداد بن الهاد ، وهو صحابي .

ولكن ههنا شاة قد خلفها الجهد[١] ، قال : « ائتني بها » فأتاه بها فمسح ضرعها ودعا بالبركة فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب ، فقال الراعي للنبي – ... – : تا لله ما رأيت مثلك ، من أنت ؟ قال : « إن أخبرتك تكتم علي ؟ » قال : نعم ، قال : « أنا محمد رسول الله » قال : أنت الذي تزعم قريش أنك صابئ ؟ قال : « إنهم يقولون ذلك » ، قال : فإني أشهد أنك رسول الله ، وأنه لا يقدر على ما فعلت إلاّ رسول ، ثم قال له : أتبعك . فقال له النبي – × – : « أما اليوم فلا . ولكن إذا سمعت أنا قد ظهرنا فأتنا » ، فأتى النبي – ... – بعدما ظهر بالمدينة[٢] .

الفوائد والعبر :

١ – أن من صدق في طلب الخير وفقه الله تعالى له .

٢ – أن قوة الايمان تحمل العبد على الحرص على الخير وتبعده عن الشر ، وتجعله يزهد في حطام الدنيا ، كما هي حال هذا الصحابي – رضي الله عنه – وبعكسه ضعف الإيمان فهو يحمل صاحبه على الزهد في الخير، ويجعله حريصاً على الدنيا وحطامها ، بل إنه يحمله على طلبها من الحرام إما من الربا أو من الغش في البيع أو بيع المحرمات أو عن طريق أخذ المال من بيت مال المسلمين بغير وجه حق – وهو الغلول المحرم – ويحمله أيضاً على الوقوع في كثير من المحرمات .

٣ – فضل الهجره والشهادة في سبيل الله .

٤ – أن استعمال الأسباب لا ينافي التوكل ، فهذا النبي – ... – وصاحبه أبو بكر استخفيا في طريقهما في الهجرة وكتما أمرهما لما يعلمان من عداوة قرييش ، وقد روى عمرو بن أمية الضمري – رضي الله عنه – قال : قال رجل للنبي – ... – : أرسل ناقتي – أي أطلقها ولا

(١) أي من شدة ضعفها لم تستطع الخروج مع بقية الغنم للرعي .
(٢) رواه الطبراني في الكبير ٣٤٣/١٨ ، ٣٤٤ ، والحاكم ٨/٣ ، ٩ وإسناده حسن . وقد صححه الحافظ في الإصابة ٢٥٠/٣ .

أعقلها – وأتوكل ؟ فقال له النبي – ... – : ((اعقلها وتوكل))[١] .

٥ – أنه ينبغي للمسلم وللداعية إلى الله تعالى استعمال أسلوب السرية عند الحاجة إلى ذلك ، وعندما يكون في ذلك مصلحة ظاهرة ، ولذلك أخفى النبي – ... – وصاحبه أمرهما وأشار النبي – ... – على الراعي بأن لا يتبعه في سفره ذلك وأن يؤخر مرافقته له إلى أن تنتصر دعوته – ... – ويظهره الله على أعدائه .

٦ – في حديث إسلام الراعي معجزة من معجزات النبي – ... – ، ودليل من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام .

---

(١) رواه ابن حبان (٧٣١) ، والحاكم ٦٢٣/٣ ، وإسناده حسن في الشواهد ، وله طرق عند الطبراني يتقوى بها .
ينظر مجمع الزوائد ٢٩١/١٠ ، ٣٠٣ .

الدرس الثالث والعشرون

أخبار إسلام الحبر عبداللَّه بن سلام – رضي الله عنه – .

٤١ – عن عبدالله بن سلام – رضي الله عنه – قال : لما قدم رسول الله ... المدينة انجفل الناس إليه[1] ، وقيل قدم رسول الله ... ، قدم رسول الله ... ، قدم رسول الله ... ، فجئت في الناس لأنظر إليه ، فلما استثبت وجه رسول الله ...[2] عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، وكان أول شيء تكلم به أن قال : « أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلون الجنة بسلام »[3] .

٤٢ – عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : أقبل نبي الله ... إلى المدينة[4] وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يعرف ، ونبي الله ... شاب لا يعرف[5] ، قال : فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر ! مَن هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل ، قال فيحسب

---

(١) أي أسرعوا ، ومضوا إليه كلهم . ينظر الترغيب للمنذري ٤٧٧/١ ، ٧١٣ .

(٢) أي تحققته ، وتبينته . ينظر المرجع السابق .

(٣) رواه الإمام أحمد ٤٥١/٥ ، والدارمي في صلاة الليل (١٤٦٠) ، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٨٥) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة (١٣٣٤) ، والفسوي ٢٦٤/١، والحاكم في الهجرة ١٣/٣ ، والبيهقي في السنن ٥٠٢/٢ ، وفي دلائل النبوة ٥٣١/٢ من طرق كثيرة ، عن عوف بن أبي جميلة ، عن زرارة بن أوفى ، عن عبدا÷ بن سلام . وإسناده صحيح ، رجاله ثقات ، رجال الشيخين . وصححه الترمذي ، والحاكم ، ووافقه الذهبي ، ومحمد ناصر الدين في الإرواء (٧٧٧) ، والأرنؤوط في تعليقه على سير أعلام النبلاء ٤١٤/١ .

(٤) وهذا هو سفر هجرته ... إلى المدينة .

(٥) وذلك أن أبا بكر قد خرج فيه الشيب ، والنبي ... لم يخرج فيه الشيب ، وإلا فإن أبا بكر أصغر من النبي ... بأكثر من سنتين ، وكان أبو بكر يعرف بالمدينة ، لأنه كان يمر على أهل المدينة في سفر التجارة ، بخلاف النبي ... فإنه كان بعيد العهد بالسفر من مكة إلى المدينة . ينظر الفتح ٢٥٠/٧ ، ٢٥١ .

الحاسب أنه إنما يعني الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير ، فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم[١] ، فقال : يا رسول الله ! هذا فارس قد لحق بنا ، فالتفت نبي الله ... فقال : ﴿ اللهم اصرعه ﴾ ، فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم ، فقال : يا نبي الله مرني بما شئت ، قال : ﴿ قف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا ﴾ ، قال : فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ... ، وكان آخر النهار مسلحة له[٢] ، فنزل رسول الله ... جانب الحرة ، ثم بعث إلى الأنصار[٣] ، فجاءوا إلى نبي الله ... وأبي بكر فسلموا عليهما وقالوا : اركبا آمنين مطاعين ، فركب نبي الله ... وأبو بكر ، وحفوا دونهما بالسلاح ، فقيل في المدينة : جاء نبي الله ، جاء نبي الله ، فأشرفوا ينظرون ، ويقولون : جاء نبي الله ، فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب ، فإنه ليحدث أهله[٤] إذ سمع به عبدالله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم ، فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها ، فجاء وهي معه ، فسمع من نبي الله ... ، ثم رجع إلى أهله ، فقال نبي الله ... : ﴿ أي بيوت أهلنا[٥] أقرب ؟ ﴾ ، فقال أبو أيوب : أنا يا نبي الله هذه داري وهذا بابي ، قال : ﴿ فانطلق فهيئ لنا مقيلاً ﴾ ، قال : قوما[٦] على بركة الله ، فلما جاء نبي الله ... جاء عبدالله بن سلام فقال : أشهد أنك رسول الله ، وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أني قد

---

(١) وهو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ، الصحابي المشهور ، وكان وقتئذ مشركاً .
(٢) أي يحفظه من العدو . ينظر جامع الأصول ٦٠٢/٧ ، وقد اختصرت قصة سراقة في هذه الرواية .
(٣) لم يذكر في هذه الرواية قصة إقامته ... بقباء ، وبنائه مسجد قباء .
(٤) الضمير يرجع إلى النبي ... . ينظر الفتح ٢٥١/٧ .
(٥) أراد ... بيوت أخواله بني النجار ، لأن جدته – والدة عبدالمطلب – منهم ، وفي حديث البراء عن أبي بكر : ﴿ فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه ، فقال : إني أنزل على أخوال عبدالمطلب ، أكرمهم بذلك ﴾ . ينظر الفتح ١١٦/٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ .
(٦) فيه حذف تقديره : فذهب وهيأ لهم مكاناً يقيلون فيه ويرتاجون فيه ، ثم جاء .

أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ[١] ، فأرسل نبي الله ... فأقبلوا فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ... : « يا معشر اليهود ! ويلكم ، اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأني جئتكم بحق فأسلموا » ، قالوا : ما نعلمه ، قالوا : للنبي ... ، قالها ثلاث مرار . قال : « فأي رجل فيكم عبدالله بن سلام ؟ » ، قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : « أفرأيتم إن أسلم ؟ » ، قالوا : حاشا لله ما كان ليُسلم[٢] . قال : « أفرأيتم إن أسلم ؟ » ، قالوا : حاشا لله ما كان ليُسلم ، قال : « أفرأيتم إن أسلم ؟ » ، قالوا : حاشا لله ما كان ليُسلم ، قال : « يا ابن سلام ! أخرج عليهم » ، فخرج فقال : يا معشر اليهود ، اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق ، فقالوا : كذبت ، فأخرجهم رسول الله ... . رواه البخاري[٣] .

الفوائد والعبر :

١ – في الحديث الأول دليل من دلائل نبوة نبينا محمد ... ، وهو ظهور أمارات الصدق على وجهه عليه الصلاة والسلام .
٢ – أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على الأعمال الصالحة التي هي سبب لدخول الجنة ومن أهمها : الصلاة – وبالأخص قيام الليل – والصدقة ، وإفشاء السلام .
٣ – في الحديث الثاني دليل آخر من دلائل نبوة نبينا محمد ... – وهو شهادة علماء اليهود بنبوته – وإن كان كثير منهم يكتم ذلك حقداً وحسداً واحتقاراً للعرب .

---

(١) أي سبوه وعابوه بما ليس فيه .
(٢) استبعدوا إسلامه ، ظنوا أنه سيعمل مثل عملهم من الاستمرار على دينهم الباطل ،
= مع علمهم أن محمداً ... هو رسول ا÷ حقاً ، كما قال تعالى : } $£Jn=sù $y_Nèduä!$ B¨$ tã •(#qèù #) 2Ÿÿx • (#rã /ÎmÎ¾ 4 { ، ولذلك أقسم النبي ... كما في هذا الحديث أنهم يعلمون أنه رسول ا÷ حقاً وأنه جاءهم بالحق .
(٣) صحيح البخاري : مناقب الأنصار (٣٩١١) .

٤ – أن في المعاريض مندوحة عن الكذب ، ولهذا ورى أبو بكر لما سئل عن النبي … .

٥ – حفظ الله تعالى لنبيه … ، فقد منعه جل وعلا ممن يريد أذاه ، بل جعله مدافعاً عنه بعد أن كان يريد أذاه .

٦ – أن اليهود معهم علم ، ولكنهم لا يعملون به ، ولهذا فهم ‹‹ مغضوب عليهم ›› كما أخبر ربنا جل وعلا في آخر سورة الفاتحه .

٧ – أن اليهود أهل كذب وأهل بهتان لغيرهم ، فيتهمون غيرهم مما هو بريء منه زوراً .

* * *

الدرس الرابع والعشرون

قصة إسلام سلمان الفارسي – رضي اللَّه عنه – .

٤٣ – عن عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – قال : حدثني سلمان الفارسي حديثه من فيه ، قال : كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها جي[١]، وكان أبي دهقان قريته[٢] ، وكنت أَحب خلق الله إليه ، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تُحبَس الجارية ، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطنُ النار[٣] الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة[٤] . قال : وكانت لأبي ضيعة[٥] عظيمة ، قال : فشغل في بنيان له يوماً فقال لي : يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب فاطلعها ، وأمرني فيها ببعض ما يريد . فخرجت أريد ضيعته ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته ، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون . قال : فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ، ورغبت في أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه ، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبي ولم آتها ، فقلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ، قال : ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله ، قال : فلما جئته قال : أي بني أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ، قال : قلت : يا أبت مررت بناس يصلون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيت من

---

(١) وقد فتح المسلمون هذه القرية في زمن عمر بن الخطاب – رضي ا÷ عنه – سنة إحدى وعشرين للهجرة . ينظر فتوح البلدان ، ص٣٠٨ ، والبداية والنهاية ١١٤/٧ .

(٢) الدهقان بكسر الدال وضمها : رئيس القرية . ينظر النهاية ١٤٥/٢ ، بلوغ الأماني ٢٦٢/٢٢ .

(٣) أي أنه أصبح خازن النار التي يعبدها المجوس ، وخادمها ، فكان ملازماً لها لا يفارقها ، من قطن في المكان إذا لزمه . النهاية ٨٥/٤ .

(٤) أي لايترك لهبها يخمد . المصباح ١٦٣/١ .

(٥) الضيعة : العقار . المرجع السابق .

دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال : أي بني ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه . قال : قلت : كلا والله إنه خير من ديننا . قال : فخافني[١] ، فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته .

قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب[٢] من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم . قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم . قال : فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم . قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم ، فألقيت الحديد من رجلي ، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : مَن أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا : الأسقف[٣] في الكنيسة . قال : فجئته فقلت : إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك ، وأتعلم منك وأصلي معك . قال : فادخل ، فدخلت معه ، قال : فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق[٤] . قال : وأبغضته بُغضاً شديداً لما رأيته يصنع ، ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً ، قالوا : وما علمك بذلك ؟ قال : قلت : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا : فدلنا عليه ، قال : فأريتهم موضعه ، قال : فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً ، قال : فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبداً ، فصلبوه ثم رجموه بالحجارة ، ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه بمكانه .

قال : يقول سلمان : فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس[٥] أرى أنه

---

(١) أي خاف عليه أن يترك دينه .
(٢) الركب : أصحاب الإبل في السفر ، وهم عشرة فأكثر . بلوغ الأماني ٢٢/٢٦٢ .
(٣) الأسقف : من رؤساء النصارى في دينهم . المرجع السابق .
(٤) الورق : الفضة .
(٥) الذي لا يصلي الخمس هو غير المسلم ، فالصلوات الخمس إنما شُرعت في شريعة محمد ... ، ومراده – رضي ÷ عنه – أني لم أرَ شخصاً غير مسلم خيراً منه . وهذا الرجل كان على دين النصارى الذي لم يحرَّف .

أفضل منه أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخر ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه[١] ، قال : فأحببته حباً لم أحبه من قبله ، وأقمت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة فقلت له : يا فلان إني كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه من قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله ، فإلى مَن توصي بي ، وما تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالموصل[٢] وهو فلان ، فهو على ما كنتُ عليه ، فالحق به .

قال : فلما مات وغيب[٣] ، لحقت بصاحب الموصل ، فقلت له : يا فلان إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك ، وأخبرني أنك على أمره ، قال : فقال لي : أقم عندي ، فأقمت عنده فوجدته خير رجل ، على أمر صاحبه[٤] ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك ، وأمرني باللحوق بك ، وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى ، فإلى مَن توصي بي ؟ وما تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين[٥] ، وهو فلان ، فالحق به .

قال : فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين ، فجئته فأخبرته بخبري وما أمرني به صاحبي ، قال : فأقم عندي ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبثت أن نزل به الموت . فلما حُضر قلت له: يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى مَن توصي بي وما تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما نعلم أحداً بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية[٦] ، فإنه بمثل ما

---

(١) أي يكثر من العبادة في الليل والنهار .
(٢) الموصل : مدينة بالعراق ، على طرف دجلة . معجم البلدان ٣٣٩/٥ ، بلوغ الأماني ٢٦٣/٢٢ .
(٣) أي دفن .
(٤) أي على طريقة صاحبه الأول وسيرته وكثرة عبادته ، وزهده في الدنيا .
(٥) نصيبين مدينة بالعراق على شاطيء الفرات . معجم البلدان ٢٢٣/٥ ، بلوغ الأماني ٢٦٣/٢٢ .
(٦) عمورية : مدينة في بلاد الشام ، فتحها الخليفة العباسي المعتصم سنة ٢٢٣هـ .
=

نحن عليه ، فإن أحببت فأته ، قال : فإنه على أمرنا .
قال فلما مات وغُيب[١] لحقت بصاحب عمورية ، وأخبرته خبري ، فقال : أقم عندي ، فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم ، قال : واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة ، قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حُضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي فلان إلى فلان ، وأوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى مَن توصي بي وما تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبي[٢] هو مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل[٣] ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة[٤] ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .
قال ثم مات وغُيب ، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بي نفر من كلب[٥] تجاراً ، فقلت لهم : تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه ؟ قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملوني ، حتى إذا قدموا بي وادي القرى[٦] ظلموني ، فباعوني من رجل من يهود عبداً[٧] ، فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي

معجم البلدان ١٥٨/٤ .

(١) أي دُفن .
(٢) أي قَرُب منك وقت مبعثه . بلوغ الأماني ٢٦٤/٢٢ .
(٣) الحرة : أرض ذات حجارة سود ، كأنها أُحرقت بالنار ، والمدينة النبويَّة واقعة بين حرتين ، وبها نخل . المرجع السابق .
(٤) خاتم النبوة : جزء صغير بارز كقدر بيضة الحمامة أو أكبر ، لونه لون جسده ... ، وقد يميل إلى الحمرة قليلاً ، عليه شعرات ، وهو في أعلى ظهره ... ، عند نغض كتفه الأيسر . ينظر الفتح ٥٦٢/٦ ، ٥٦٣ .
(٥) أي من قبيلة كلب ، من العرب .
(٦) وهو واد بين خيبر والمدينة ، كثير القرى ، ومن أجلها سُمي بهذا الاسم . معجم البلدان ٣٣٨/٤ .
(٧) أي قالوا : إنني عبد ، فباعوني إلى اليهودي .

وصف لي صاحبي ، ولم يحق لي في نفسي[١] ، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها ، وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر ، مع ما أنا فيه من شغل الرق[٢] ، ثم هاجر إلى المدينة ... ألخ .

وستأتي فوائد هذا الحديث في الدرس الآتي بعد تمام حديث سلمان إن شاء الله تعالى .

(١) أي رجوت أن يكون هذا البلد هو مهاجر النبي ... ، ولكن لم أستيقن أنه هو .
المرجع السابق .
(٢) أي شغلني الرق عن ذلك .

الدرس الخامس والعشرون
في تتمة قصة إسلام سلمان – رضي الله عنه – .

قال سلمان – رضي الله عنه – فوالله إني لفي رأس عذق[١] لسيدي أعمل فيه بعض العمل ، وسيدي جالس ، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال : فلان[٢] قاتل الله بني قيلة[٣]، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبي ، قال : فلما سمعتها أخذتني العُرَواء[٤] حتى ظننت أني سأسقط على سيدي ، قال : ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال : فغضب سيدي ، فلكمني لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك .

قال : قلت : لا شيء ، إنما أردت أن أستثبت عما قال ، وقد كان عندي شيء[٥] قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ... وهو بقباء ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله ... لأصحابه : « كلوا » وأمسك يده ، فلم يأكل ، قال : فقلت في نفسي : واحدة[٦] ، ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله ... إلى المدينة ، ثم جئت به فقلت له : إني رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها ، قال : فأكل رسول الله ... منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال : فقلت في نفسي : هاتان اثنتان ، ثم جئت رسول الله ... وهو ببقيع الغرقد[٧] ، قال : وقد تبع جنازة من أصحابه ، عليه شملتان[١] له ، وهو

---

(١) العذق : النخلة بحملها . المرجع السابق .
(٢) أي يا فلان .
(٣) بنو قيلة : الأوس والخزرج ، قبيلتا الأنصار ، وقيلة : جدة لهم . النهاية ١٣٤/٤ .
(٤) العرواء : الرعدة . النهاية ٢٢٦/٣ .
(٥) أي شيء مما يؤكل .
(٦) أي هذه واحدة من صفات النبي ... التي أخبرني بها اليهودي صاحب عمورية .
(٧) وهي مقبرة المدينة .

جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رآني رسول الله ... استدرت عرف أني أستثبت في شيء وُصف لي[٢] ، قال : فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فانكببت عليه أقبله وأبكي ، فقال لي رسول الله ... : « تحول »[٣] فتحولت ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس .

قال: فأعجب رسول الله ... أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم شغل سلمان الرقُّ حتى فاته مع رسول الله ... بدرٌ وأحدٌ[٤]، قال : ثم قال لي رسول الله ... : كاتب يا سليمان[٥] ، فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير ، وبأربعين أوقية[٦] ، فقال رسول الله ... لأصحابه : « أعينوا أخاكم » ، فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين ودية ، والرجل بعشرين ، والرجل بخمس عشرة ، والرجل بعشر ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية ، فقال رسول الله ... : « اذهب يا سلمان فَفَقِّر[٧] لها ، فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي ، ففقرت لها وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته ، فخرج رسول الله ... معي إليها ، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ... بيده ، فوالذي

---

(١) الشملة : كساء يشتمل به الإنسان ، أي يتلفف به . بلوغ الأماني ٢٦٥/٢٢ .
(٢) أي أتأكد من وجوده ، ومن صفته .
(٣) أي انتقل إلى أن تكون أمامي ، لأكلمك .
(٤) أي أن سلمان – رضي ا÷ عنه – بعد إسلامه رجع للعمل عند سيده اليهودي ، فشغله الرق عن الجهاد ، لأن الرقيق يشتغل بخدمة سيده وعمله .
(٥) أي اشتر نفسك من سيدك اليهودي .
(٦) المعنى أنه اشترى نفسه بأن يحضر لسيده ثلاثمائة فسيلة نخل وتسمى « ودية » ، ويفقر لها ، أي يحفر لكل فسيلة حفرة ، ويركزها فيها ، ويسقيها حتى تحيا ، ويعطيه زيادة على ذلك أربعين أوقية ، والأوقية : أربعون درهماً ، والدرهم ١١٨ جرام ، فيكون مجموع الأواق : ٤٧٥٢ جرام ، أي أكثر من ٤ كيلو جرام ونصف ذهباً . ينظر المصباح ٦٦٩/٢ ، والمقادير الشرعية للكردي ص١١٧ .
(٧) أي احفر لكل فسيل – وهو صغار النخل – حفرة تغرس فيه . ينظر النهاية ٤٦٣/٣ .

نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة[١] ، فأديت النخل وبقي عليَّ المال ، فأُتي رسول الله ... بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي ، فقال : ‹‹ ما فعل الفارسي المكاتب ؟ ›› ، قال : فدُعيت له ، فقال : ‹‹ خذ هذه فأد بها ما عليك يا سلمان ›› ، فقلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ ؟[٢] قال: ‹‹ خذها فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك ››، قال : فأخذتها فوزنت لهم منها – والذي نفس سلمان بيده – أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم ، وعُتقت فشهدت مع رسول الله ... الخندق ، ثم لم يفتني معه مشهد[٣] .

الفوائد والعبر :

١ ـ في هذا الحديث دليل من دلائل نبوة نبينا محمد ... حيث أخبر بصفته بقايا الموحدين من علماء أهل الكتاب ، وأخبروا بمكان هجرته ، فكانا كما أخبروا .

---

(١) وهذا من بركته ... .

(٢) أراد – رضي ا ÷ عنه – أن هذه البيضة من الذهب قليلة بالنسبة إلى الأربعين أوقية التي طلبها اليهودي في دَين الكتابة .

(٣) رواه ابن إسحاق في السيرة : إسلام سلمان ص٦٦ – ٧٠ ، ومن طريقه الإمام أحمد ٤٣٨/٥ – ٤٤٤ ، وابن سعد ٧٥/٤ – ٨٠ ، والطبراني في الكبير ٢٢٢/٦ – ٢٢٦ ، رقم (٦٠٦٥) ، والخطيب في تاريخه ١٦٤/١ – ١٦٩ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ، الفصل التاسع عشر ص٢١٣ – ٢١٩ ، والبيهقي في دلائل النبوة ، باب ما جاء في أخبار الأحبار والرهبان ٩٢/٢ – ٩٨ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٥٠٦/١ – ٥١١ عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد عن ابن عباس به . وإسناده حسن ، ابن إسحاق ‹‹ صدوق ، مدلس ›› ، وقد صرح بالتحديث ، وشيخه ‹‹ ثقة ›› من رجال الشيخين ، ومحمود بن لبيد صحابي صغير .

وقال البيهقي ٣٣٦/٩ : ‹‹ رجاله رجال الصحيح ، غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع ›› .

وقد وردت روايات أخرى لهذا الحديث تنظر في أكثر المراجع السابقة ، وفي الدراية لابن حجر ، كتاب الكراهية ٢٤٠/٢ ، ٢٤١ ، رقم (٩٧٩) .

٢ û أن الهداية بيد الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده لمن يعلم أنه أهل لها فيهيئ له أسبابها ، ويوفقه للسبيل المؤدي إليها ولو كان في بلاد بعيدة ، ولا يهيئها لمن لا يستحقها ، ولو كان أقرب الناس إلى أنبيائه ورسله(١) .

٣ û في هذه القصة ما يدل على ظلم اليهود وجحدهم للحق .

٤ û أنه ينبغي مساعدة المسلم ليعتق من الرق .

٥ û عظم بركة النبي … .

---

(١) قال العلامة ابن القيم في الفوائد ص٧٣ – ٧٦ : « نجائب النجاة مهيأة للمراد ، وأقدام المطرود موثقة بالقيود ، هبت عواصف الأقدار في بيداء الأكوان ، فتقلب الوجود ، ونجم الخير ، فلما ركدت الريح إذا أبو طالب غريق في لجة الهلاك ، وسلمان على ساحل السلامة ، والوليد بن المغيرة يقدم قومه في التيه ، وصهيب قد قدم بقافلة الروم ، والنجاشي في أرض الحبشة : لبيك اللهم لبيك ، وبلال ينادي : الصلاة خير من النوم ، وأبو جهل في رقدة المخالفة .
لما قضي في القدم بسابقة سلمان عرج به دليل التوفيق عن طريق آبائه في التمجس ، فأقبل يناظر أباه في دين الشرك ، فلما علاه بالحجة لم يكن له جواب إلا القيد ، وهذا جواب يتداوله أهل الباطل من يوم عرفوه … » ثم ذكر بعض ما حصل من أهل الباطل من أذى لبعض أهل الحق ثم ذكر بقية قصة سلمان بأسلوب أدبي جميل مختصر ثم قال : « يا محمد أنت تريد أبا طالب ، ونحن نريد سلمان ، أبو طالب إذا سئل عن اسمه قال : عبد مناف ، وإذا انتسب افتخر بالآباء ، وإذا ذكرت الأموال عد الإبل ، وسلمان إذا سئل عن اسمه قال : عبدا÷ ، وعن نسبه قال : ابن الإسلام ، وعن ماله قال : الفقر ، وعن حانوته قال : المسجد ، وعن كسبه قال : الصبر ، وعن لباسه قال : التقوى والتواضع ، وعن وساده قال : السهر ، وعن فخره قال : (سلمان منا) ، وعن قصده قال { ãƒ Í•‰ßrbt ru_ôgymç¼) } [الأنعام: ٥٢] ، وعن سيره قال : إلى الجنة ، وعن دليله في الطريق قال : إمام الخلق وهادي الأئمة … » .

الدرس السادس والعشرون
خبر إسلام أبي طلحة الأنصاري

٤٤ – عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : جاء أبو طلحة يخطب أم سليم فقالت : إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركاً أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار ، وأنكم لو شَعَلْتُم فيها ناراً لاحترقت ؟ قال : فانصرف عنها وقد وقع في قلبه من ذلك موقعاً ، قال : وجعل لا يجيئها يوماً إلا قالت له ذلك ، قال : فأتاها يوماً ، فقال : الذي عرضتِ عليَّ قد قبلت . قال : فما كان لها مهر إلا إسلام أبي طلحة[1] .

٤٥ – وعن ثابت ، عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : خطب أبو طلحة أمَّ سُلَيْم فقالت : والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرَدُّ ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك ، فإن تُسْلِم فذاك مهري ، وما أسألك غيره ، فأسلم فكان ذلك مهرها . قال ثابت : فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهراً من أم سليم : الإسلام . فدخل بها فولدت له[2] .

الفوائد والعبر :

١ û أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ، فلا يجوز للكافر أن يتزوج بمسلمة ، قال الله تعالى :

} Ÿwur (#qßsÅ3Zè? tûüÏ.ÎŽô³ßJø9$# 4Ó®Lxm (#qãZÏBﷲsãƒ 4 { [البقرة: ٢٢١] .

وقال جل وعلا : } `s9ur Ÿ@yèøgs† ª!$# Ïÿ»s3ù=Ï9 • tûïÎ ’n?tã tûüÏZÏBﷲsßJø9$# ¸x‹Î6y™ { [النساء: ١٤١] .

٢ û سفاهة المشرك ، حيث يعبد مالا ينفعه ولا يضره ، ويترك عبادة الخالق الرازق الغني سبحانه وتعالى ، ومثل المشرك جميع الكفار ، قال

---

(١) رواه ابن سعد ٤٢٦/٨، ٤٢٧ بإسناد صحيح ، رجاله رجال الصحيحين .
(٢) رواه النسائي في النكاح (٣٣٤١) بإسناد حسن .

الله تعالى عنهم :

$yJx. tbqè=ä.ù'tƒur tbqãè-FyJtFtƒ (#rã•xÿx. tûïÏ%©!$#ur }
{ öNçl°; WtBﷲ“Yq â‘$¨Y9$#ur RF{$#ﷲãN»yè ã@ä.ù's? [محمد: ١٢] .

وقريب منهم الفاسق المكثر من معصية الله المصر عليها ، قال الله تعالى :

šÆÏiB #[Ž•ÏWx. zO¨Yygyfl9 $tRù&u‘sŒ ô‰s)s9ur }
šcqßgs)øÿtƒ žw Ò>qè=è% öNçlm; (Ä§RM}$#ur Çd`Ågù:$#
öNçlm;ur $pkÍ5 tbrãŽÅÇö7ãƒ žw ×ûãüôãr& öNçlm;ur $pkÍ5
y7Í´¯»s9'ré& 4 !$pkÍ5 tbqãèuKó¡o„ žw ×b#sŒ#uä
ãNèd y7Í´¯»s9'ré& 4 ‘@|Êr& öNèd ö@t/ RF{$%x.ﷲÉO»yè
ÇÊÐÒÈ šcqè=Ïÿ»tóø9$# { [الأعراف: ١٧٩] .

وثبت عن النبي ... أنه قال : « ما من يوم تستقل شمسه إلا ويسبح الله فيه كل شيء إلا الشياطين وأغبياء بني آدم »[١] .

٣ û أنه ينبغي لكل مسلم ومسلمة استعمال جميع الوسائل الممكنة والمباحة في الدعوة إلى الله تعالى .

٤ û عظم أجر من أسلم على يديه أحد المشركين ، حيث يرجى أن يكون له من الأجور مثل جميع أعمال هذا الذي أسلم على يديه ، ولهذا وغيره كان مهر أم سليم من أكرم مهر عرف في التاريخ .

* * *

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٩٦٠) ، وأبو نعيم في الحلية ١١١/٦ . وإسناده حسن . وينظر السلسلة الصحيحة (٢٢٢٤) .

الدرس السابع والعشرون

إسلام اثنين من شجعان المشركين

٤٦ – عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت : خرج رسول الله قبل بدر . فلما كان بحرة الوبرة[١] أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجده[٢] ، ففرح أصحاب الرسول ... حين رأوه . فلما أدركه قال لرسول الله ... جئت لأتبعك وأصيب معك[٣] قال له رسول الله ... « تؤمن بالله ورسوله ؟ » قال لا ، قال : « فارجع فلن أستعين بمشرك » .

قالت : ثم مضى ، حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل . فقال له كما قال أول مرة . فقال له النبي ... كما قال أول مرة . قال : « فارجع فلن أستعين بمشرك » .

قالت : ثم رجع فأدركه بالبيداء[٤] ، فقال له كما قال أول مرة « تؤمن بالله ورسوله ؟ » قال : نعم . فقال له رسول الله ... « فانطلق » . رواه مسلم[٥] .

٤٧ – وعن نافع الباهلي – رحمه الله – قال : قال العلاء بن زياد العدوي لأنس بن مالك – رضي الله عنه – : يا أبا حمزة : سن أي الرجال كان نبي الله ... إذ بعث ؟ قال : ابن أربعين سنة . قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، فتمت ستون سنة ، ثم قبضه الله إليه[٦] قال : سن أي الرجال هو يومئذ ؟ قال : كأشب الرجل وأحسنه وأجمله وألحمه .

---

(١) وهي حرة قريبة من المدينة النبوية .
(٢) أي قوة وشجاعة . ينظر جامع الأصول ٨/٢١٣ .
(٣) أي ليسير معه في جيشه ، ويصيب معه من الغنائم .
(٤) وهي الصحراء .
(٥) صحيح مسلم : الجهاد (١٨١٧) .
(٦) المشهور : أن النبي ... بقي بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة ، فيكون عمره لما توفي ... ثلاثاً وستين سنة .

قال : يا أبا حمزة ، وهل غزوت مع رسول الله ... ؟ قال : نعم ، غزوت معه يوم حنين ، فخرج المشركون بكثرة ، فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا[١] ، وفي المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا[٢] ، فلما رأى ذلك رسول الله ... نزل[٣] ، فهزمهم الله فولوا مدبرين ، فقام رسول الله ... حين رأى الفتح ، فجعل يجاء بهم أسارى رجلاً رجلا ، فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجل من أصحاب النبي ... : إن عليَّ نذر لإن جيء بالرجل الذي كان يحطمنا منذ اليوم لأضربن عنقه .

قال : فسكت رسول الله ... ، وجيء بالرجل ، فلما رأى نبي الله ... قال : يا نبي الله تبت إلى الله ، يا نبي الله تبت إلى الله ، قال : فأمسك رسول الله ... فلم يبايعه ، ليوفي الآخر بنذره .

قال : فجعل الآخر ينظر إلى النبي ... ليأمره بقتله ، وجعل يهاب النبي ... أن يقتله ، فلما رأى نبي الله أنه لا يصنع شيئاً بايعه ، فقال يا نبي الله نذري ؟ قال : ‹‹ لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي نذرك ›› فقال : يا رسول الله ألا أومضت إلي[٤] ؟ قال : ‹‹ إنه ليس لنبي أن يومض ››[٥] .

الفوائد والعبر :

١ – بيان شجاعة النبي ... .

---

(١) أي أن المشركين لما باغتوا المسلمين ورشقوهم بالنبال تقهقرت خيل المسلمين حتى كانت خلف المشاة .

(٢) أي يضرب ويكسر في المسلمين ، وهذا يدل على شجاعته .

(٣) في رواية مسلم (١٧٧٦) لحديث البراء ‹‹ فأقبل القوم إلى رسول ا÷ ... ، وأبو سفيان بن الحارث يقوده ببغلته ، فنزل ودعا ، واستنصر ، وهو يقول : ‹‹ أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب اللهم نزل نصرك ›› قال البراء : كنا وا÷ إذا حمي البأس نتقي به ... ، وإن الشجاع منا الذي يحاذي به .

(٤) قال في جامع الأصول ٢٢٨/٨ : ‹‹ الإماض : الإشارة إلى الشيء ›› .

(٥) رواه الإمام أحمد ١٥١/٣ . بإسناد حسن . ورواه أبو داود (٣١٩٤) بزيادة ونقص وسنده صحيح .
وينظر السلسلة الصحيحة (١٧٢٣) .

٢ – أنه ينبغي للمسلمين في حال القتال وغيره التوكل على الله تعالى ، وألا يعجبوا بكثرتهم ولا قوة عتادهم وسلاحهم فهذا من أسباب الانكسار والهزيمة ، ولهذا لما أعجب المسلمون بكثرتهم في هذه الغزوة – غزوة حنين – انكسروا في أول الأمر ، ولكن لما ثبت النبي ... ومن معه من الصحابة متوكلين على الله نصرهم الله تعالى .

٣ – أن المعاصي – ومنها العجب – من أسباب تأخر النصر من الله تعالى للمسلمين ، ومن أسباب حلول الهزائم بهم ، فيجب على المسلمين البعد عن جميع المعاصي التي هي سبب لعقوبات الله تعالى العاجلة والآجلة .

٤ – احترام الصحابة للنبي ... وهيبتهم له .

٥ – أنه يجب على المسلم أن يفي بنذره إن كان يستطيع ذلك ، ويستحب لغيره من المسلمين أن يعين أخاه المسلم على الوفاء بنذره .

٦ – أنه ينبغي للمسلم أن يتحلى بأفضل الأخلاق والآداب ، وأن يبتعد عن كل عمل أو خلق فيه حط من قدر المسلم أو إخلال بمروءته ولو كان مباحا .

* * *

الدرس الثامن والعشرون

أخبار إسلام جبير بن مطعم – رضي اللَّه عنه – .

٤٨ – عن جبير بن مطعم بن عدي – رضي الله عنه– قال : سمعت النبي ... يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية :

ãNèd Pr&ﷲ >äóÓx« ÎŽö•xî ô`ÏB (#qà)Ï=äz Pr&ﷲ }
ÏN¨uq»yJ¡¡9$# (#qà)n=yz Pr&ﷲ ÇÌÎÈ šcqà)Ï=»y‚ø9$#
öNèdy‰ZÏã Pr&ﷲ ÇÌÏÈ tbqãZÏ%qãƒ žw @t/ 4 uÚö‘F{$#ur
{ ÇÌÐÈ tbrã•ÏÜø‹|ÁßJø9$# ãNèd Pr&ﷲ y7În/u‘ ßûÉî!#u“yz
[الطور: ٣٥ - ٣٧]

كاد قلبي أن يطير ، رواه البخاري ومسلم[١] وزاد البخاري في رواية أخرى : « وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي »[٢] .

٤٩ – وعن جبير أيضا – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ... في أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى[٣] لتركتهم له » رواه البخاري ومسلم[٤] ورواه الطبراني ، وزاد : فأسلم عند ذلك جبير[٥] .

الفوائد والعبر :

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٥٤) ، وصحيح مسلم (٤٦٣) ، وزيادة : (فلما بلغ ... إلخ) ليست عند مسلم ، وإنما أخرجها البخاري عن الحميدي ، عن سفيان ، قال : حدثوني عن الزهري ، عن محمد بن جبير ، عن أبيه فذكره . ثم قال : قال سفيان : فأما أنا فإنما سمعت الزهري يحدث عن محمد بن جبير عن أبيه سمعت النبي ... يقرأ في المغرب بالطور ، لم أسمعه زاد الذي قالوا لي .

(٢) صحيح البخاري (٤٠٢٣) .

(٣) قال في جامع الأصول ٢٠٥/٨ : (النتنى : أراد بهم الأسرى ، لأنهم كفار مشركون ، والمشركون نجس ، فاستعار لهم النتن مجازاً) .

(٤) صحيح البخاري (٤٠٢٤) .

(٥) المعجم الكبير (١٥٠٧) وفي إسناده ضعف ، وقال الهيثمي في المجمع ٣٧٧/٩ : « إسناده حسن » .

١ – أن من أوجه إعجاز القرآن تأثيره على من استمعه أو قرأه ، فهذا جبير بن مطعم جاء ليفتدي من أسر من أقاربه في وقعة بدر وهو يحمل من الحقد على الإسلام وأهله ما يحمل ، فما هو إلا أن سمع القرآن حتى وقر الإيمان في قلبه ، وهذا وجه واحد من أوجه أعجاز القرآن الكريم الكثيرة ، وقد أوصلها بعضهم إلى أكثر من خمسة وأربعين وجهاً ، وهذا الكتاب العزيز هو أعظم معجزة لنبينا محمد ... ، وهو معجزته الخالدة ، فقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ‹‹ ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله أليّ ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة ›› رواه البخاري ومسلم[١] .

٢ – أن من الأخلاق الحميدة التي حث عليها الشرع المطهر : مكافأة من أسدى إليك معروفاً ، ولهذا قال النبي ... في شأن المطعم بن عدي – والد جبير – ما قال ، لأنه كانت له يد عند النبي ...[٢] .

٣ – أن جميع الكفار والمشركين أنجاس نجاسة معنوية ، لكفرهم بالله أو برسله أو بكتبه ، وكذبهم على الله وعلى أنبيائه ، وحربهم لدين الله الحق ، أو لإشراكهم مع الله غيره من مخلوقاته ، كما هو صريح في حديث أسرى بدر ، وكما في قوله تعالى :

(#qç/u•ø)tƒ Ÿxsù Ó§pgwU šcqä.ÎŽô³ßJø9$# $yJ¯RÎ) } { 4 #x‹»yd öNÎgÏB$tã èt/ﷲy‰ tP#u•ysø9$# y‰Åfó¡yJø9$#
[التوبة: ٢٨] .

* * *

(١) صحيح البخاري (٤٩٨١) ، وصحيح مسلم (١٥٢) . قال في جامع الأصول ٥٢٣/٨ : ‹‹ ليس شيء من كتب ÷ المنزلة كان معجزاً إلا القرآن ›› .
(٢) ورد هذا في بعض روايات هذا الحديث عند الطبراني (١٥٠٦ ، ١٥٠٨) .

الدرس التاسع والعشرون

قصة إسلام عمير بن وهب – رضي الله عنه – .

٥٠ – عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال : جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر ، بعد مصاب أهل بدر بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله ... وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر ، فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : (والله إنْ في العيش بعدهم خير) .

قال له عمير : صدقت ، أما والله لولا دَيْنٌ علي ليس عندي قضاؤه ، وعيال أخشى عليهم الضيعة[١] بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة[٢] ابني أسير في أيديهم .

قال : فاغتنمها صفوان بن أمية فقال :

علي دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم[٣] ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم ، فقال له عمير : فاكتم عليَّ شأني وشأنك .

قال : سأفعل :

قال : ثم أمر عمير بسيفه ، فشخذ وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً سيفه ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشر وهو الذي حرش بيننا ، وحزرنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله ... فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله

---

(١) الضيعة : الضياع والتشتت .

(٢) العلة : السبب ، ومراده أن النبي ... وأصحابه لن يستنكروا مجيئه إليهم ، لأن ابنه أسير عندهم ، فسيعتقدون أنه جاء لفداء ابنه .

(٣) أواسيهم : أقوم على أمرهم وأنفق عليهم .

عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه .
قال : « فأدخله عليَّ » ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة[١] سيفه في عنقه فلببه بها[٢] ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ... فأجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فأنه غير مأمون .
ثم دخل به على رسول الله ... ، فلما رآه رسول الله ... وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : « أرسله يا عمر ، ادن يا عمير » .
فدنا، ثم قال : انعموا صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله ... « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة » .
فقال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد .
قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه .
قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ » قال : قبحها الله من سيوف ! وهل أغنت عنا شيئاً ؟
قال : « اصدقني ، ما الذي جئت له ؟ » قال : ما جئت إلا لذلك .
قال : « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلتَ : لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك » .
قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق .
فقال رسول الله ... : « فقهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا أسيره » ففعلوا .

---

(١) حمالة السيف : ما يربط به السيف على الجسم .
(٢) لببه بها : أي لفها عليه ، وأمسكه بها .

ثم قال : يا رسول الله ، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله – عز وجل – وأنا أحب أن تأذن لي ، فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله ، وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم . قال : فأذن له رسول الله ... فلحق بمكة . وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب ، يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام ، تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً[1] .

الفوائد والعبر :

١ – وجوب الحذر من كيد الأعداء من المشركين وغيرهم .
٢ – أن أعداء الإسلام والمسلمين لا يتركون وسيلة لإطفاء نور الله إلا فعلوها .
٣ – في الحديث معجزة من معجزات نبينا محمد ... ودليل من دلائل نبوته .
٤ – حفظ الله لأوليائه ونصره لهم .
٥ – وجوب العناية بالداخلين في الإسلام بتعليمهم القرآن وأحكام الإسلام ، ليرسخ الإيمان في قلوبهم ويعبدوا الله على بصيرة ، فيسلموا – بمشيئة الله – من الكفر بعد الإسلام ومن تيارات البدع والخرافة التي يدعوا إليها أهل الأهواء وأصحاب الفرق الضالة .
٦ – أنه يستحب تأليف قلب من دخل في الإسلام حديثاً ليقوى إيمانه ،

(١) رواه ابن اسحاق – كما في السيرة لابن هشام ٦٦١/١ – ٦٦٣ قال حدثني محمد جعفر ، عن عروة بن الزبير . وإسناده صحيح مرسل ، ورواه موسى بن عقبة كما في الإصابة ٣٦/٣ عن ابن شهاب مرسلاً وإسناده صحيح ، ورواه الطبراني في الكبير ٦١/١٧ ، ٦٢ بنحوه مع اختلاف في بعض ألفاظه من طريق أبي عمران الجوني ، قال : لا أعلمه إلا عن أنس . وإسناده حسن لولا شك أبي عمران . وهذه الروايات يشد بعضها بعضاً ، فالحديث حسن لغيره بمجموع طرقه .

ولما في ذلك من دعوة لغيره إلى الإسلام .

٧ – أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على استعمال ألفاظ التحية الإسلامية وأن يبتعد عن استعمال تحية أهل الكفر ، كما أنه يحرم على المسلم التشبه بالكفار في ما هو خاص بهم ، ويعظم خطر التشبه بهم إذا قلدهم المسلم في شيء من أمور دينهم الباطل .

٨ – في قول عمر عن عمير ما يدل على حقارة المشرك ، فالإنسان بغير الإسلام في أحط المنازل ، ومن أكرمه الله بالإسلام وبالتمسك بشرائعه ارتفع إلى أعلى المنازل ، كما قال تعالى :

{ $ygyJolù;r'sù ÇÐÈ $yg1§qy™ $tBur <§øÿtRur
$yg8ª.y— `tB yxn=øùr& ô‰s% ÇÑÈ $yg1uqø)s?ur $ydu‘qègéú
ÇÊÉÈ $yg9¢™yŠ `tB z>%s{ ô‰s%ur ÇÒÈ } [الشمس: ٧ - ١٠] .

فمن أطاع الله فقد زكى نفسه – أي طهرها ورفعها بالطاعة – ومن عصى الله فقد دس نفسه – أي أضلها وأغواها وجعلها خاملة منحطة رذيلة . وإذا وصل إلى درجة الكفر – سواء أكان كفره أصلياً أم بالردة بترك الصلاة أم بغير ذلك – فقد وصل إلى أحط المنازل بل إلى ما هو أحط من حال البهائم ، كما قال تعالى :

{ $yJx. tbqè=ä.ù'tƒur tbqãè-FyJtFtƒ (#rã•xÿx. tûïÏ%©!$#ur
ã@ä.ù's? RF{$#ﷲãN»yè â‘$¨Y9$#ur WtBﷲ“Yq öNçl°; } [محمد: ١٢] .

وكما في قوله سبحانه { öNèduŽnYò2r& ¨br& Ü=|¡øtrB Pr&ﷲ
šcqãèyJó¡o„ rr&ﷲ ètƒﷲšcqè=É) 4 bÎ)ﷲ öNèd žwÎ)
RF{$%x.ﷲÄN»yè (ö@t/ öNèd ‘@|Êr& ¸x‹Î6y™ ÇÍÍÈ } [الفرقان: ٤٤] .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

الدرس الثلاثون

قصة إسلام زيد بن سعنة – رضي اللَّه عنه – .

٥١ – عن عبدالله بن سلام قال : إن الله لما أراد هُدى زيد بن سعنة قال زيد بن سعنة : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ... حين نظرت إليه ، إلا اثنتين لم أخبرهما منه[1] ، يسبق حلمُه جهلَه ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فكنت ألطف له لأن أخالطه ، فأعرف حلمه من جهله . قال زيد بن سعنة : فخرج رسول الله ... يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فأتاه رجل على راحلته كالبدوي ، فقال : يا رسول الله ! قرية بني فلان قد أسلموا ، ودخلوا في الإسلام ، وكنتُ حدثتُهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً ، وقد أصابتهم سنة وشدة وقحوط من الغيث ، فأنا أخشى يا رسول أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً[2] ، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به فعلتَ ، فنظر إلى رجل إلى جانبه أراه علياً – رضي الله عنه – فقال : يا رسول الله ما بقي منه شيء[3] ، قال زيد ابن سعنة : فدنوت إليه فقلت : يا محمد ! هل لك أن تبيعني تمراً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا ؟ فقال : « لا يا يهودي ، ولكني أبيعك تمراً معلوماً إلى أجل كذا وكذا ، ولا تُسمي حائط بني فلان » ، قلت : نعم ، فبايعني ، فأطلقت همياني[4] ، فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا ، فأعطاها الرجل ، فقال : « اغد عليهم فأعنهم بها » .

فقال زيد بن سعنه : فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاث ، أتيته

---

(١) أي لم أتأكد من وجودهما لديه . ينظر النهاية ٦/٢ ، ٧ .

(٢) خشي أن يرتدوا عن الإسلام ، ويرجعوا إلى الشرك ، ظناً منهم أن هذا القحط بسبب إسلامهم .

(٣) أي أن النبي ... نظر إلى علي – رضي ا÷ عنه – ليعرف منه هل بقي عنده شيء من المال ، فكأنه كان هناك فيء للمسلمين ينفق على من احتاج منهم منه – ونحو ذلك – وكان على يد علي – رضي ا÷ عنه .

(٤) الهميان : كيس تجعل فيه النقود ، ويشده الإنسان على وسطه . المصباح ٦٤١/٢ .

فأخذت بمجامع قميصه وردائه[١] ، ونظرت إليه بوجه غليظ ، فقلت له : ألا تقضيني يا محمد حقي ؟ فوالله ما علمتكم بني عبدالمطلب لمطل[٢] ، ولقد كان لي بمخالطتكم علم ، ونظرت إلى عمر وإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ، ثم رماني ببصره ، فقال : يا عدو الله ! أتقول لرسول الله ... ما أسمع ، وتصنع به ما أرى ! فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك[٣] . ورسول الله ... ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ، ثم قال : « يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا ، أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التباعَة[٤] ، اذهب به يا عمر وأعطه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر مكان مَارُعْتَهُ » .

قال زيد : فذهب بي عمر – رضي الله عنه – فأعطاني حقي ، وزادني عشرين صاعاً من تمر ، فقلت : ما هذه الزيادة يا عمر ؟ فقال : أمرني رسول الله ... أن أزيدك مكان مارعتك ، قلت : وتعرفني يا عمر ؟ قال : لا ، من أنت ؟ قلت : أنا زيد بن سعنة ، قال : الحبر ؟ قلت : الحبر[٥] ، قال : فما دعاك أن فعلت برسول الله ... ما فعلت ، وقلت له ما قلت ؟ قلت : يا عمر ! لم تكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ... حين نظرت إليه ، إلا اثنتين لم أخبرهما[٦] منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده الجهل عليه إلا حلماً ، فقد خبرتهما ، فاشهد يا عمر أني قد رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، واشهد أن شطر مالي – وإني أكثرها مالاً – صدقة على أمة محمد ، فقال عمر – رضي

---

(١) أي أن زيد بن سعنة أمسك بمجامع قميص ورداء النبي ... وهما عليه .
(٢) المعنى : أنكم معشر بني عبدالمطلب تماطلون في سداد ما عليكم من الديون والحقوق . قال ذلك ليختبر حلم النبي ... .
(٣) هذا كله من كلام عمر – رضي ا÷ عنه – .
(٤) أي كان الأولى أن تأمرني بحسن القضاء ، وتأمر زيداً بحسن الخلق عند طلب حقه ، والتيسير في ذلك .
(٥) الحَبر : العالم .
(٦) قوله : « لم أخبرهما » أي لم أتأكد من وجودهما لديه . ينظر النهاية ٢/٦ ، ٧ .

الله عنه – : أو على بعضهم فإنك لا تسعهم[1] ، قلت : أو على بعضهم ، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ... ، فقال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ... ، وآمن به وصدقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة ، ثم توفي زيد في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر ، رحم الله زيداً[2] .

(١) أي أن مالك لن يكفي جميع أمة محمد ... – وهم المسلمون – لكثرتهم .
(٢) رواه أبو داود كما في دلائل النبوة لإسماعيل بن محمد التيمي (٣٤١) ، والطبراني في الكبير (٥١٤٧) ، ومن طريقه المزي في تهذيب الكمال في ترجمة حمزة بن
= يوسف ، لوحة (٣٣٤ ، ٣٣٥) ، عن عبدالوهاب بن نجدة الحوطي ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبدا÷ بن سلام ، عن أبيه ، عن جده ، عن عبدا÷ بن سلام . ورجاله ثقات ، عدا محمد بن حمزة ، وهو « صدوق » ، وعدا « حمزة بن يوسف » ، وهو « مقبول » ، وقال المزي : « هذا حديث حسن مشهور في دلائل النبوة » ، وقال الهيثمي في المجمع ٢٤٠/٨ : « رواته ثقات » .
ورواه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في البر والإحسان ، باب الصدق (٢٨٨) ، والطبراني (٥١٤٧) ، والحاكم في معرفة الصحابة ٦٠٤/٣ ، ٦٠٥ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ، ص٥٢ ، ٥٣ ، والبيهقي في دلائل النبوة ، باب استبراء زيد ابن سعنة أحوال النبي ... ٢٧٨/٦ ، ٢٧٩ من طرق عن محمد بن المتوكل – وهو ابن أبي السري – عن الوليد به . وابن المتوكل « صدوق ، له أوهام كثيرة » ، وقال الحافظ في الإصابة ٥٤٩/١ : « رجال الإسناد موثقون ، وقد صرح الوليد فيه بالتحديث ، ومداره على محمد بن أبي السري ... » ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وهو من غرر الحديث » .
ولهذا الحديث شاهدان مرسلان رواهما يونس بن بكير – كما في السيرة لابن إسحاق – (تحقيق محمد حميدا÷ ٢٧٢ ، ٢٧٣) عن عبدالرحمن بن أمين الكناني ، قال : حدثني محمد بن علي بن الحسين بن علي ، وحدثني الزهري قالا ... فذكره بنحوه دون ذكر قتله في غزوة تبوك ، ودون ذكر اسم اليهودي الذي أسلم .
وعبدالرحمن بن أمين « ضعيف » كما في اللسان ٤٤٢/٣ .
وروى مرسل الزهري ابن سعد في ذكر صفة رسول ا÷ ... في التوراة والإنجيل ٣٦١/١ عن يزيد بن هارون ، أخبرنا جرير ، حدثني من سمع الزهري فذكره بنحو مرسله السابق . وإسناده ضعيف ، لعدم ذكر اسم شيخ =

الفوائد والعبر :

١ – في هذا الحديث دليل من دلائل نبوة نبينا محمد … .
٢ – أن الحلم عند أخطاء الآخرين خلق رفيع ، وهو صفة من صفات النبي … .
٣ – أنه ينبغي لصاحب الحق كالدائن ونحوه أن يحسن التعامل عند طلبه حقه ممن عليه الحق ، وأن يكون سمحاً عند الاقتضاء .
٤ – أنه ينبغي للمدين ومن عليه حق لغيره أن يصدق في نية الوفاء وأن يحسن عند القضاء .
٥ – قوة إيمان هذا الصحابي – زيد بن سعنه – عند إسلامه ، ولهذا تبرع بنصف ماله صدقة على المسلمين .

* * *

جرير . وقد ذكره الحافظ في الإصابة شاهداً لرواية عبداء÷ بن سلام .
= ولهذا الحديث شواهد فيما يتعلق بصفته … في التوراة ، تنظر عند ابن سعد في الموضع السابق ، وله أيضاً شاهد عند البيهقي ٢٨٠/٦ ، وفيه من لم أعرفه .
وبالجملة رواية عبداء÷ بن سلام ضعفها ليس قوياً ، فتتقوى بشواهدها المذكورة ، عدا ما يتعلق بوفاته في غزوة تبوك ، وقد أنكر هذه الجملة الذهبي في التلخيص .

الدرس الحادي والثلاثون

إسلام قبيلة « عبد القيس » وقدوم وفدهم

٥٢ – عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : إن ناساً من عبد القيس قدموا على رسول الله ... ، فقالوا : يا رسول الله إنا حي من ربيعة ، وبيننا وبينك كفار مضر ، ولا نقدر عليك إلا في أشهر الحُرُم[١] ، فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ، إذا نحن أخذنا به . فقال رسول الله ... « آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا رمضان ، وأعطوا الخمس من الغنائم[٢] ، وأنهاكم عن أربع ، عن الدباء ، والحنتم ، والمزفت ، والنقير »[٣] . قالوا : يا نبي الله ! ما علمك بالنقير ؟ قال « بلى ، جذع تنقرونه ، فتقذفون فيه من القطيعاء »[٤] – أو قال : من التمر – ثم تصبون فيه من الماء ، حتى إذا سكن غليانه شربتموه . حتى إن أحدكم – أو إن أحدهم – ليضرب ابن عمه بالسيف »[٥] ، قال وفي القوم رجل أصابته جراحة كذلك . قال وكنت أخبأها حياء من رسول الله ... . فقلت : ففيم

(١) أي لا نستطيع الوصول إليك إلا في الأشهر الحرم ، وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب ، لأن الكفار لا يقاتلون فيها .

(٢) قيل : إن قوله : « وأعطوا الخمس » ، معطوف على قوله « آمركم بأربع » ، أي آمركم بأربع وبأن تعطوا الخمس » ينظر : الفتح ١/١٣٣ .

(٣) الدباء : واحد دباءة ، وهو القرع . والمراد الإناء الذي يتخذ من القرع ، والحنتم هي الجرة التي تصنع من الطين ، والمزفت هو الإناء المطلي بالزفت أو القار ، والنقير هو جذع النخلة ينقر ويتخذ إناء . ينظر : جامع الأصول ٥/١٤٦ ، الفتح ١/١٣٤ . والمراد بالنهي النهي عن هذه الأربع عن وضع النبيذ فيها ، والنبيذ هو أن يطرح في الإناء الذي فيه ماء عنب أو تمرٌ أو شعيرٌ أو قمحٌ ، ثم يترك فترة من الزمن ، ثم يشرب قبل أن يتخمر .

(٤) قال في جامع الأصول ٥/١٤٩ : « القطيعاء : نبيذ معروف يتخذ من الحنطة » .

(٥) أي أن هذا النبيذ ترك مدة أطول أو بسبب أن الإناء يسرع النبيذ فيه إلى التخمر أصبح النبيذ الذي فيه مسكراً بسبب تحوله إلى خمر .

نشرب يا رسول الله ؟ قال ‹‹ في أسقية الأدم ، التي يلاث على أفواهها ››[١] قالوا : يا رسول الله ! إن أرضنا كثيرة الجرذان . ولا تبقى بها أسقية الأدم . فقال نبي الله ... ‹‹ وإن أكلتها الجرذان . وإن أكلتها الجرذان ، وإن أكلتها الجرذان ›› قال : وقال نبي الله ... لأشج عبد القيس ‹‹ إن فيك لخصلتين يحبهما الله ، الحلم والأناة ›› رواه مسلم[٢] .

الفوائد والعبر :

١ – وجوب عبادة الله ، وتحريم الشرك الذي هو أعظم الذنوب ، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : قلت : يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال: ‹‹ أن تجعل لله نداً وهو خلقك ››[٣] .

٢ – وجوب إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأداء خمس الغنيمة .

٣ – تحريم الانتباذ في الأواني التي يسرع تخمر النبيذ فيها .

٤ – أن الخمر أم الخبائث ، ولها أضرار كثيرة على المجتمع وعلى العقل وعلى الجسد ، ومن أضراره على المجتمع ما يحصل من أذى من قبل شارب الخمر إذا سكر من اعتداء على أبدان أو أموال أو أعراض من حوله ، لأنه يفقد عقله ، فيكون كالمجنون ، كما قال الشاعر :

جانب الخمرة واحذر وقعها   كيف يسعى في جنون من عقل

٥ – أنه يجب على المسلم طلب الحلال والبعد عن الحرام ولو أنفق بعض أمواله أو أتعب جسده في سبيل ذلك .

٦ – أن من الأخلاق المحمودة التي يحبها الله تعالى الحلم ، وعدم العجلة .

---

(١) أي في الأسقية التي من الجلد ، والتي تغلق أفواهها بالوكاء .
(٢) صحيح مسلم (١٨) . وله شاهد أخصر منه من حديث ابن عباس عند البخاري (٥٣، ٤٣٦٨) ، ومسلم (١٧) .
(٣) صحيح البخاري (٦٨٦١) ، وصحيح مسلم (٨٦) .

*   *   *

الدرس الثاني والثلاثون
بقية أخبار وفد « عبد القيس »

٥٣ – عن أبي القموص زيد بن علي – رحمه الله – قال : حدثني أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله ... من عبد القيس ، قال : وأهدينا له فيما نهدي نوطاً[(١)] أو قربة من تغضوض أو برني[(٢)] ، فقال : « ما هذا ؟ » قلنا : هذه هدية . قال : وأحسبه نظر إلى تمرة منها فأعادها مكانها ، وقال : « أبلغوها آل محمد »[(٣)] ، قال : فسأله القوم عن أشياء ، حتى سألوه عن الشراب[(٤)] ، فقال : « لا تشربوا في دباء ولا حنتم ولا نقير ولا مزفت[(٥)] ، اشربوا في الحلال الموكى عليه »[(٦)] فقال له قائلنا : يا رسول الله ، وما يدريك ما الدباء والحنتم والنقير والمزفت ؟ قال : « أنا لا أدري ما هيه[(٧)] ؟ أي هجر أعز ؟ » قلنا : المشقر[(٨)] . قال : « فوالله ، لقد دخلتها وأخذت إقليدها[(٩)] ، ووقفت على عين الزارة »[(١٠)] .
ثم قال : « اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير كارهين ،

---

(١) النوط : وعاء من خوص يوضع فيه التمر يكنز فيه ، ويسمى (جُلَّه) . ينظر : اللسان (مادة نوط ، ومادة جلل) .
(٢) التغضوض : نوع من التمر ، والبرني مثله . ينظر : اللسان (مادة نوط) .
(٣) أي أن النبي ... أمرهم أن يرسلوا هذه الهدية إلى أهله .
(٤) أي سألوه ماذا يشربون من النبيذ – والنبيذ هو أن يطرح التمر أو الشعير أو الزبيب في ماء ويترك فترة من الزمن ، ثم يشرب قبل أن يتخمر .
(٥) هذه الأربع من الأواني ، وقد سبق بيان المراد بها قريباً .
(٦) أي انتبذوا في آنية الجلود التي تغلق أفواهها بالوكاء .
(٧) هذا استفهام تقريري ، والمعنى : أنني أعرفها معرفة جيدة .
(٨) المراد : أن النبي ... سأل عن حصون هجر – وهي الأحساء – أيها أفضل . فأجابوه بأن أفضلها حصن « المشقَّر » .
(٩) الإقليد يطلق على المفتاح .
(١٠) الزارة : قرية بالبحرين .

غير خزايا ولا موتورين[1] ، إذ بعض قومنا لا يسلمون حتى يخزوا ويوتروا » . قال : وابتهل وجهه هاهنا من القبلة ، حتى استقبل القبلة – يدعو لعبد القيس – ثم قال : « إن خير أهل المشرق عبد القيس »[2] .

٥٤ – وعن هانئ بن يزيد – رضي الله عنه – أنه لما وفد إلى رسول الله ... مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم ، فدعاه رسول الله ... فقال « إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكْم ، فلم تُكْنَى أبا الحكم » ؟ فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضيَ كلا الفريقين ، فقال رسول الله ... « ما أحسن هذا ، فما لك من الولد » ؟ قال : لي شريح ومسلم وعبدالله ، قال « فمن أكبرهم » ؟ قلت : شريح ، قال : « فأنت أبو شريح »[3] .

الفوائد والعبر :

١ û استحباب هدية المسلم لأخيه المسلم ، واستحباب قبولها .
٢ û تحريم كل مسكر .
٣ û تحريم كل ما يؤدي إلى مفسدة ، وهو ما يعرف في الشرع بـ « سد الذريعة » ، فكل وسيلة تؤدي إلى محرم فهي محرمة تحريم الوسائل ، ولهذا منع النبي ... من شرب النبيذ الذي يوضع في الأواني التي يسرع فيها النبيذ إلى التخمُّر ، لئلا يشربوا ما هو مسكر من حيث لا يعلمون .
٤ û أن قبول الإسلام وقبول الحق ممن دعا إليه من أول وهلة دليل على فضل من قبلها وأنه خير من كثير ممن تردد في قبولها أول الأمر .
٥ û أنه لا ينبغي تسمية أحد أو تكنيته باسم من أسماء الله تعالى ، وبالأخص إذا روعي معنى هذا الاسم عند التسمية .
٦ û استحباب تكنية الرجل أو المرأة بأكبر أولاد كل منهما .

(١) الموتورون : الذين أصابهم قتل وجراح ونحوهما .
(٢) رواه الإمام أحمد (١٧٨٢٩) بإسناد صحيح ، ورواه أبو داود (٣٦٩٥) وغيره مختصراً .
(٣) رواه أبو داود (٤٩٥٥) ، والنسائي (٥٤٠٢) بإسناد حسن .

* * *

الدرس الثالث والثلاثون

قصة إسلام فرات بن حيان العجلي ، وخبر إسلام حرملة الأنصاري بعد نفاقه

٥٥ – عن فرات بن حيان العجلي – رضي الله عنه – أن النبي ... أمر بقتله ، وكان عيناً لأبي سفيان[١] وحليفاً ، فمرَّ بحلقة من الأنصار ، فقال : إني مسلم . فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، إنه يقول : إنه مسلم ، فقال « إن منكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم[٢] ، منهم فرات بن حيان »[٣] .

٥٦ – وعن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : كنت عند النبي ... إذ جاءه حرملة بن زيد ، فجلس بين يدي رسول الله ... ، فقال : يا رسول الله الإيمان هاهنا وأشار بيده إلى لسانه ، والنفاق هاهنا وأشار بيده إلى صدره ، ولا يذكر الله إلا قليلا ، فسكت عنه النبي ... ، فردد ذلك عليه ، وسكت حرملة ، فأخذ النبي ... بطرف لسان حرملة ، فقال : « اللهم اجعل له لساناً صادقاً وقلباً شاكراً ، وارزقه حبي وحب من يحبني ، وصيِّر أمره إلى خير » فقال حرملة : يا رسول الله إن لي إخواناً منافقين كنت فيهم رأساً ، أفلا أدلك عليهم ؟ فقال النبي ... : « لا ، من جاءنا كما جئتنا استغفرنا له كما استغفرنا لك ، ومن أصر على ذنبه فالله أولى به ، ولا تخرق على أحد سراً »[٤] .

---

(١) أي جاسوساً لأبي سفيان في حروبه . تنظر ترجمته في الإصابة ١٩٦/٣ .
(٢) أي نصدقهم في قولهم « نحن مؤمنون » .
(٣) رواه الإمام أحمد (١٨٩٦٥) ، وأبو داود (٢٦٥٢) وغيرهما . وسنده صحيح .
(٤) رواه الطبراني في الكبير (٣٤٧٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٢٤٨) ورجاله
= حديثهم لا ينزل عن درجة الحسن ، عدا « أبو ذبحة » فلم أقف على ترجمته ، وقال الهيثمي ٤١٠/٩ : « رجاله رجال الصحيح » ، وقال الحافظ في الإصابة ٣١٩/١ : « إسناده لا بأس به » . وله شاهد من حديث أم الدرداء عند القضاعي في مسند الشهاب (٩٣٤) ، وشاهد آخر من حديث أبي الدرداء عند الطبراني ، قال في المجمع ٤٠٢/٩ : « فيه راو لم يسم ، وبقية رجاله ثقات » .

الفوائد والعبر :

١ û أن من أظهر الإسلام وجب قبول علانيته ، وتوكل سريرته إلى من يعلم السرائر جل وعلا .

٢ û أن المنافق من أسفه الناس وأقلهم عقلا ، كما قال تعالى :

} z`tB#uä !$yJx. (#qãYÏB#uä öNßgs9 Ÿ@ŠÏ% #sŒÎ)ur âä!$ygxÿ•¡9$# z`tB#uä !$yJx. sçRr&ß`ÏB (#ûqä9$s% â¨$¨Z9$# žw `Å3»s9ur âä!$ygxÿ•¡9$# ãNèd öNßg¯RÎ) Iwr& 3 =JnßqbtètƒÇÊÌÈ { [البقرة: ١٣] .

كما أنه يتصف بالجبن والهلع ، ولذلك أظهر الإيمان وأبطن الكفر ، فهو يخاف من القتل وأن تسلب أمواله لكفره فيظهر الإسلام ، وليس عنده شجاعة فيقاتل مع الكفار ، فيلجأ إلى النفاق ، قال تعالى عنهم :

} öNßg¨ZÅ3»s9ur ×Pöqs% ƒtÿøŠ•%eqcš ÇÎÏÈ öqs9 †gsÅ%ßrcš Bt=ùfy«¸$ Bt×ótÂ» •u¨NB &rr Wxyz£%ãB &rr 9©quq9öq#) (Î9s‹ømÏ rudèNö †gsøJyßqbt ÇÎÐÈ { [براءة: ٥٦، ٥٧] .

والفرق : الخوف .

٣ û أن من أسر بمعصيته ، ولم يطلع عليها الناس لا يشرع التجسس عليه ، ولو كانت كفراً أو بدعة ، لكن ينبغي مناصحته مناصحة عامة ، وحسابه على الله تعالى .

الدرس الرابع والثلاثون

خبر إسلام رجلين استشهدا ولم يصليا لله قط

٥٧ – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه كان يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل لله قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ؟ فيقول : أصيرم بني عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش . قال الحصين – أحد الرواة – فقلت لمحمود بن لبيد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه . فلما كان يوم خرج رسول الله … إلى أحد ، بدا له في الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، قال : فبينا رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر[١] ، فسألوه ما جاء به ؛ فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحدب على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام آمنت بالله ورسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفي ، فغدوت مع رسول الله … ، ثم قاتلت معه حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم . فذكروه لرسول الله … ، فقال : « إنه لمن أهل الجنة »[٢] .

٥٨ – وعن البراء بن عازب – رضي الله عنهما – قال : أتى النبي … رجل مقنع بالحديد[٣] ، فقال : يا رسول الله أقاتل أو أسلم ؟ فقال النبي … : « أسلم ثم قاتل » ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك عبده ورسوله . ثم تقدم فقاتل حتى قتل . فقال النبي … : « عمل هذا يسيراً

---

(١) أي أنه منكر للإسلام ولم يسلم .
(٢) رواه ابن إسحاق – كما في السيرة لابن هشام ٩٠/٣ – بإسناد حسن . وقد حسنه الحافظ في الإصابة ٥١٩/٢ . ورواه بنحوه أبو داود (٢٥٣٧) ، والحاكم ٢٨/٣ بإسناد حسن . وحسنه الحافظ في الإصابة .
(٣) أي قد غطى جسده بالسلاح من درع وغيره .

وأجر كثيرا » رواه البخاري ومسلم[1] .

الفوائد والعبر :

١ – سعة فضل الله على عباده ، فهو جل وعلا يثيب الثواب الجزيل على العمل اليسير تفضلاً منه وكرما .

٢ – فضل الإخلاص في الأعمال ، وأنها سبب لنيل الثواب ، ومغفرة الله تعالى لعبده .

٣ – أن الأعمال بالخواتيم ، وقد ثبت عن النبي ... أن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس وهو من أهل النار ، وأن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدوا للناس وهو من أهل الجنة ، رواه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد[2] ، وروى البخاري ومسلم أيضاً[3] عن عبدالله ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله ... وهو الصادق المصدوق[4] : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد ، فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

قال النووي في شرح هذا الحديث : « من لطف الله تعالى وسعة رحمته أنقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة ، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندرة ونهاية القلة ، وهو نحو قوله تعالى : إن رحمتي سبقت غضبي وغلبت غضبي »[5] .

* * *

---

(١) صحيح البخاري (٢٨٠٨) ، وصحيح مسلم (١٩٠٠) .
(٢) صحيح البخاري (٢٨٩٨) ، وصحيح مسلم (١١٢) .
(٣) صحيح البخاري (٣٢٠٨) ، وصحيح مسلم (٢٦٤٣) .
(٤) أي الصادق في قوله ، والذي يصدق له في القول ، والذي يصدُقه ا÷ تعالى في وعده . ينظر الفتح ٤٧٨/١١ .
(٥) شرح مسلم للنووي ١٩٢/١٦ .

الدرس الخامس والثلاثون
خبر إسلام بعض الجن بالمدينة النبوية

٥٩ – عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنه قال : دخلت على أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – في بيته ، قال : فوجدته يصلي ، فجلست انتظره حتى قضى صلاته ، فسمعت تحريكا في عراجين في ناحية البيت[1] ، فالتفت فإذا حية ، فقمت لأقتلها ، فأشار إلي أن اجلس ، فلما انصرف ، أشار إلى بيت في الدار ، وقال : أترى هذا البيت ؟ قال : فقلت : نعم ، قال : إنه كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس ، فخرجنا مع رسول الله ... إلى الخندق ، فكان ذلك الفتى يستأذنه بأنصاف النهار ، ويرجع إلى أهله ، قال : فاستأذن النبي ... يوما فقال له : « خذ سلاحك ، فإني أخشى عليك قريظة »[2] فأخذ سلاحه ثم ذهب ، فإذا هو بامرأته بين البابين ، فهيأ لها الرمح ليطعنها به[3] ، وأصابته الغيرة ، فقالت : أكفف عنك رمحك حتى ترى ما في بيتك ، فدخل ، فإذا حية عظيمة منطوية على فراشه ، فأهوى إليها ، فانتظمها فيه ، ثم خرج به ، فركزه في الدار ، فاضطربت الحية في رأس الرمح ، وخر الفتى[4] صريعاً فما يدرى أيهما كان أسرع موتا الفتى أم الحية ، قال : فجئنا رسول الله ... ، فذكرنا ذلك له وقلنا : ادع الله أن يحييه ، فقال : « استغفروا لصاحبكم » ثم قال : « إن

---

(١) قال ابن الأثير : (العراجين : جمع عرجون ، وهو ساعد العذق ، والمراد به هنا : الأخشاب التي تسقف بها السقوف) .

(٢) وذلك أن يهود بني قريظة قد نقضوا العهد ، فخاف النبي ... أن يغدروا به .

(٣) قال القرطبي : (أي أماله إليها إرهابا ومبالغة في الزجر ، وحمله عليه فرط الغيرة ، وما كان بالذي يطعنها) .

(٤) أي أن هذا الفتى الأنصاري طعن الحية بالرمح حتى خرج الرمح من جانب الحية الآخر ، فنشبت الحية في الرمح ، ثم أخذ الرمح وفي رأسه الحية ، فركزه في داخل بيته ، فتحركت الحية وهي في رأس الرمح ، فماتت ، ومات الفتى أيضا عند موت هذه الحية .

بالمدينة جنا قد أسلموا ، فإن رأيتم منها شيئا فآذنوه ثلاثة أيام[١] ، فإن بدا لكم بعد ذلك ، فاقتلوه ، فإنما هو شيطان »[٢] . رواه مسلم[٣] .

الفوائد والعبر :

١ – في خوفه ... على هذا الفتى من يهود بني قريظة ما يدل على مقدار ما بلغ أذى اليهود للمسلمين في داخل المدينة ، وذلك أنهم قد نقضوا عهدهم مع النبي ... ، وتهددوا المسلمين حال انشغالهم بحفر الخندق وما بعد ذلك لما وصلت الأحزاب ، وهذا كله يدل على خبث اليهود ونقضهم للعهود وعداوتهم الشديدة للمسلمين وبغضهم لهم ، وأنهم لا يتركون فرصة للقضاء على الإسلام وأهله إلا استغلوها ، فيجب على المسلمين أن يحذروا من كيد اليهود – ومثلهم جميع الكفار – في كل وقت ، سواء كيدهم الحربي أو الثقافي أو غيرهما .

٢ – في هذا الحديث ما يدل على غيرة المسلم على عرضه وأهله ، فهذا الفتى لما رأى زوجته عند الباب أخذته الغيرة ، فتهددها وزجرها بتصويب الرمح إليها ، وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادة – رضي الله عنه –: لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح به ، فبلغ ذلك رسول الله ... : فقال : « أتعجبون من غيرة سعد ؟ فوالله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ، ومن أجل ذلك وعد الله

---

(١) أي يحذره ويحرج عليه ، فيقول مثلا : أنت في حرج إن عدت إلينا فلا تلومينا أن نضيق عليك بالطرد والقتل .

(٢) قال النووي : (قال العلماء : معناه : وإذا لم يذهب بالإنذار علمتهم أنه ليس من عوامر البيوت ، ولا ممن أسلم من الجن ، بل هو شيطان ، فلا حرمة عليكم ، فاقتلوه ، ولن يجعل ا÷ له سبيلا للانتصار عليكم بثأره ، بخلاف العوامر ومن أسلم . وا÷ أعلم .)

(٣) صحيح مسلم : (٢٢٣٦) .

الجنة »[١] ولذلك فإنه يجب على المسلم أن يكون غيوراً على أهله من زوجة وبنات وغيرهن ، فلا يرضى أن تختلط نساؤه بالرجال الأجانب ، ولا يرضى أن تحادث الرجل الأجنبي من غير حاجة ، ولا في حال خلوة بينهما ، ولا أن تصافح الرجل الأجنبي ، ولا أن تخرج أمام الرجال وقد ظهر شيء من بدنها ، سواء اليد أو غيرها ، أو تلبس ما يسمى (الكاب) الذي يبرز رأس وجسم المرأة ، ومثله العباءة التي تلبس على الكتفين فهذا لا ينبغي أن يرضاه غيور لنسائه ، والله المستعان .

٣ – استحباب قتل الحيات التي ليست في البيوت مطلقا ، لما فيها من الأذى والسم القاتل ، أما التي في البيوت فإن كانت في مدينة النبي … فإنها لا تقتل حتى تنذر ثلاثة أيام ، فإن لم تختف وتذهب فتقتل ، وذلك لأنه يخشى أن تكون من الجن الذين أسلموا بالمدينة ، فإذا لم تذهب بعد الإنذار ثلاثة أيام علم أنها من الشياطين – وهم الجن الذين لم يسلموا – أو من الحيات اللاتي لم يتشكل الجن في صورهن .

أما الحيات اللاتي في بيوت غير المدينة النبوية ، فقيل : إنها تقتل بدون إنذار ، وقيل : لابد من إنذارها ثلاثا .

وقد روي مسلم عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله … يقول : اقتلوا الحيات ، واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر ، فإنها يلتمسان البصر ، ويستسقطان الحبالى[٢] . فلبثت لا أترك حية أراها إلا قتلها ، فبينا أنا أطارد حية يوما من ذوات البيوت مر بي زيد بن الخطاب أو أبو لبابة وأنا أطاردها ، فقال : مهلاً يا عبدالله . فقلت : إن رسول الله … أمر بقتلهن .

---

(١) صحيح البخاري (٧٤١٦) ، وصحيح مسلم (١٤٩٩) ، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند مسلم (١٤٩٨) ، ومن حديث ابن مسعود عند البخاري (٤٦٣٧) ، ومسلم (٢٧٦٠) .

(٢) الطفيتان : خطان أبيضان على ظهر الحية ، والأبتر : قصير الذنب ، أو الذي ليس له ذنب . ومعنى (يستسقطان الحمل) : أن المرأة الحامل إذا نظرت إليهما وخافت أسقطت الحمل غالباً ، وقيل : إنهما إذا لدغا المرأة أسقطت الحمل من أثر سمهما .

قال : إن رسول الله ... نهى عن قتل ذوات البيوت[١] .

* * *

(١) صحيح مسلم (٢٢٣٣) .
وينظر في شرح العبارات السابقة ، وبيان الفوائد المستنبطة : المعلم ٣/١٠٩ ، ١١٠ ، المفهم ٥/٥٣٦ – ٥٣٨ ، إكمال المعلم ٧/١٧٠ – ١٧٢ ، شرح النووي ١٤/٢٢٩ – ٢٣٦ ، جامع الأصول ١٠/٢٣٠ – ٢٣٣ ، شرح الأبي وشرح السنوسي ٦/٤٩ – ٥٣ .

الدرس السادس والثلاثون

صلح الحديبية وخبر إسلام المغيرة بن شعبة

٦٠ – عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا : خرج رسول الله ... زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ... : « إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين »[1] ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش[2] فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ... حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته . فقال الناس : حل حل ، فألحت فقالوا : خلأت القصواء[3]، خلأت القصواء ، فقال النبي ... : « ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل » ، ثم قال : « والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها » . ثم زجرها فوثبت ، قال : فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً[4] ، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله ... العطش. فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم

---

(١) الغميم : مكان بين رابغ والجحفة ، والطليعة مقدمة الجيش ، وذلك أن قريشاً لما علمت بخروج رسول ا÷ ... ومن معه يريدون العمرة خرجت في جيش كبير لمنعهم من العمرة ومن دخول مكة ، فأخبر النبي ... بجيش قريش ، وبطليعته بقيادة خالد ، فأمر الصحابة أن يتجهوا ذات اليمين – وهي الجهة التي فيها خالد ومن معه .

(٢) القترة : الغبار الأسود .

(٣) الثنية هي كالعقبة في الجبل ، أو كالطريق فيه . وهذه الثنية قريبة من الموضع الذي فيه جيش قريش . وحل : كلمة تقال للناقة إذا تركت السير لتسير . وألحت : تمادت في عدم القيام . وخلأت : الخلاء للإبل كالحران للخيل .

(٤) الثمد : الماء القليل ، والمراد هنا : البئر التي فيها ماء قليل . والتبرض : أخذ الماء قليلاً قليلاً .

بالري حتى صدروا عنه[١] ، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ...[٢] من أهل تهامة فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي[٣] نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل[٤] وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال رسول الله ... : « إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر ، فإن شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا[٥] وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي[٦] ، ولينفذن الله أمره »[٧] . فقال بديل : سأبلغهم ما تقول . قال : فانطلق حتى أتى قريشاً ، قال : إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول ، قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبي ... فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم ، ألستم بالولد ؟ وألست بالوالد ؟

---

(١) نزحوه : أخذوا جميع ما فيه من الماء . والكنانة : الجعبة التي توضع فيها السهام . ويجيش : يفور . وصدروا عنه : رجعوا رواء بعد وردهم .
(٢) أي موضع النصح له والأمانة على سرّه .
(٣) يريد بني كعب وبني عامر ، وهما فخذان من قريش ، وكان أهل من مكة منهما .
(٤) أعداد : جمع عد ، وهو الماء الذي لا انقطاع له ، والعوذ : جمع عائذ ، وهي الناقة ذات اللبن . والمطافيل : الأمهات اللاتي معهن أطفالهن . ومراده أنهم خرجوا بذوات اللبن من الإبل للتزود بلبنها لعزمهم طول البقاء لصده ... ، أو أنهم خرجوا بالنساء معهن أطفالهن من أجل طول المقام .
(٥) أي إن شاءت قريش صالحتهم مدة من الزمن ، ويخلون بيني وبين سائر الناس ، فإن انتصرت على غيرهم وتبعوني كانوا هم بالخيار ، إن شاؤوا تبعوني كغيرهم ، وإلا كانوا قد استراحوا وتقووا في فترة الصلح .
(٦) السالفة : صفحة العنق . قال ابن الجوزي في كشف المشكل : « إنما عنى الهلاك ، لأن السالفة لا تنفرد عما يليها إلا بالقتل » .
(٧) أي لينصرن دينه .

قالوا : بلى ، قال : فهل تتهموني ؟ قالوا : لا ، قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي[١] جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد ، اقبلوها ودعوني آته ، قالوا : ائته ، فأتاه فجعل يكلم النبي ... ، فقال النبي ... نحوا من قوله لبديل . فقال عروة عند ذلك : أي محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك[٢] ؟ وإن تكن الأخرى[٣] ، فإني والله لأرى وجوهاً[٤] ، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك[٥] . فقال له أبو بكر رضي الله عنه : امصص بظر اللات[٦] ، أنحن نفر عنه وندعه ؟ فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر ، قال : أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي[٧] لم أجزك بها لأجبتك . قال : وجعل يكلم النبي ... فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته[٨] ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ... ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ... ضرب يده بنعل السيف ، وقال له : أخر يدك عن لحية رسول الله ... ، فرفع عروة رأسه فقال : من هذا

---

(١) أي امتنعوا من المجيء معي لنصرتكم .
(٢) الاستئصال : الإهلاك . ومثله : الاجتياح . وأراد بقوم النبي ... قريشاً ، لأن النبي ... قرشي منهم .
(٣) أراد انهزام المسلمين وغلبة قريش ، وقتل المسلمين .
(٤) الوجوه : الأعيان . أراد أن قريشاً خرجت بأشرافها وشجعانها . وفي بعض نسخ البخاري المطبوعة : « لا أرى » وهو تصحيف .
(٥) قال في كشف المشكل : « الأشواب والأوشاب والأوباش والأشايب : الأخلاط من الناس من قبائل شتى » ، وخليقاً : أي حقيقاً . والمعنى : أي لا يبعد منهم أن يفروا .
(٦) البظر : قطعة من اللحم تبقى في فرج المرأة بعد ختانها . واللات : الصنم الذي كان يعبده عروة وقومه ثقيف . وهذه كلمة تقولها العرب عند الشتم .
(٧) أي لولا معروف سابق منك لي . قيل : إن أبا بكر أعانه بعشر من الإبل في دية كانت عليه .
(٨) كان من عادة العرب عند المحادثة أن يلمس أحدهم لحية من يحادثه ، لاسيما عند الملاطفة وكان من يحادثه نظيراً له ، وإنما منعه المغيرة لأنه ليس نظيراً للنبي ....

؟ قال : المغيرة بن شعبة ، فقال : أي غدر ، ألست أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم . فقال النبي ... : « أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء »[(١)] ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ... بعينيه ، قال : فوالله ما تنخم رسول الله ... نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده . وإذا أمرهم ابتدروا أمره . وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه[(٢)] وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له . فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي . والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ... محمداً . والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده. وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له . وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، فقال رجل من بني كنانة : دعوني آته ، فقالوا : ائته . فلما أشرف على النبي ... وأصحابه قال رسول الله ... : « هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له » ، فبعثت له ، واستقبله الناس يلبون[(٣)] . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت[(٤)] فما أرى أن يصدوا عن البيت . فقام رجل منهم[(٥)] يقال له : مكرز بن حفص ، فقال : دعوني آته ، فقالوا : ائته . فلما أشرف عليهم قال النبي ... : « هذا مكرز ، وهو رجل

---

(١) أي لا أتعرض لمال الكفار ، لأنه أخذ غدراً ، وكان المغيره طلب من النبي ... أن يقسمه .
(٢) أي يتسابقون إلى بقية وضوء النبي ... .
(٣) البدن : هي الإبل التي ساقها النبي ... وأصحابه هدياً ليذبحوه في الحرم ، ابعثوها : أي أثيروها لتمشي أمام هذا الرجل الكناني ، وزاد الصحابة التلبية ليشعروه أنهم أتوا حجاجاً لا محاربين .
(٤) التقليد : هو أن يعلق في عنق الهدي شيء ليعلم أنها هدي . والأشعار هو أن يطعن في جانب سنام البعير المهدى الأيمن حتى يسيل منه الدم ، ليعلم أنه هدي .
(٥) أي من قريش ، وهو من بني عامر بن لؤي .

فاجر »[١] ، فجعل يكلم النبي ... فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو ، قال معمر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة : أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ... : « قد سهل لكم من أمركم » . قال معمر : قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل بن عمرو فقال : هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً ، فدعا النبي ... الكاتب فقال النبي ... اكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم » : فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ، كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي ... : « اكتب باسمك اللهم » . ثم قال : « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » ، فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك . ولكن اكتب : محمد بن عبدالله ، فقال النبي ... : « والله إني لرسول الله وإن كذبتموني ، اكتب : محمد بن عبدالله » . قال الزهري : وذلك لقوله : « لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها » . فقال له النبي ... : « على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به » . فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة[٢] ، ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتب . فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا قال المسلمون : سبحان الله ، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً ؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده[٣] . وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه[٤] أن ترده إلي . فقال النبي ... : « إنا لم نقض الكتاب بعد » . قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي ... : « فأجزه لي »[٥] ، قال : ما أنا بمجيز ذلك لك . قال : « بلى فافعل » . قال : ما أنا

---

(١) في رواية « غادر » وكأن هذا أقرب ، فقد حدث منه عدة غدرات فيما سبق . أما الفجور فمقولته عند مجيء أبي جندل يدل على خلاف ذلك .
(٢) أي قهراً .
(٣) المعنى : يمشي مشياً بطيئاً بسبب القيد .
(٤) أي أول ما أطلب تنفيذه مما صالحتك عليه .
(٥) المعنى : أمض لي فعلي فيه فلا أرده إليك .

بفاعل . قال مكرز : بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله ... رواه البخاري(١) .

الفوائد والعبر :

١ û في هذا الحديث دليل من دلائل نبوة نبينا محمد ... لما فار الماء بسبب وضعه ... سهمه في الثمد .
٢ û الندب إلى صلة الرحم والنصيحة للأقارب ولهذا عرض ... على قريش ما عرض من أمر الصلح أول الأمر .
٣ û ثبات النبي ... وقوته في تنفيذ حكم الله وتبليغ أمره(٢) .
٤ û مشروعية التبرك بآثار النبي ... ، وهذا من خصائصه ، فلا يجوز إلحاق غيره من الصالحين به .
٥ û حرص الصحابة – رضي الله عنهم – على تنفيذ أوامر النبي ... وتوقيرهم له .
٦ û استحباب الفأل الحسن بالأسماء الحسنة ونحوها .
٧ û جواز مصالحة المشركين إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين .
٨ û يستفاد من قصة المغيرة – كما قال بعض أهل العلم – أنه لا يحل أخذ أموال الكفار عند الأمن ، كما في حال المرافقة في السفر ونحو ذلك(٣) .

* * *

(١) صحيح البخاري : الشروط (٢٧٣١، ٢٧٣٢) ، وينظر في شرح ألفاظ هذا الحديث وجمله : الروض الأنف ٣٩/٤ – ٥٨ ، كشف المشكل ٥١/٤ – ٦٣ ، شرح الطيبي ٦٧/٨ – ٧١ ، فتح الباري ٣٣٣/٥ – ٣٤٥ ، عمدة القاري ٦/١٤ – ١٣ ، حاشية السندي على المسند ٢٢١/٣١ – ٢٢٦ ، ٢٥٤ – ٢٥٧ .
(٢) الفتح ٣٣٩/٥ .
(٣) كشف المشكل ٥٥/٤ ، الفتح ٣٤١/٥ ، عمدة القاري ١١/١٤ .

الدرس السابع والثلاثون

تكملة صلح الحديبية وخبر إسلام أبي بصير ورفقته

٦١ – عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في قصة صلح الحديبية قالا : قال عمر بن الخطاب : فأتيت نبي الله ... فقلت : ألست نبي الله حقًّا ؟ قال : « بلى » ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » ، قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذن[1] ؟ قال : « إني رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصري » . قلت : أَوَلَيْسَ كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : « بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ » قال : قلت : لا ، قال : « فإنك آتيه ومطوف به »[2] . قال : فأتيت أبا بكر ، فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقًّا ، قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذن ؟ قال : أيها الرجل ، إنه لرسول الله ... وليس يعصي ربه وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه[3] فوالله إنه على الحق ، قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوف به . قال الزهري : قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً[4] . قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ... لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » ، قال : فوالله ما قام

(١) أي الحالة الدون ، والتي فيها شيء من الضعف ، يشير إلى ما في هذا الصلح من شروط فيها إجحاف على المسلمين في نظره .

(٢) وذلك أن النبي ... قد أري في المنام أنه يعتمر بالبيت هو وأصحابه ، فأخبرهم بذلك ، ورؤيا الأنبياء حق ، وهذا – كما ذكر أهل التفسير – ما أشار إليه ربنا جل وعلا بقوله : } $tƒöä“ • 9$# ã&s!qß™u‘ ª!$# s-y‰|¹ ô‰s)©9 Èd,ysø9$$Î/) { [الفتح: ٢٧] .

(٣) الغرز : هو ما يوضع فوق البعير ، ويستمسك به الراكب فوقه ، والمراد هنا : عدم مخالفته ... .

(٤) أي عمل عمر أعمالاً صالحة من صلاة وصيام وصدقة وإعتاق لتقابل هذا الموقف وهذه المعارضة لحكم النبي ... لعل ا÷ أن يكفره عنه .

منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات[١] ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة : يا نبي الله ، أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة ، حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك . نحر بدنه ، ودعا حالقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً . ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله تعالى :

ãNà2uä!%y` #sŒÎ) (#ûqãZtB#uä tûïÏ%©!$# $pkš‰r'¯»tƒ }
{ (£`èdqãZÅstGøB$$sù ;N¨u•Åf»ygãB sßJø9$#àM»sYÏB
[الممتحنة: ١٠]

حتى بلغ : { Í•Ïù#uqs3ø9$# ÄN|ÁÏèÎ/ } .

فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك . فتزوج إحداهما معاوية ابن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبي … إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين ، فقالوا : العهد الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً ، فاستله الآخر فقال : أجل والله ، إنه لجيد ، لقد جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه ، فأمكنه منه ، فضربه حتى برد ، وفر الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله … حين رآه : ﴿ لقد رأى هذا ذعراً ﴾ ، فلما انتهى إلى النبي … قال : قتل صاحبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . قال النبي … : ﴿ ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد ﴾ . فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم[٢] ، فخرج حتى أتى سيف

---

(١) وذلك أن الصحابة كانوا يريدون العمرة في سفرتهم تلك ، فلما تم الصلح على تأجيلها بعد عام ، أصابهم غم وحزن ، ولم يبادروا إلى الحلق ، قيل : كان ذلك رجاء أن يأتي أمر يبطل هذا الصلح فيتمون عمرتهم .

(٢) ويل أمه : كلمة تعجب . والمُسْعِر : الموقد . وقوله : ﴿ لو كان له أعوان ﴾ إشارة إلى أنه … لن يعين أبا بصير ، وإشارة إلى أنه … على موقفه الأول بتسليمه إلى الكفار إن طلبوا ذلك .

البحر ، قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم . فأرسلت قريش إلى النبي ... تناشده الله والرحم لما أرسل : فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي ... إليهم فأنزل الله تعالى :

} uqèdur “Ï%©!$# £#x. ƒr&ﷲöNßgtƒÏ‰ öNä3Ytã
br&ﷲ èt/ﷲÏ‰ .`ÏB sp©3tB Ç`ôÜt7Î/]tãﷲNåk ƒr&urﷲöNä3tƒÏ‰
{ 4 óOÎgøŠn=tæ öNä.u • xÿøßr&

حتى بلغ } #$:Jutù sp¨ŠÏJutù sp¨ŠÏHxq #$ Ïp¨ŠÏ=Îg»yfø9$# { [الفتح: ٢٤ - ٢٦](١) .

كانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم . وحالوا بينهم وبين البيت . رواه البخاري(٢) .

الفوائد والعبر :

١ û عظمة تصديق النبي ... بوعد الله تعالى .

٢ û في هذا الحديث ما يدل على أفضلية أبي بكر على سائر الصحابة إيماناً ورأياً وعلماً .

٣ û أنه ينبغي للإنسان أن يستسلم لشرع الله ، وأن يعتقد أنه حق كله ، وأن كل ما جاء به النبي ... عن ربه جل وعلا حق لا مرية ولاشك فيه ، وأن فيه تحقيقاً لمصالح العباد العاجلة والآجلة ، وأن جميع ما جاء في النصوص الشرعية كله حق يجب قبوله ، سواء ما كان في أمر الاعتقاد أو الأحكام أو الآداب أو الأخبار أو غيرها ، وما رأته بعض العقول البشرية مخالفاً للحق فهو لقصور فهمها ومحدودية إدراكها ، ولا يجوز أن تعرض النصوص على عقول البشر لإقرارها أو تأويلها فهذا من الاستهانة العظيمة بالنصوص الشرعية ، والله المستعان .

---

(١) بطن مكة هو الحديبية ، وهي قريبة من مكة .
(٢) صحيح البخاري : الشروط (٢٧٣١، ٢٧٣٢) .

٤ û أن من وقع في مخالفة شرعية استحب له أن يقابلها بأعمال صالحة لعلها تكون كفارة لما وقع فيه من التقصير .
٥ û أن من حصره عدو أو غيره عن إتمام عمرته أو حجته شرع له حلق شعره وذبح هديه إن كان معه هدي في المكان الذي أحصر فيه .
٦ û أن الزوجة الصالحة ذات الرأي الحسن خير معين لزوجها عند حاجته إلى من يعينه برأي أو غيره .
٧ û أن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد .
٨ û قدرة الله تعالى النافذة ، فقد جعل تعالى هذا الصلح فتحاً مبيناً ، فدخل بسببه في الإسلام أضعاف أضعاف المسلمين قبله ، وأنزل فيه :
{ ÇÊÈ $YZ • Î7–B Gsù$[s y7s9 $sYóstFsù $¯RÎ) } .
وأيضاً جعل الشرط الذي اعتبره الكفار مكسباً واعتبره جل الصحابة غبناً جعله مصدر أذى للكفار حتى ذهب الكفار في آخر الأمر يطلبون من النبي … ويتوسلون إليه أن يقبل ترك هذا الشرط وأن يطلب ممن أسلم من مشركي مكة أن يبقى عنده في المدينة النبوية .
٩ û أن معاهدة إمام المسلمين للمشركين لا تشمل من ليس تحت يده من المسلمين[1] .

* * *

(١) الفتح ٥/٣٤٧ ، ٣٥١ .

الدرس الثامن والثلاثون

خبر إسلام جماعة من النساء بعد صلح الحديبية

٦٢ – عن عروة بن الزبير : أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما يخبران عن أصحاب رسول الله ... قال : لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ... : أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه . فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه[(١)] ، وأبى سهيل إلا ذلك فكاتبه النبي ... على ذلك فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ، ولم يأته أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً . وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ... يومئذ وهي عاتق[(٢)] ، فجاء أهلها يسألون النبي ... أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن :

{ #sŒÎ) ãNà2uä!%y` ;N¨u • Åf»ygãB sßJø9$#ﷲàM»sYÏB } إلى { ( £`ÎkÈ]»yJƒÎ*Î/ ær&ﷲãNn= ª!$# (£`èdqãZÅstGøB$$sù } قوله : { Ÿwur öNèd • =Ïts† £`çlm; tbq (} [الممتحنة: ١٠] .

قال عروة : فأخبرتني عائشة أن رسول الله ... كان يمتحنهن بهذه الآية :

{ $pkš‰or'¯»tƒ (#ûqãZtB#uä tûïÏ%©!$# #sŒÎ) ãNà2uä!%y` ;N¨u • Åf»ygãB sßJø9$#ﷲàM»sYÏB £`èdqãZÅstGøB$$sù (} إلى { Ö‘qàÿxî ×LìÏm§‘ ÇÊËÈ } .

قال عروة : قالت عائشة : فمن أقر بهذا الشرط[(٣)] منهن قال لها

---

(١) أي أنفوا ، وشق عليهم ، وتوجعوا منه .

(٢) قال في النهاية (مادة : عتق) : « العاتق : الشابة أول ما تدرك ، وقيل : هي التي لم تبن من والديها ولم تزوج ، وقد أدركت وشبَّت » .

(٣) وهو أنها لم تأت ولم تخرج من بلدها بغضاً لزوج ، ولا رغبة عن أرض إلى أرض ، ولا لالتماس دنيا ، وأنها لم تخرج إلا حباً ÷ ولرسوله ... . ينظر تفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير للآية السابقة .

رسول الله ... : « قد بايعتك » ، كلاماً يكلمها به ، والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ، وما بايعهن إلا بقوله[١] . رواه البخاري[٢] .

الفوائد والعبر :

١ û أن من كره شيئاً مما حكم به النبي ... أو مما جاء به عن اجتهاد لا يكفر ، فهؤلاء الصحابة الذين رضي الله عنهم أصحاب بيعة الرضوان كرهوا هذا الحكم مع أن النبي ... كما في الرواية الأخرى لما كلمه عمر : « إني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصري » رواه البخاري[٣] ، وإنما يكفر من كره دين الله ، كما هي حال الكفار والمنافقين ، كما قال تعالى :
} y7Ï9ºsŒ óOßg¯Rr'Î/ (#qèdÌ•x. !$tB tAu“Rr& ª!$# xÝt7ômr'sù óOßgn=»yJôãr& { [محمد: ٩][٤] .

٢ û أنه يحرم على الرجل أن تمس يده أو أي شيء من جسده يد أو أي شيء من جسد امرأة أجنبية عنه ليست من محارمه ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : « لأن يطعن أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له »[٥] .

* * *

(١) أي يبايعهن بالقول لا بالمصافحة ، فيقول لها : « قد بايعتك » .
(٢) صحيح البخاري (٢٧١١ – ٢٧١٣) . ورواه مسلم (١٨٦٦) أخصر منه من حديث عائشة .
(٣) صحيح البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) .
(٤) ينظر رسالة « تسهيل العقيدة الإسلامية » الباب الثاني (كفر البغض) لكاتب هذه الأسطر .
(٥) رواه الطبراني ٢١١/٢٠، ٢١٢ ، والروياني في مسنده كما في السلسلة الصحيحة (٢٢٦) بإسناد حسن .

الدرس التاسع والثلاثون

أخبار إسلام خزاعة

٦٣ – عن زكريا بن أبي زائدة ، قال : كنت مع أبي إسحاق فيما بين مكة والمدينة ، فسايرنا رجل من خزاعة ، فقال له أبو إسحاق : كيف قال رسول الله ... : « لقد رعدت هذه السحابة بنصر بني كعب ؟ » فقال له الخزاعي : « لقد وصلت بنصر بني كعب » ثم أخرج إلينا رسالة رسول الله ... إلى خزاعة ، وكتبتها يومئذ ، وكان فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بديل وبسر وسروات بني عمرو[1] . فأني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ذلكم ، فاني لم آثر بإِلّكم[2] ، ولم أضَع نصحتكم . وإنكم من اكرم أهل تهامة عليّ ، واقربه رحما ، انتم ومن تبعكم من المطيبين ، وإني قد أخذت لمن هاجر منكم مثل ما أخذت لنفسي ولمن كان بأرضه غير ساكن مكة إلا حاجا أو معتمرا[3] وإني إن سالمت فإنكم غير خائفين من قبلي ولا مخوَّفين . أما بعد فقد أسلم علقمة بن علاثه ، وابنا هوذة ، وهاجرا وبايعا على من اتبعهما وأخذا لمن اتبعهما مثل ما أخذا لأنفسهما . وان بعضنا من بعض في الحل والحرم . واني ما كذبتكم ، وليُحَيِّكُم ربكم »[4] .

---

(١) السروات : الأشراف .

(٢) الإلُّ : قيل هو القرابة ، وقيل : غير ذلك . ينظر تفسير الآية (٨) من التوبة في تفسيري ابن جرير وابن كثير . وكانت أم بني عبد مناف من خزاعة . ينظر الروض الأنف ١٤٦/٤ .

(٣) أي من أسلم في مكانه قبل فتح مكة لا هجرة عليه وله ما للمهاجرين من الحقوق ، إلا من أسلم بمكة فتجب عليه الهجرة ، لأنها في هذا الوقت بلد كفر يحارب أهلها الإسلام ، فمن أسلم بها ولم يهاجر فليس له ماللمها جرين من الحقوق .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المغازي (٣٧١) ، وابن سعد ٢٧٢/١ ، وابن أبي عاصم كما في الإصابة في ترجمة بديل ، وأبو عبيد في الأموال (٥١٥ ، ٥١٦) ، ومن طريقه ابن زنجويه (٧٤٧ ، ٧٤٨) ، والطبراني في الكبير (١١٨٧ ، ١١٨٨) =

٦٤ – وعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم – رضي الله عنهم – قالا : « كان في صلح رسول الله يوم الحديبية بينه وبين قريش أنه من شاء يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل » فتواثبت خزاعة ، فقالوا : نحن ندخل في عقد محمد … وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم ، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة والثمانية عشر شهراً . ثم إن بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله وعهده ليلاً بماء لهم يقال له : الوتير قريب من مكة[1] ، فقالت قريش: مايعلم بنا محمد، وهذا الليل ومايرانا أحد، فأعانوهم عليهم بالكراع[2] والسلاح ، فقاتلوهم معه للضَّغن على رسول الله …[3] ، فركب عمرو بن سالم إلى رسول الله … عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم المدينة على رسول الله … يخبره الخبر ، وقد قال أبياتا من الشعر ، فلما قدم على رسول الله … أنشده إياها :

اللهم إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا[4]

كنت لنا أباً وكنا ولداً ثم أسلمنا فلم ننزع يداً[5]

فانصر رسول الله نصراً أعتدا[6] وادع عباد الله يأتوا مدداً[7]

من طرق كثيرة في كل منها ضعف ، فالحديث حسن لغيره بمجموع هذه الطرق .

(١) قال في معجم البلدان (مادة : وتر) : « الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة … وقالوا في تفسيره : الوتير : ما بين عرفة إلى إدام » .

(٢) الكراع : الخيل .

(٣) أي لحقد قريش على النبي … أعانوا بني بكر على خزاعة ، لأن خزاعة حلفاء للنبي … .

(٤) الأتلد : القديم .

(٥) أي لم ننقض عهدنا فنرجع عن الإسلام .

(٦) أي حاضراً .

(٧) المدد : العون .

فيهم رسول الله قد تجرداً — إن سيم خسفاً وجهه تربدا[١]

في فيلق[٢] كالبحر يجري مزبداً — إنَّ قريشاً أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا — وزعموا أن لست أرجو أحدا[٣]

فهم أذل وأقل عدداً — قد جعلو لي بكداء مرصدا[٤]

هم بيتونا بالوتير هجداً[٥] — وقتلونا ركعاً سجداً

فقال رسول الله … : « نصرت ياعمرو بن سالم » ، فما برح رسول الله … حتى مرت عنانة في السماء ، فقال رسول الله … : « إن هذه السحابة لتستهل[٦] بنصر بني كعب » ، وأمر رسول الله … الناس بالجهاز ، وكتمهم مخرجه ، وسأل الله أن يُعَمِّي على قريش خبره حتى يبغتهم في بلادهم[٧] .

الفوائد والعبر :

١ – أن للمسلم على المسلم حق النصح له ، وإن كانت له قرابة نسب زاد حقه في ذلك .

---

(١) سيم خسفاً : طلب منه وكلفه ، والخسف : الذل . وتربَّد : تغير بسبب الغضب .
(٢) الفيلق : الجيش .
(٣) الظاهر أن مراده : ان قريشاً زعمت أن لا أحد ينصر خزاعة ، فخزاعة لا تؤمل من أحد أن ينصرها .
(٤) كداء : موضع بمكة . والرصد : الذي يترصد للأمر ويطلبه ، والكمين .
(٥) هجد : جمع هاجد ويطلق على النائم .
(٦) استهلال السحاب بالمطر : شدة انصبابه . ولعل المعنى : أن نصرهم مع إمطار هذه السحابة .
(٧) رواه ابن إسحاق في المغازي كما في الإصابة ٥٢٩/٢ ، ومن طريقه البيهقي في الدلائل ٥/٥ – ٧ بإسناد حسن ، وله شواهد كثيرة مرسلة ومتصلة تنظر في المغازي لابن أبي شيبة ص٣١٩ – ٣٢٢ ، والدلائل ٩/٥ – ١٣ ، والمجمع ١٦١/٦ ، ١٦٢ .

٢ – وجوب الهجرة على من كان في أرض لا يستطيع فيها إظهار شعائر دينه ، أو يخشى عليه الفتنة في دينه .

٣ – جواز بقاء من أسلم في بلده ولو كان بلد كفر إذا كان لا يخشى على نفسه ولا على دينه ويستطيع إظهار شعائر دينه .

٤ – أن المسلمين إخوة بعضهم من بعض ، وإن اختلفت بلدانهم أو تباعدت أزمانهم ، أو اختلفت أنسابهم .

٥ – جواز عقد الصلح مع الكفار عند حاجة المسلمين إلى ذلك .

٦ – أن من نقض العهد بما يخالف مقتضى العقد فقد انتقض عهده ، فيجوز قتله ومباغتته بالحرب .

٧ – أنه ينبغي للمسلمين أن يعدوا العدة لحرب أعدائهم ، وذلك بفعل أسباب النصر من تجهيز الجيوش ووضع الخطط ومباغتة الأعداء ونحو ذلك مع التوكل على الله وسؤاله النصر .

* * *

الدرس الأربعون

إسلام الغلام اليهودي وأبي رافع القبطي

٦٥ – عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ... ، فمرض ، فأتاه النبي ... يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له : « أسلم » ، فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له : أطع أبا القاسم ... ، فأسلم ، فخرج النبي ... وهو يقول : « الحمدلله الذي أنقذه من النار » رواه البخاري[1] .

٦٦ – وعن أبي رافع القبطي – رضي الله عنه – قال : بَعَثَتْنِي قريش إلى رسول الله ... ، فلما رأيت رسول الله ... ألقي في قلبي الإسلام ، فقلت : يا رسول الله ، إني والله لا أرجع إليهم أبداً ، فقال رسول الله ... « إني لا أخيسُ بالعهد[2] ، ولا أحبس البُرُدَ[3] ، ولكن ارجع فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع » قال :

فذهبت ، ثم أتيت النبي ... فأسلمت[4] .

الفوائد والعبر :

١ – وجوب دعوة غير المسلمين ولو كانوا صغاراً أو كان أحدهم في مرض الموت ، لعل الله تعالى أن ينقذهم بهذه الدعوة من النار .

٢ – أن البقاء على الكفر سبب لدخول النار ، وأن دخول الاسلام ولو كان في مرض الموت إذا لم تبلغ الروح الحلقوم سبب للنجاة منها .

٣ – أن القدوة الحسنة والتطبيق العملي لتعاليم الإسلام وأخلاقه من

(١) صحيح البخاري : الجنائز (١٣٥٦) .
(٢) أي لا أنقض العهد ، ينظر جامع الأصول ٦٥٢/٢ .
(٣) البُرُد : جمع بريد . وهو الرسول أو السفير الوارد عليك من جهة . والمراد : لا أحبسهم عن أصحابهم ، ولا أمعنهم من العودة إليهم . ينظر المرجع السابق .
(٤) رواه أبو داود في الجهاد باب في الإمام يُستَجَنُّ به في العهود (٢٧٥٨) بإسناد صحيح .

أعظم الدعوة إلى الله تعالى ، فهذا أبو رافع أسلم بمجرد رؤيته للنبي ... ، ولا شك أنه وجد منه حسن الخلق وحسن التعامل مما كان سببا في محبته للإسلام وأهله ، ورغبته في الدخول فيه ، وفي المقابل فإن سوء الخلق وعدم تطبيق أحكام الإسلام وأخلاقه من أعظم الصد عن الإسلام ، فإن الكفار إذا رأوا من ينتسب إلى الإسلام ولا يطبق أحكامه ولا أخلاقه ، ويتصف بسوء الخلق ، ويقع في الفواحش ورذائل الأمور ربما يصدهم ذلك عن الدخول في الإسلام ، فيبوء هذا المسلم العاصي بإثمه وإثم من صده عن الإسلام .

٤ – أن الوفاء بالوعد وعدم نقضه واجب على المسلم ، سواء كان هذا العهد مع مسلم أو مع كافر .

٥ – أنه يجب إحسان معاملة السفراء والرسل ولو كانوا كفاراً .

*   *   *

الدرس الحادي والأربعون

قصة إسلام أسيد بن سعية ، وثعلبة بن سعية ، وأسد بن عبيد

٦٧ – عن عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال : هل تدري عما كان إسلام أسيد وثعلبة ابني سعية ، وأسد بن عبيد ، نفر من هدل ، لم يكونوا من بني قريظة ولا النضير ، كانوا فوق ذلك[١] فقلت : لا ، قال : فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له ابن الهيِّبان ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس خيراً منه[٢] ، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله ... بسنين ، فكنا إذا قحطنا وقل علينا المطر نقول : يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة ، فنقول : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مدين من شعير ، فنخرجه ، ثم نخرج إلى ظاهر حرتنا ، ونحن معه ، فيستسقي ، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب[٣] ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ، ولا ثلاثة ، فحضرته الوفاة فاجتمعنا إليه فقال : يا معشر يهود ، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع[٤] ؟ قالوا : أنت أعلم ، قال : فإنما أخرجني أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلاد مهاجره ، فأتبعه ، فلا تسبقن إليه إذا خرج يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسبي الذراري والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه ، ثم مات ، فلما كانت الليلة التي فتحت فيها قريظة ، قال أولئك الفتية الثلاثة ، وكانوا شباباً أحداثاً : يا معشر يهود ، والله إنه الذي كان ذكر ابن الهيبان ، فقالوا : ما هو به ، قالوا : بلى والله إنه لصفته ، ثم نزلوا فأسلموا

---

(١) هؤلاء الثلاثة كلهم من بني هدل – كما في هذه الرواية – وهم من أبناء عمومة بني قريظة . ينظر السيرة لابن هشام ٢٣٨/٣ ، الأنساب ٦٢٩/٥ .
(٢) أي ليس من المسلمين ، يقول : لم نر شخصاً غير مسلم خيراً منه .
(٣) أي أنهم يمطرون ، وتسيل الشعاب .
(٤) أي ما الذي أخرجني من الشام التي هي أرض الخمر – وهو الشجر الملتف – إلى الصحراء القاحلة ، وهي جزيرة العرب ، ومنها المدينة النبوية . وينظر لسان العرب ٢٥٧/٤ .

وخلوا أموالهم وأولادهم(١) وأهاليهم(٢) .

الفوائد والعبر :

١ – أن طاعة الله سبحانه وتعالى سبب لرحمته ، فقد ذكر في هذه القصة ما يدل على أن الصدقة سبب لنزول الغيث ، فطاعة الله سبحانه وتعالى وتقواه سبب لكل خير وفلاح في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى :

} ÇËÈ %[`u•øƒxC ¼ã&©! @yèøgs† ©!$# È,-Gtƒ `tBur
Ü=Å¡tFøts† Ÿw ß]ø‹xm ô`ÏB çmø%ã—ö•tƒur 4 { [الطلاق: ٢] .

وقال سبحانه : } #“u•à)ø9$# dr&ﷲŸ@ ¨br& öqs9ur
;M»x.u•t/ NÎköŽn=tã $uZóstGxÿs9 (#öqs)¨?$#ur (#qãZtB#uä
ÇÚö‘F{$#ur Ïä!$yJ¡¡9$# z`ÏiB { [الأعراف: ٩٦] .

وقال نوح عليه السلام لقومه : } (#rã•ÏÿøótFó™$# àMù=à)sù
È@Å™ö•ãƒ ÇÊÉÈ #Y‘$¤ÿxî šc%x. ¼çm¯RÎ) öNä3-/u‘
/ä.ôŠÏ‰ôJãƒur ÇÊÊÈ #Y‘#u‘ô‰ÏiB /ä3ø‹n=tæ uä!$yJ¡¡9$#
@yèøgs†ur ;M»¨Zy_ ö/ä3©9 @yèøgs†ur tûüÏZt/ur 5A¨uqøBr'Î/
ÇÊËÈ Xr&ﷲ#X•»pk ö/ä3©9 { [نوح: ١١] .

وفي المقابل فإن معصية الله سبب لكل شقاء في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى :

} ôMt6|¡x. $yJÎ6sù 7pt6ŠÅÁ–B `ÏiB Nà6t7»|¹r& !$tBur
9Ž•ÏWx. `tã èt∫urﷲ(#qàÿ ƒr&ﷲö/ä3ƒÏ‰ { [الشورى: ٣٠] .

فكل ما يصيب الإنسان من المصائب فهو بسبب ذنب فعله ، كما قال

---

(١) أي خلصوا أموالهم وأولادهم وزوجاتهم ، وذلك أن من أسلم من بني قريظة ترك له النبي ... ماله وأولاده وأهله .

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة : قصة الأحبار ، ص٨٥ عن عاصم بن عمر به . وعاصم تابعي ثقة ، والشيخ القرظي الظاهر أنه أدرك ابن الهيبان ، بدليل قوله : (قدم علينا) ، وقوله : (فأقام عندنا) ، ونحو ذلك . وجميع بني قريظة قتلوا لما حكم فيهم سعد بن معاذ ، ولم ينج من رجالهم إلا من أسلم منهم ، وعليه فهو صحابي ، فيكون الإسناد حسناً ، وله ثلاثة شواهد ، في كل منها ضعف ، يتقوى بها ، وهي عند الطبراني (١٣٨٨) والبيهقي في الدلائل ٣٠٧/٣ ، ٤١٠ ، وينظر المجمع ٣٢٧/٦ .

تعالى :

{ 4 y7Å¡øÿ¯R `ÏJsù 7py¥Íh‹y™ `ÏB y7t/$|¹r& !$tBur }

[النساء: ٧٩] .

ولذلك فإنه ينبغي للمسلم أن يحرص على المواظبة على طاعة الله وعلى البعد عن معصيته ، ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة .

٢ – في هذه القصة ذكر لشهادة بعض اليهود بنبوة النبي ... ، وهذا من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام حيث بشر به أنبياء بني إسرائيل (اليهود) وأخبروا بصفاته وبزمن بعثته وبمكان هجرته ... ونقل ذلك عنهم علماء اليهود ، وكانوا قبل بعثته ... بيسير يخبرون بقرب مبعثه كما في هذه القصة وغيرها ، وكانوا يستفتحون على المشركين من عباد الأصنام فيقولون : إنه قد قرب مبعث نبي وسنتبعه وسننتصر عليكم .

وكانوا يظنون أن هذا النبي منهم ، فلما بعث ... وكان من العرب حملهم الحسد واحتقار العرب على أن كذبوه وجحدوا نبوته وعادوه وحاربوه مع علمهم بأنه نبي حقاً ، وهذا ما أخبر الله تعالى عنهم به في كتابه ، قال اللهتعالى :

{ ×- «!$# Ï‰YÏã ô`ÏiB Ò=»tGÏ. öNèduä!%y` $£Js9ur ã@ö6s% `ÏB (#qçR%x.ur öNßgyètB $yJÏj9 Ïd‰|ÁãB Nèduä!$y_ $£Jn=sù (#rã•xÿx. tûïÏ%©!$# ’n?tã šcqßsÏFøÿtGó¡tƒ ’n?tã «!$# èn=sùﷲèpuZ 4 ¾ÏmÎ/ (#rã•xÿŸ2 (#qèùu•tã $¨B ÇÑÒÈ šúïÍ•Ïÿ»s3ø9$# } [البقرة: ٨٩] .

وهذا كله يدل على خبث اليهود ، فهم معهم علم ولكن لم يعملوا به ، ولم يؤمنوا بالنبي ... بغيا وحسداً ، ولهذا فهم مغضوب عليهم ، أما النصارى فهم ضالون ، لأنه ليس عندهم علم ، ولذلك فإن المسلم يدعو الله في صلاته في كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل عند قراءته للفاتحة أن يجنبه طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين .

* * *

الدرس الثاني والأربعون

أخبار إسلام جماعة من دوس

٦٨ – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى النبي ... ، فقال : إن دوساً قد هلكت ، عصت ، وأبت ، فادع الله عليهم . فقال النبي ... : « اللهم اهد دوساً وأتِ بهم » رواه البخاري[١] .

٦٩ – وعن عراك بن مالك الغفاري أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه ، والنبي ... بخيبر ، وقد استخلف سِباع بن عرفطة على المدينة ، قال : فانتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى :

} üÈÿè‹g!2 ÇÊÈ { ، وفي الثانية } fur@×ﷲ
tûüÏÿÏeÿsÜßJù=Ïj9 ÇÊÈ { .

قال : فقلت لنفسي : ويل لفلان إذا اكتال اكتال بالوافي وإذا كال كال بالناقص ، قال : فلما صلى زودنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي ... خيبر ، قال : فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم[٢] .

٧٠ – وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : لما قدمت على النبي ... قلت في الطريق :

يا ليلة من طولها وعنائها   على أنها من دارة الكفر نجَّت

وأبق غلام لي[٣] في الطريق ، فلما قدمت على النبي ... فبايعته ، فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام ، فقال لي النبي ... : « يا أبا هريرة هذا

---

(١) صحيح البخاري : المغازي باب قصة دوس والطفيل (٤٣٩٢) .

(٢) رواه الإمام أحمد (٨٥٥٢) ، وابن خزيمة (١٠٣٩) ، وابن حبان (٧١٥٦) ، والحاكم ٣٣/٢ وسنده حسن .

(٣) أي أن غلام أبي هريرة – وهو عبد مملوك له – هرب منه .

غلامك ›› ، فقلت : هو لوجه الله ، فأعتقته ›› رواه البخاري[١] .

الفوائد والعبر :

١ ـ ينبغي للداعية الصبر على المدعوين ولو رفضوا قبول الدعوة في أول الأمر ، ولا ينبغي له أن يدعو عليهم ، بل يدعو لهم .
٢ ـ استحباب الإطالة في صلاة الفجر .
٣ ـ وجوب العدل في حال التعامل مع الناس في كل الأمور ، وتحريم الغش والظلم في ذلك .
٤ ـ أنه ينبغي للمسلم أن يتدبَّر القرآن عند قراءته أو سماعه ، وأن يتعظ بمواعظه ، ويأتمر بأوامره ، ويجتنب مناهيه ، لتصلح حاله ، ويفوز بسعادة الدنيا والآخرة .
٥ ـ أن من الأخلاق الحسنة والمندوب إليها شرعاً العفو عن الآخرين ، وبالأخص عن أخطاء من هم تحت يد الإنسان من مملوكين وخدم ونحوهم ، فهذا أبو هريرة لم يعاقب عبده لما أبق عنه ، بل عفا عنه ، وزاد على ذلك بإعتاقه .

* * *

(١) صحيح البخاري : الموضع السابق (٤٣٩٣) .

الدرس الثالث والأربعون

قصة إسلام ثمامة بن أثال – رضي الله عنه – .

٧١ – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال « بعث النبي ... خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج إليه النبي ... فقال : « ماذا عندك يا ثمامة ؟ » فقال عندي خير ، يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر[1] ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت . فتركه حتى كان الغد ، ثم قال له : « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال : ما قلت لك : إن تنعم تنعم على شاكر . فتركه حتى كان بعد الغد ، فقال : « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال : عندي ما قلت لك . فقال : « أطلقوا ثمامة » فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . يا محمد، والله ما كان على وجه الأرض أبغض إلي من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي ، والله ما كان من بلاد أبغض إلي من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي . وإن خيلك أخذتني ، وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله ... وأمره أن يعتمر . فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ؟ قال : لا والله ، ولكن أسلمت مع محمد ... ولا والله لا يأتيكم حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ... رواه البخاري ومسلم[2] .

الفوائد والعبر :

١ – أنه ينبغي للمسلم أن يعامل عموم الكفار بالمعاملة الحسنة

---

(١) أي إن تقتلني رجلاً له مكانة ورياسة في قومه ، يدرك قاتله ثأره بقتله له ، وإن تنعم علي بإطلاقي من الأسر تنعم على شخص يشكر لك معروفك . ينظر المفهم ٥٨٤/٣ ، ٥٨٥ ، مشارق الأنوار ٣٤٠/١ .

(٢) صحيح البخاري (٤٣٧٢) ، وصحيح مسلم (١٧٦٤) .

وبالأخص إذا رجي إسلام الكافر ، فحسن الخلق أسلوب من أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى .

٢ – تجلى في محبة ثمامة لرسول الله ... ولدين الإسلام هذه المحبة العظيمة أثر من آثار قوة الإيمان ، فهذا الأثر العظيم ظهر أثره على أفعاله وتصرفاته رضي الله عنه ، ولذلك ثبت في زمن الردة على الإسلام ، ولم يتبع مسيلمة الكذاب مع أنه من قومه بني حنيفة ، بل إنه قاتل المرتدين ، وهكذا يصنع الإيمان الصادق ، أما كون الشخص يدعي الإيمان وهو مصر على معصية الله مستكثر منها فهذا يدل على كذبه فيما ادعاه ، ويدل على ضعف إيمانه .

٣ – كما أن في محبة ثمامة لرسول الله ... هذه المحبة العظيمة ما يشير إلى حق من حقوق النبي ... على الأمة ، لأن الله أخرجها به من الظلمات إلى النور ، فيجب على كل مسلم أن يحب النبي ... أكثر مما يحب نفسه وولده ووالده وزوجته وماله وكل شيء ، قال الله تعالى :

öNà2ät!$sYö/r&ur öNä.ät!$t/#uä tb%x. bÎ) ö@è% } óOä3è?uŽ•Ï±tãur ö/ä3ã_ºurø—r&ur zÎ)urﷲöNä3çR¨uq tböqt±øƒrB ×ou•»pgÏBur $ydqßJçGøùuŽyIø%$# îA¨uqøBr&ur Nà6ø‹s9Î) ¡=xmr& !$ygtRöq|Êö•s? ß`Å3»|¡tBur $ydyŠ$|¡x. ¾Ï&Í#‹Î7y™ ’Îû 7Š$ygÅ_ur ¾Ï&Ï!qß™u‘ur «!$# šÆÏiB Ÿw ª!$#ur 3 ¾ÍnÍ•öDr'Î/ ª!$# z’ÏAù'tƒ 4Ó®Lxm (#qÝÁ-/uŽyIsù ÇËÍÈ šúüÉ)Å¡»xÿø9$# tPöqs)ø9$# ku‰ﷲ“Ï‰ { [التوبه: ٢٤] .

وقال النبي ... ‹‹ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين ›› رواه البخاري ومسلم[١] ، وروى البخاري أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال رسول الله ... ‹‹ لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك ›› فقال عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي . فقال النبي ... : ‹‹ الآن يا عمر ››[٢] .

٤ – أنه ينبغي للمسلم أن يعتز بدينه ، لأنه على الحق ، وغيره على

(١) صحيح البخاري (١٥) وصحيح مسلم (٤٤) واللفظ لمسلم .
(٢) صحيح البخاري : الأيمان والنذور (٦٦٣٢) . والمعنى لا يؤمن الإيمان الواجب حتى يكون كذلك .

الضلال ، بل إن الكفر – ومثله النفاق – سفه وضياع كما قال تعالى :

} $yJx. tbqè=ä.ù'tƒur tbqãè-FyJtFtƒ (#rã• xÿx. tûïÏ%©!$#ur
ÇÊËÈ öNçl°; WtB"Yq â'$¨Y9$#ur RF{$#ãN»yè ã@ä.ù's? {
[محمد: ١٢] .

ولهذا أعتز ثمامة رضي الله عنه بإسلامه أمام الكفار .

٥ – أنه ينبغي للمسلمين أن يستغلوا ويستعملوا جميع الوسائل الممكنة لإضعاف الأعداء ، وبالأخص الأعداء الحربيين ، ومن تلك الوسائل ما يسمى في العصر الحاضر بـ« المقاطعة الاقتصادية » وهو ما استعمله ثمامة كما في هذا الحديث .

الدرس الرابع والأربعون

قصة إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما

٧٢ – عن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي – رضي الله عنه – قال : لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق ، جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون مكاني ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون ، والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً كبيراً ، وإني قد رأيت رأياً ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا ، كنا عند النجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . فقالوا : إن هذا الرأي . قال : فقلت لهم : فاجمعوا له ما نهدي له . وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأُدُمُ[1] ، فجمعنا له أدماً كثيرة ، فخرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله ... قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه[2] قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده ، قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها[3] حين قتلت رسول محمد .

قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ، أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أدماً كثيراً . قال : ثم قدمته إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب

---

(١) وهي الجلود .
(٢) أي أرسله النبي ... ليأتي بالمهاجرين إلى الحبشة .
(٣) الظاهر أن مراده : أن قريشاً ترى أني فعلت نيابة عنها أمراً عظيماً ظهر أثره .

ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه[١] ، ثم قلت : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه . فقال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى[٢] لتقتله ؟! قال : قلت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟ فقال : ويحك يا عمرو ، أطعني واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قال : قلت : فبايعني له على الإسلام . قال : نعم . فبسط يده وبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي[٣] عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً لرسول الله ... لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مُقْبِلٌ من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنسم[٤] ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله أسلم ، فحتى متى ؟ قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا على رسول الله ... ، فقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي . ولا أذكر ما تأخر ، قال : فقال رسول الله ... : « يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلام يجب ما كان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها » قال : فبايعته ثم انصرفت[٥] .

---

(١) أي خوفاً من النجاشي ، وكأنّ من عادة الحبشة إذا غضب أحدهم أن يضرب أنف نفسه ، إظهاراً للغضب .
(٢) الناموس في اللغة : صاحب سر الخير . ويقابله : الجاسوس ، وهو صاحب سر الشر . والمراد هنا : جبريل عليه السلام ، سمي بذلك لأن ا÷ تعالى خصه بالوحي .
(٣) أي تغير .
(٤) أي تبين الطريق ، وذلك أنه عرف أن دعوة النبي ... حق .
(٥) رواه الإمام أحمد (١٧٧٧٧) ، والبخاري في تاريخه ٣١١/٢، ٣١٢ ، والطحاوي في المشكل (٥٠٧) ، والحاكم ٢٩٧/٣، ٢٩٨، و٤٥٤ وسنده حسن في الشواهد ، وقال الساعاتي في الفتح الرباني ١٣٩/٢١ : « سنده جيد » .
وروى الإمام أحمد بعد روايته السابقة عن ابن إسحاق قال حدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة كان معهما حين أسلما .
وروى هذا الحديث بطوله الواقدي في مغازيه ٧٤١/٢، ٧٤٤ ، ومن طريقه
=

الفوائد والعبر :

١ û ينبغي للقاضي ونحوه من الولاة والموظفين أن يحذر من كل أمر قد يكون سبباً في عدم تحريه العدل ، كقبول الهدية ممن لم يكن يهدي إليه قبل توليه القضاء ، ونحو ذلك .

٢ û أن سجود الاحترام كان جائزاً في بعض الشرائع السماوية السابقة ، ولكنه محرم في دين الإسلام ، ومثله الركوع والانحناء ، فقد روى الإمام أحمد وغيره عن النبي ... أنه سئل عن الرجل يلقى أخاه أينحني له ؟ قال : « لا »[(١)] .

٣ û اهتمام النبي ... بالمسلمين ولو كانوا في أرض بعيدة ، ولهذا يجب على المسلم أن يهتم بأمور المسلمين في كل مكان .

٤ û في هذا الخبر دليل من دلائل نبوة نبينا محمد ... ، حيث شهد النجاشي – رضي الله عنه – بنبوة النبي ... ، وأن الوحي الذي ينزل عليه يشبه الوحي الذي كان ينزل على نبي الله موسى – عليهما السلام – ، وكان النجاشي من علماء النصارى قبل إسلامه .

٥ û حفظ الله تعالى لعباده المؤمنين .

* * *

البيهقي في الدلائل ٣٤٣/٤ – ٣٤٦ . والواقدي وإن كان متروك الحديث لكنه اعتبر بروايته جمع من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول ، والذهبي في الميزان في المغازي والسير .

وبالجملة فهذا الحديث بمجموع هذه الأسانيد حسن أو قريب منه ، ويشهد له قصة إسلام عمرو وحده الآتية إن شاء ا÷ تعالى .

(١) رواه الإمام أحمد ١٩٨/٣ ، والترمذي (٢٧٢٨) ، وحسنه الترمذي ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٠) .

الدرس الخامس والأربعون

قصة إسلام عمرو بن العاص وبيعته مفصلة

٧٣ – عن شماسة المهري ، قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت[١] ، فبكى طويلاً وحول وجهه نحو الجدار ، فجعل ابنه يقول : يا أبتاه أما بشرك رسول الله ... بكذا ؟ أما بشرك رسول الله ... بكذا ؟ فأقبل بوجهه ، وقال : إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإني قد كنت على أطباق ثلاث[٢] . لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ... مني ، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته ، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار ، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ... فقلت : ابسط يمينك فلأبايعك ، فبسط يمينه ، قال : فقبضت يَدِيَ ، فقال : « مالك يا عمرو ؟ » قال : قلت : أريد أن أشترط ، قال : « تشترط بماذا ؟ » قلت : أن يغفر لي قال : « أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله[٣] ، وأن الهجرة تهدم ما قبلها وأن الحج يهدم ما قبله ؟ » ، وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ... ولا أجل في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له[٤] ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ، لأني لم أكن أملأ عيني منه ، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها ، فإذا أنا مت ، فلا تصحبني نائحة[٥] ولا نار ، فإذا دفنتموني فشنوا التراب شنا[٦] ، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها ، حتى أستأنس

---

(١) أي عند موته حال احتضاره .
(٢) أي على ثلاثة أحوال .
(٣) أي يغفر لصاحبه جميع ما عمل من معاصي في حال كفره .
(٤) أي لم أكن أطيل النظر إليه احتراما له .
(٥) النائحة : التي ترفع صوتها عند المصيبة ، وهذا محرم .
(٦) أي صبوا علي التراب . وروي « سنوا » بالسين المهملة ، والمعنى : صبوا بسهولة . ينظر شرح مسلم للنووي ٢/١٣٧ – ١٣٩ .

بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي[١] . رواه مسلم[٢] .

الفوائد والعبر :

١ – بيان فضل الإسلام ، وبيان فضل الحج ، وبيان فضل الهجرة ، وأن كل واحد من هذه الأمور الثلاثة سبب لمغفرة الذنوب .

٢ – أنه يستحب لمن عند المريض الذي حضره الموت أن يذكره بأعماله الصالحة ، كما يستحب له أن يذكره بآيات وأحاديث الرجاء ، ليلقى الله تعالى وهو يحسن الظن به ، وليفرح بلقاء الله تعالى .

٣ – شدة عداوة المشركين للمسلمين وبغضهم لهم ولرسول الله ... ، فينبغي للمسلم الحذر منهم .

٤ – محبة الصحابة للنبي ... وتعظيمهم له .

٥ – تحريم النياحة عل الميت .

٦ – ثبوت سؤال الملكين – منكر ونكير – للميت في قبره ، فينبغي للعبد أن يستعد لذلك ، وذلك بالإيمان بالله ، وعمل الصالحات ، وترك المعاصي ، ليستطيع الإجابة على أسئلة الملكين[٣] .

* * *

(١) وهما الملكان اللذان يسألان العبد عن ربه ونبيه ودينه . وهما منكر ونكير عليهما السلام .
(٢) صحيح مسلم : الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله (١٢١) .
(٣) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٣٨/٢ ، ١٣٩ .

الدرس السادس والأربعون

قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أميه

٧٤ – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : مضى رسول الله ... عام الفتح حتى نَزَلَ مرَّ الطهران في عشرة آلاف من المسلمين فَسَبَّعَتْ سُلَيْم ، وأَلَّفَتْ مُزَيْنة[١] وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب رسول الله ... المهاجرون والأنصار فلم يتخلف منهم أحد ، وقد عميت الأخبار على قريش ، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ... ، ولا يدرون ما هو صانع .

وكان أبو سُفيان بن الحارث ، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ... بثنية العقاب[٢] ، فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما ، فقالت : يا رسول الله ابن عمك ، وابن عمتك وصهرك[٣] ، فقال : « لا حاجة لي بهما : أما ابن عمي فهتك عرضي ، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال[٤] » ، فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له ، فقال : والله ليأذنن لي رسول الله ... أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً أو جوعاً ، فلما بلغ ذلك رسول الله ... رقّ لهما ، فدخلا عليه ، فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى منه ، فقال :

لعمرك أني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد[٥]

---

(١) أي كان رجال سليم في هذه الغزوة سبعمائة رجل ، ورجال مزينة ألف رجل .

(٢) وفي رواية (نبق العقاب) وهي موضع قرب الجحفة .

(٣) فعبد ا÷ أمُّه عاتكة عمة النبي ... ، وهو أخو أم سلمة زوج النبي ... لأبيها .

(٤) قال السهيلي في الروض الأنف ١٥٣/٤ : « يعني حين قال له : وا÷ لا آمنت بك حتى تتخذ سلما إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ، ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون لك أن ا÷ قد أرسَلك » .

(٥) احمل راية : كني بذلك عن شهوده الحرب ودعوته إليهما ، وأراد بخيل اللات : جيش الكفر والشرك ، وخيل محمد : اراد بها جيش المسلمين .

لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أوَاني حين أُهدَى وأَهْتَدي[١]

هداني هاد غير نفسي ودلني إلى الله من طردت كل مطرد[٢]

أصد وأنأى جاهدا عن محمد وأدعى وإن لم أنتسب من محمد[٣]

هم ما هم من لم يقل بهواهم وإن كان ذا رأي يلم ويفند[٤]

أريد لأرضيهم ولست بلائط مع القوم ما لم أهد في كل مقعد[٥]

فقل لثقيف لا أريد قتالكم وقل لثقيف تلك: غيري وأوعدي[٦]

فما كنت في الجيش الذي نال عامراً ولا كان عن جري لساني ولا يدي[٧]

قبائل جاءت من بلاد بعيدة نزائع جاءت من سهام وسردد[٨]

قال : فلما أنشد رسول الله ... : ‹‹ من طردت كل مطرد ›› ضرب رسول الله ... في صدره وقال : ‹‹ أنت طردتني كل مطرد ››[٩] .

الفوائد والعبر :

(١) المدلج : الذي يسير ليلا .
(٢) مطرد : مصدر بمعنى الطرد .
(٣) أصد: أمنع الناس عن الدخول في الإيمان، وأنأى: أبعد بنفسي عنه، وجاهدا: مجتهدا.
(٤) يفند : ينسب إلى الفند ، وهو الكذب ، أو يلام .
(٥) لائط : ملصق .
(٦) أوعدي : هددي .
(٧) أي جراء لساني ويدي ، وفعلهما .
(٨) سهام وسردد : موضعان أو واديان في اليمن .
(٩) رواه الطبراني (٧٢٦٤) ، والحاكم ٤٣/٣ ، ٤٤ ، والبيهقي في الدلائل ٢٧/٥ ، ٢٨ وسنده حسن . وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي . وينظر في شرح ألفاظ هذا الحديث وتصحيح بعض ألفاظه : شرح السيرة لأبي ذر ص٣٦٨ ، الروض الأنف ١٥٥/٤، شرح المواهب ٣٠١/٢، ٣٠٢، تاريخ الإسلام (المغازي ص٥٣٦) .

١ – أن الرحمة والعفو من الأخلاق السامية التي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها ، فقد قال الله تعالى :

{ 4 «!$# ’n?tã ¼çnã•ô_r'sù yxn=ô¹r&ur $xÿtã ô`yJsù } [الشورى: ٤٠] .

وروى الترمذي وصححه عن النبي ... قال : ‹ الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، الرحم شُجْنَة من الرحمن ، فمن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله ›[1] . وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ... يقبِّل الحسن، فقال: إن لي عشرة من المولد ما قبّلت واحداً منهم ، فقال رسول الله ... : ‹ إنه من لا يرحم لا يرحم ›[2] .

٢ – أن من يعادي أولياء الله من الأنبياء والدعاة والصالحين يسير في ضلال وحيرة كما صرح بذلك أبو سفيان في قصيدته ، وكما هي حال أعداء الله من الكفار والمنافقين ، وذلك لأنه يحارب شريعة خالقه ورازقه ، يحارب دين من بيده ملكوت كل شيء ، ومن إذا أراد شيئاً قال له : ‹ كن › فيكون ، العزيز الجبار القوي القادر ، ولكنه جل وعلا حكيم ، يمهل ولا يهمل ، وقد يستدرج بعض الكفار والمنافقين فيعطيهم من متاع الحياة وزخرفها ويسلط عليهم شياطين الإنس والجن ليستمروا على معصيته والعداء لدينه حتى يأخذهم سبحانه وتعالى أخذ عزيز مقتدر ، ثم يعذبهم في قبورهم وفي يوم القيامة وفي نار جهنم خالدين مخلدين فيها ، كما قال تعالى :

ètƒã@yJ $£Jtã ¸xÏÿ»xî ©!$# žútù|¡óss? Ÿwur }
ßÉy‚ô±n@ 5QöquŠÏ9 öNèdã•½jzxsãƒ $yJ¯RÎ) 4 šcqßJÎ=»©à9$#
ÇÍËÈ ã•»|Áö/F{$# ÏmŠÏù { [إبراهيم: ٤٢] .

وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ‹ إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا

(١) رواه الترمذي – كما سبق – (١٩٢٤) ، وأحمد (٦٤٩٦) ، والحاكم ١٥٩/٤ ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو حديث حسن بشواهده . تنظر شواهده في جامع الأصول ٥١٦/٤ – ٥١٨ والمجمع ١٤٩/٨ – ١٥٣ ، ١٨٧ .

(٢) صحيح البخاري (٥٩٩٧) ، وصحيح مسلم (٢٣١٨) .

على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ، ثم قرأ ... :

{ $sYóstFsù ¾ÏmÎ/ (#rã•Åe2èŒ $tB (#qÝ¡nS $£Jn=sù #sŒÎ) #Ó®Lxm >äóÓx« Èe@à2 z>ºuqö/r& óOÎgøŠn=tæ #sŒÎ*sù ZptGøót/ Nßg»tRõ‹s{r& (#ûqè?ré& !$yJÎ/ (#qãmÌ•sù tbqÝ¡Î=ö7–B Nèd } [الأنعام: ٤٤](١) .

ولا شك أن من كانت هذه حاله واستمر على كفره أو نفاقه وضلاله وفسوقه وعلى عدائه لدين الله تعالى حتى يأتيه الموت على ذلك لاشك أنه قليل التفكير ، سفيه الرأي ، ضعيف العقل ، تلاعب به عدوه الشيطان واستولى عليه ، فأمره بما فيه هلاكه وشقاؤه في الدنيا والآخرة ، فأطاعه وهو يظن أنه يحسن صنعا وأنه أفضل وأعلى ممن أطاع الله تعالى وفاز برضوانه وجنته ، ولا شك أن من كان على تلك الحال ينطبق عليه قول ربنا جل وعلا :

{ ÷Pr& Ü=|¡øtrB ¨br& öNèduŽnYò2r& šcqãèyJó¡o„ ÷rr& 4 šcqè=É)÷ètƒ ÷bÎ) öNèd žwÎ) ÄN»yè÷RF{$%x. (ö@t/ öNèd ‘@|Êr& ¸x‹Î6y™ ÇÍÍÈ } [الفرقان: ٤٤] .

* * *

(١) رواه الإمام أحمد (١٧٣١١) ، وابن جرير في تفسيره (١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١) وغيرهما ، وسنده حسن ، وقد صححه غير واحد ، ينظر السلسلة الصحيحة (٤١٣) .

الدرس السابع والأربعون

قصة إسلام أبي سفيان بن حرب – رضي الله عنه – وقت فتح مكة

٧٥ – عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : خرج رسول الله ... إلى مكة لعشر مضين من رمضان ، فصام ، وصام الناس ، حتى إذا كان بالكديد[١] أفطر ، فنزل ... مر الظهران[٢] ، في عشرة آلاف من الناس ، فيهم ألف من مزينة ، وسبعمائة من بني سليم ، وقد عميت الأخبار على قريش ، فلا يأتيهم خبر عن النبي ... ، ولا يدرون ما هو فاعله ، وقد خرج تلك الليلة أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء الخزاعي ، يتحسسون الأخبار ، قال العباس : فلما نزل رسول الله ... حيث نزل ، قلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله ... مكة عنوة[٣] ، ليكونن هلاكهم إلى آخر الدهر ، فركبت بغلة رسول الله ... البيضاء حتى جئت الأراك رجاء أن ألتمس بعض الحطابة ، أو صاحب لبن[٤] أو ذا حاجة يأتي مكة ، فيخبرهم بأمر رسول الله ... فيخرجوا إليه ، فوالله إني لأسير ألتمس ما جئت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء ، وهما يتراجعان[٥] ، فقال أبو سفيان : والله ما رأيت كالليلة نيراناً ولا عسكراً ، فقال بديل : هذه والله خزاعة ، قد خمشتها الحرب[٦] ، فقال أبو سفيان : خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها ، فقلت : يا أبا

(١) الكديد : موضع بينه وبين مكة ٩٢ كيلاً . ينظر معجم البلدان ٤٤٢/٤ ، ومعجم الأماكن الواردة في البخاري ص٣٧٤، ٣٧٥ .
(٢) الظهران : اسم واد قرب مكة ، و « مر » اسم قرية قريبة منه ، ويسمى هذا الوادي الآن « وادي فاطمة » ويبعد عن مكة ٢٤ كيلاً . انظر المرجعين السابقين .
(٣) أي بالقوة ، وليس عن طريق الصلح أو الأمان لأهلها .
(٤) أي راعي غنم أو إبل ، وهي ذوات اللبن .
(٥) أي يكلم أحدهما الآخر .
(٦) أي أغضبتهم وأوقدتهم .

حنظلة[١] ! فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم ، قال : ما لك فداك أبي وأمي ، فقلت : هذا والله رسول الله … في الناس ، واصباح قريش ، قال : فما الحيلة ، فداك أبي وأمي ؟ قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب عجز هذه البغلة[٢] ، فركب ورجع صاحباه ، فخرجت به ، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين ، قالوا : ما هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله … ، قالوا : هذه بغلة رسول الله … عليها عمه ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال : من هذا ؟ وقام إليَّ ، فلما رآه على عجز البغلة عرفه ، فقال : والله عدو الله ، الحمد لله الذي أمكن منك ، فخرج يشتد نحو رسول الله … ، ودفعت البغلة فسبقته بقدر ما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء ، فاقتحمتُ عن البغلة ، فدخلت على رسول الله … ودخل عمر ، فقال: هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه ، في غير عقد ولا عهد ، فدعني أضرب عنقه ، فقلت : قد أجرته يا رسول الله ، ثم جلست إلى رسول الله … فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه الليلة رجل دوني ، فلما أكثر عمر ، قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله لو كان رجلاً من بني عدي ما قلت هذا ، ولكنه من بني عبد مناف ، فقال : مهلاً يا عباس ، لا تقل هذا ، فوالله لإسلامك حين أسلمت كان أحب إليَّ من إسلام أبي الخطاب لو أسلم ، وذلك أني عرفت أن إسلامك أحب إلى رسول الله … من إسلام الخطاب ، فقال رسول الله … : يا عباس ! اذهب به إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتنا به ، فذهبت به إلى الرحل ، فلما أصبحت غدوت به ، فلما رآه رسول الله … ، قال : يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ فقال : بأبي وأمي ما أحلمك ، وما أكرمك ، وأوصلك وأعظم عفوك ، لقد كاد أن يقع في نفسي أن لو كان إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد[٣] ، فقال … : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ فقال : بأبي وأمي ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ، وأعظم عفوك ، أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيء ، قال العباس : فقلت :

(١) وهي كنية أبي سفيان .
(٢) أي مؤخرتها .
(٣) يقول : لو أن آلهتنا التي نعبد آلهة حقاً لنفعتنا ونصرتنا .

ويلك ، أسلم ، واشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك ، فشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، قال العباس : فقلت : يا رسول الله ! إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً ، فقال ... : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن . فلما انصرف إلى مكة ليخبرهم ، قال رسول الله ... : احبسه بمضيق من الوادي عند حطم الخيل[1] ، حتى تمر به جنود الله ، فحبسه العباس حيث أمره رسول الله ... ، فمرت القبائل على راياتها، فكلما مرت راية ، قال : من هذه ؟ فأقول : بني سليم ، فيقول : ما لي ولبني سليم ، ثم تمر أخرى ، فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : ما لي ولمزينة ، فلم يزل يقول ذلك حتى مرت كتيبة رسول الله ... الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق[2] ، قال : من هذا ؟ فقلت : هذا رسول الله ... في المهاجرين والأنصار ، فقال : ما لأحد بهؤلاء قِبَل ، والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم لعظيم ، فقلت : ويحك يا أبا سفيان ! إنها النبوة ، قال : فنعم إذاً ، فقلت : النجاء[3] إلى قومك ، فخرج حتى أتاهم بمكة ، فجعل يصيح بأعلى صوته : يا معشر قريش ! هذا محمد، قد أتاكم بما لا قبل لكم به ، فقامت امرأته هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحَمِيتَ الدَّسِمَ الأحمس[4] ، قُبِّحَ من طليعة قوم[5] ، فقال أبو سفيان : لا تغرنكم هذه من أنفسكم[6] ، من دخل دار أبي

---

(١) وهو موضع تتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضاً .
(٢) أي لا يرى من أحدهم سوى وسط عينه، وقد قيل: سميت هذه الكتيبة « الخضراء » لكثرة الحديد الذي معهم والذي يلبسونه .
(٣) النجاء : السرعة .
(٤) الحَمِيت : زق السمن – وهو الوعاء الذي يوضع فيه السمن وهو من الجلد – ، والدسم : كثير الودك ، والأحمس : الذي لا خير عنده . وأرادت بهذا التشبيه وهذا الوصف أن تصفه بأنه كثير اللحم والشحم ولا خير فيه . ينظر : الروض الأنف ٤/١٥٨ .
(٥) الطليعة : هو الذي يتقدم القوم ، لينظر أمر عدوهم ، ثم يرجع إلى قومه فيخبرهم بحقيقة الأمر ، كالجاسوس .
(٦) أي لا تهتموا بكلام هذه المرأة ، فيمنعكم من عمل ما فيه مصلحتكم .

سفيان فهو آمن ، فقالوا : قاتلك الله ، وما يغني عنا دارك[١] ، قال : ومن أغلق بابه فهو آمن[٢] .

الفوائد والعبر :

١ û أن من الحكمة في الحرب وفي كل أمر مهم يقدم عليه الإنسان أن يخطط له وأن يكتمه عن من لا مصلحة في علمه به .

٢ û أهمية المفاجأة وقوة الصدمة في الحرب .

٣ û أهمية الحرب النفسية في إحراز النصر وتقليل الخسائر .

٤ û أهمية تأليف قادة الأعداء بالأمور المعنوية والحسية .

٥ û عظم عفو النبي ... ورحمته بأمته ، كما قال تعالى :

öNà6Å¡àÿRr&   ô`ÏiB   ×Aqß™u‘   öNà2uä!%y`   ô‰s)s9   }
Nà6ø‹n=tæ   ëÈƒÍ•xm   óOšGÏYtã $tB   Ïmø‹n=tã   î“ƒÍ•tã
ÇÊËÑÈ ÒOŠÏm§‘ Ô$râäu‘ sßJø9$$Î/ﷲšúüÏZÏB { [التوبة: ١٢٨] .

٦ û أهمية الالتزام بآراء وأوامر القادة ، وعدم الاعتراض عليها .

٧ û أن العاقبة للمتقين ، وأن النصر للإسلام طال الزمان أم قصر .

---

(١) أي لا تكفي جميع أهل مكة .

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية (٤٣٠١) ، والطبراني في الكبير (٧٢٦٤) بإسناد حسن ، وله شواهد ومتابعات كثيرة ، تنظر في الدلائل للبيهقي ٣١/٥ – ٥٧ ، والبداية والنهاية ٥٣٣/٦ – ٥٤٤ ، ومجمع الزوائد ١٦٣/٦ – ١٧٥ . وقد صححه البوصيري ، والحافظ ابن حجر ، والصالحي كما في المطالب وحاشيته ، وصححه أيضاً الأنصاري في شرح المواهب ٣١١/٢ .

الدرس الثامن والأربعون

أخبار إسلام أهل مكة يوم الفتح وإسلام مؤذنهم

٧٦ – عن الأسود بن خلف – رضي الله عنه – أنه رأى النبي ... يبايع الناس يوم الفتح ، قال فجلس عند قرن مسفلة[١] ، فجاء الناس : الصغار والكبار والنساء ، فبايعوه على الإسلام والشهادة[٢] .

٧٧ – وعن مجاشع بن مسعود السلمي – رضي الله عنه – قال أتيت النبي ... بأخي أبي معبد بعد الفتح ، فقلت : يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة ، فقال ... : « ذهب أهل الهجرة بما فيها » ، فقلت : على أي شيء تبايعه ؟ ، قال : « أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد » رواه البخاري ومسلم[٣] .

٧٨ – وعن أبي محذورة رضي الله عنه قال : خرجت في نفر ، فكنا ببعض طريق حنين ، فقفل رسول الله ... من حنين ، فلقينا رسول الله ... ببعض الطريق ، فأذن مؤذن رسول الله ... بالصلاة عند رسول الله ... ، فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون ، فصرخنا نحكيه ، ونستهزئ به ، فسمع رسول الله ... الصوت ، فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه ، فقال رسول الله ... : « أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع ؟ » فأشار القوم كلهم إليَّ وصدقوا ، فأرسل كلهم وحبسني ، فقال : « قم فأذن بالصلاة » فقمت ولا شيء أكره إليَّ من رسول الله ... ولا مما يأمرني به ، فقمت بين يدي رسول الله ... ، فألقى إليَّ رسول الله ... التأذين هو نفسه ، فقال : « قل : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله » ثم قال لي : « ارجع

---

(١) قيل : هي مكان بأعلى مكة ، قرب شعب ابن عامر . ينظر أخبار مكة للفاكهي (٢٤٦٧) ، وفي القاموس (مادة : سفل) : « المسفلة محلة بأسفل مكة » .

(٢) رواه عبدالرزاق (٩٨٢٠) ، وأحمد (١٥٤٣١) وغيرهما وسنده محتمل للتحسين .

(٣) صحيح البخاري (٤٣٠٥) ، وصحيح مسلم (١٨٦٣) .

فامدد من صوتك ›› ثم قال : ‹‹ أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ›› ثم دعاني حين قضيت التأذين ، فأعطاني صرة فيها شيء من فضة ، ثم وضع يده على ناصية أبي محذورة ، ثم أمارها على وجهه مرتين ، ثم مر بين يديه ، ثم على كبده ، ثم بلغت يد رسول الله ... سرة أبي محذورة ، ثم قال رسول الله ... : ‹‹ بارك الله فيك ›› فقلت : يا رسول الله ، مرني بالتأذين بمكة ، فقال : ‹‹ قد أمرتك به ›› وذهب كل شيء كان لرسول الله ... من كراهية ، وعاد ذلك محبة لرسول الله ... ، فقدمت على عتاب بن أسيد ؛ عامل رسول الله ... بمكة ، فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله ...[1] .

الفوائد والعبر :

١ – أن الهجرة من مكة إلى المدينة قد انقطعت بعد فتح مكة ، فمن أسلم بعده وهو في بلد كفر فإن كان يستطيع إظهار شعائر دينه ، ولا يخشى على نفسه الفتنة في بدنه أو دينه جاز له البقاء فيه ، وإن كان لا يستطيع إظهار شعائر دينه أو يخشى على نفسه الفتنة في دينه أو بدنه وجبت عليه الهجرة .

٢ – أنه ينبغي تولية أي عمل من أعمال المسلمين من يقوم به على أفضل وجه ، ولهذا اختار النبي ... للأذان من بين من سمع أذانهم اختار أرفعهم صوتاً .

٣ – مشروعية تأليف حديثي الإسلام ومن في حكمهم بالمال وغيره .

٤ – في حديث أبي محذورة دليل من دلائل نبوة نبينا محمد ... ، حيث انقلب بغضه للنبي ... إلى محبة له بعد امراره يده الشريفة ... على

(١) رواه بهذا التمام الإمام الشافعي في الأم ٨٤/١ ، والإمام أحمد (١٥٣٨٠) ، وابن ماجه (٧٠٨) ، وابن حبان (١٦٨٠) ، وإسناده قريب من الحسن ، ورواه بنحوه الإمام أحمد (١٥٣٧٦) بإسناد فيه ضعف ، فالحديث بهذا التمام حسن لغيره .

بعض جسده ودعائه له واعطائه بعض المال .

*   *   *

الدرس التاسع والأربعون
قصة إسلام أبي قحافة

٧٩ – عن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – قالت : لما وقف رسول الله ... بذي طُوى[١] ، قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده : أي بنية ، أظهريني على أبي قُبَيْسٍ[٢] ، قالت : وقد كف بصره ، فأشرفت به عليه ، قال : يا بنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً ، قال : ذاك يا بنية الوازع الذي يأمر الخيل ، ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، فقال : قد والله دفعت الخيل ، فأسرعي بي إلى بيتي ، فانحطت به ، فتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته وفي عنق الجارية طوق لها من ورق[٣] ، فتلقاها رجل فاقتلعه من عُنُقها ، قالت : فلما دخل رسول الله ... ودخل المسجد أتاه أبو بكر رضي الله عنه بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله ... قال : « هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه » قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه ، قال : فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ، ثم قال له : « أسلم » فأسلم ، قالت : ودخل به أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ... وكأن رأسه ثغامة ، فقال رسول الله ... : « غيروا هذا من شعره » ثم قام أبو بكر وأخذ بيد أخته ، فقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ، فلم يجبه أحد ، فقال : يا أخية ، احتسبي طوقك[٤] .

---

(١) ذي طوى : مكان قريب من مكة ، وقد وصله عمران مكة الآن ، قيل : إنه الحي المسمى « جرول » بوسط مدينة مكة شرفها ا÷ تعالى .
(٢) وهو جبل بمكة .
(٣) أي : من فضة .
(٤) رواه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام ٤٠٥/٢ ، ومن طريقه الإمام أحمد ٣٤٩/٦، ٣٥٠ ، وابن حبان (٧٢٠٨) ، والحاكم ٤٦/٣ وسنده حسن .

الفوائد والعبر :

١ – يجب على المسلم أن يهتم بدعوة أقاربه إلى دين الله وإلى التمسك بتعاليمه ، وبالأخص الأبوين ، لتأكد حقهما عليه .
٢ – أهمية التنظيم في الجيوش ، ووضع القادة من أهل الخبرة لكل فرع أو قسم من أقسام الجيش .
٣ – وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ولولاته وقادته في الجيوش وغيرها في كل أمر ليس فيه معصية لله تعالى .
٤ – عظم مكانة أبي بكر في الإسلام .
٥ – أنه ينبغي للرجل أن يكون حذراً ، فلا يعرض نفسه للخطر أو لمالا قدرة له على حماية نفسه منه .
٦ – مشروعية تغيير الشيب بغير السواد ، كما أنه ينبغي للمسلم أن يظهر بمظهر حسن .
٧ – أنه يستحب للمسلم أن يحتسب ما يصيبه من مظالم وغيرها ، ليعظم أجره فيها .

الدرس الخمسون

قصة إسلام عكرمة وعبداللَّه بن أبي السرح

٨٠ – عن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال : لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ... الناس ، إلا أربعة نفر وامرأتين[1] وقال : اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة : عكرمة بن أبي جهل وعبدالله بن خطل ومقيس بن صبابة وعبدالله بن أبي السرح ، فأما عبدالله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة ، فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر ، فسبق سعيد عماراً وكان أشب الرجلين فقتله ، وأما مِقْيَسُ بن صبابة فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصف ، فقال أصحاب السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا ، فقال عكرمة : والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره ، اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً ... حتى أضع يدي في يده ، فلأجدنه عفواً كريماً ، فجاء فأسلم ، وأما عبدالله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان ، فلما دعا رسول الله ... الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ... ، قال : يا رسول الله بايع عبدالله ، قال : فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله » فقالوا : وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك ؟ هلا أومأت إلينا بعينِك ، قال : « إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين »[2] .

---

(١) وكان ثلاثة منهم أسلموا ثم ارتدوا . والمرأتان كانتا تغنيان بهجاء النبي ... ، وكانتا جاريتين لابن خطل . ينظر السيرة لابن هشام ٤٠٩/٣ ، ٤١٠ .

(٢) قال السيوطي في حاشية على النسائي ١٢٣/٧ : « قال الخطابي : هو – أي خائنة الأعين – أن يضمر في قلبه غير ما يظهره للناس ، فإذا كف لسانه وأومأ بعينه إلى ذلك فقد خان ، وقد كان ظهور تلك الخيانة من قبل عينه ، فسميت : خائنة الأعين » ا. هـ. والحديث رواه النسائي (٤٠٧٨) ، وأبو داود (٤٣٥٩) ، وأبو =

الفوائد والعبر :

١ – استحباب العفو والصفح عن من وقع منه ذنب إذا ظهر ما يدل على ندمه .

٢ – أن من تكرر منه فعل الجرائم أو صدر منه جرم كبير يدل على خبث طويته وسوء سريرته ينبغي معاقبته على ذنبه ولا يحسن العفو عنه .

٣ – أن طاعة الله – وعلى رأسها توحيده تعالى والبعد عن الشرك – سبب لنجاة العبد وسلامته من الكوارث والمصائب ، كما قال تعالى :

ÇËÈ %[`u•øƒxC ¼ã&©! @yèøgs† ©!$# È,-Gtƒ `tBur }
. [الطلاق: ٢، ٣] { 4 Ü=Å¡tFøts† Ÿw ß]ø‹xm ô`ÏB çmø%ã—ö•tƒur

٤ – أنه ينبغي للمسلم أن يتحلى بأفضل الأخلاق والآداب ، وينبغي أن يبتعد عن كل خلق أو عمل فيه حط من قدره أو إخلال بمروءته ولو كان مباحاً .

يعلى (٧٥٧) ، والحاكم ٤٥/٣ بإسناد قريب من الحسن . وله شواهد عن أبي داود (٢٦٨٤) ، والطبراني ٣٧٢/١٧ ، والبيهقي في الدلائل ٦٠/٥، ٦١ ، وابن هشام ٤١٨/٣ في كل منها ضعف ، فهو حديث حسن .

الدرس الحادي والخمسون

أخبار إسلام صفوان بن أمية بن خلف – رضي الله عنه –

٨١ – عن عطاء بن أبي رباح ، عن ناس من آل صفوان : أن رسول الله ... قال : « يا صفوان هل عندك من سلاح ؟ » قال : عارية أم غصباً ؟ ، قال : « لا ، بل عارية » ، فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً ، وغزا رسول الله ... حنينا ، فلما هُزِمَ المشركون جمعت دروع صفوان ، ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله ... لصفوان : « إنا قد فقدنا من أدراعك أدراعاً ، فهل نغرم لك ؟ » ، قال : لا يا رسول الله ، لأن في قلبي اليوم مالم يكن يومئذ . رواه أبو داود[1] ، وقال : وكان أعاره قبل أن يسلم ، ثم أسلم .

٨٢ – وعن ابن شهاب الزهري، قال : غزا رسول الله ... غزوة الفتح – فتح مكة – ثم خرج رسول الله ... بمن معه من المسلمين ، فاقتتلوا بحنين ، فنصر الله دينه والمسلمين ، وأعطى رسول الله ... يومئذ صفوان بن أمية مائة من النَّعم[2]، ثم مائة ، ثم مائة ، قال ابن شهاب : حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقد أعطاني رسول الله ... ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي . رواه مسلم[3] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٦٣، ٣٥٦٤) ، والبيهقي في سننه ٨٩/٦ ، والدارقطني ٤٠/٣ ، وابن عبدالبر في التمهيد ٤١/١٢ . وآل صفوان المذكورون الظاهر أنهم من كبار التابعين ، وهم جمع ، فحديثهم له قوة ، فالسند محتمل للتحسين ، وهذه الرواية هي أصح روايات حديث آل صفوان ، وهي مذكورة في صحيح سنن أبي داود .

(٢) أي من الإبل .

(٣) صحيح مسلم : الفضائل ، باب ما سئل رسول ا÷ ... شيئاً قط فقال : لا (٢٣١٣) .

الفوائد والعبر :

١ – أنه يجب على المسلم أن يعامل المشركين بالعدل ، فيحرم أن يظلمهم أو أن يعتدى عليهم في نفس أو مال ، فقد روى البخاري عن النبي ... أنه قال : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً »(١) ، وثبت أيضاً عن النبي ... أنه قال : « ألا من ظلم معاهداً ، أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة »(٢) .

٢ – أنه يستحب تأليف الكفار وضعفاء الإيمان بالمال وغيره ، فإن هذا التألف له أثر كبير على قلوب المدعوّين في تحبيب الحق إليهم ، كما حصل لصفوان – رضي الله عنه – ، قال الله تعالى :

öNs9 tûïÏ%©!$# Ç`tã ª!$# Ytfﷲâ/ä38yg žw }
`ÏiB /ä.qã_Í•øƒä† óOs9ur ÈûïÏd‰9$# ’Îû öNä.qè=ÏG»s)ãƒ
4 öNÎköŽs9Î) (#þqäÜÅ¡ø)è?ur óOèdr•Žy9s? br& öNä.Í•»tƒÏŠ
. [الممتحنة: ٨] { ÇÑÈ tûüÏÜÅ¡ø)ßJø9$# •=Ïtä† ©!$# ¨bÎ)

---

(١) صحيح البخاري (٣١٦٦) .

(٢) رواه أبو داود (٣٠٥٢) ، والبيهقي ٢٠٥/٩ بأسانيد كثيره يقوي بعضها بعضاً ، فهو صحيح بمجموع طرقه ، وقد قوى إسناده العراقي والسخاوي . وله شواهد كثيرة تنظر في المقاصد الحسنة (١٠٤٤) ، والسلسلة الصحيحة (٤٤٥) .

الدرس الثاني والخمسون

قصة إسلام هوازن

٨٣ – عن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : كنا مع رسول الله ... في حنين فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم[١] أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا[٢] ، فقالوا : يا رسول الله لنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ؛ فامنن علينا من الله عليك ، وقام خطيبهم زهير بن صرد ، فقال : يا رسول الله إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك[٣] اللاتي كن يكفلنك ، فلو أنا ملحنا[٤] ابن أبي شمر ، أو النعمان بن المنذر[٥] ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت خير المكفولين ثم أنشد أبياتاً قالها :

امنن علينا رسول الله في كرم   فإنك المرء نرجوه وندخر

امنن على بيضة[٦] قد عاقها قدر   ممزق شملها في دهرها غير[١]

---

(١) السبي هم نساء الكفار وأطفالهم الذين استولى عليهم المسلمون، فيكونون عبيداً لهم.
(٢) في رواية مروان والمسور في البخاري : ‹ جاء وفد هوازن مسلمين › وفي رواية موسى بن عقبة في مغازيه كما في الفتح ٣٣/٨ : ‹ وقدمت عليهم وفد هوازن مسلمين ، وفيهم تسعة من أشرافهم ، فأسلموا ، وبايعوا ، ثم كلموه ... › .
(٣) أي النسوة الاتي في الأسر عند المسلمين فيهن خالات النبي ... من الرضاعة وعماته من الرضاعة ومن قمن بحضانته في صغره ، لأنه كان مسترضعاً في بني سعد عند حليمة السعدية . وقد جائت آثار تدل على أن حليمة وابنتها الشيماء كانتا معهن ، ولكن فيها ضعف ينظر : مرويات غزوة حنين ٢٦٥/١ – ٢٧٧ .
(٤) أي أرضعنا ، وفي رواية ‹ مالحنا › .
(٥) ابن أبي شمر هو : الحارث بن أبي شمر الغساني كان نائباً لملوك الروم على أدنى الشام ، والنعمان بن المنذر كان نائباً للفرس على الحيرة بالعراق ، وكانا من العرب .
(٦) البيضة : الأهل والعشيرة .

أبقت لها الحرب هتافاً على حزن[٢] على قلوبهم الغماء والغمر[٣]

إن لم تداركهم نعماء تنشرها يا أرجح الناس حلماً حين يختبر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤها من مخضها[٤]

لا تجعلنا كمن شالت نعامته واستبق منا فإنا معشر زهر[٥]

إنا لنشكر آلاء وإن كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

قال رسول الله ... : « نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم ، أم أموالكم ؟ » فقالوا : يا رسول الله! خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا . فقال رسول الله ... : « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا وقولوا : إنا نستشفع برسول الله ... إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ... في أبنائنا ونسائنا . فسأعينكم عند ذلك وأسأل لكم » فلما صلى رسول الله بالناس الظهر ، قاموا ، فقالوا ما أمرهم به رسول الله ... ، فقال رسول الله ... : « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » .

فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ... .

فقال الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ... .

فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا .

فقال العباس بن مرداس السلمي : أما أنا وبنو سليم فلا .

---

(١) أي قد تغيرت حالها ، فتحولت من صلاح إلى فساد .

(٢) أي أنه بسبب ما قتل من هوازن وما سبي من أولادهم ونسائهم وما أخذ من أموالهم أصبح من بقي منهم حزيناً حتى أصبح صوت أحدهم حين ينادي أو يتكلم مشتملاً على الحزن .

(٣) الغماء : الحزن . والغمر : الغل والحقد .

(٤) المخض : اللبن الخالص . والدرر : كثرة اللبن وسيلانه . ومراده رضاعته ... من نساء بني سعد في طفولته .

(٥) شالت نعامته : أي ارتفعت رجله ، والمراد : هلك . والزهر : جمع أزهر ، وهو الأبيض من الرجال .

فقال بنو سليم : بل ما كان لنا فهو لرسول الله ... .
فقال عيينة بن بدر : أما أنا وبنو فزارة فلا .
فقال رسول الله ... : ‹‹ من أمسك منكم بحقه[١] فله بكل إنسان ست فرائض من أول فيئ نصيبه[٢] فردوا إلى الناس نساءهم وأموالهم ›› .
ثم ركب رسول الله ... واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله اقسم علينا فيأنا ، حتى اضطروه إلى شجرة ، فانتزعت عنه ردائه ، فقال رسول الله ... : ‹‹ يا أيها الناس ردوا علي ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد شجر تهامة نعما[٣] لقسمته بينكم ، ثم ما لقيتموني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا ›› .
ثم قام رسول الله ... إلى جنب بعير وأخذ من سنامه وبرة وجعلها بين أصبعيه وقال : ‹‹ أيها الناس والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط[٤] ، فإن الغلول[٥] عار ، ونار ، وشنار على أهله يوم القيامة ›› فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال : يا رسول الله أخذت هذه لأخيط بها بردعة بعير لي دبر ، فقال الرسول ... : ‹‹ أما حقي منها فهو لك ›› فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر هذا فلا حاجة لي بها فرمى بها من يده[٦] .

---

(١) أي من كان أعطي من السبي شيئاً فأمسكه ثم رده إلى هوازن .
(٢) أي نعطيه بدل كل عبد أو أمة لديه من السبي ستاً من الإبل من أول فيء يحصل للمسلمين ، فيعطيه من الخمس الذي جعله ÷ له ... . والفيء في الأصل ما يكسبه المسلمون من أموال الكفار من غير قتال .
(٣) أي من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم .
(٤) الخياط : الخيط . والمخيط : الإبرة .
(٥) الغلول : وهو أن يأخذ المسلم من مال المسلمين شيئاً بغير حقه ، كأن يأخذ من الغنيمة قبل أن تقسم ، وكأن يأخذ مالاً من بيت مال المسلمين بغير حق .
(٦) رواه ابن إسحاق كما في الإصابة (ترجمة زهير بن صرد ٢/٥٣٤، ٥٣٥) ، ومن طريقه الإمام أحمد ٢/١٨٤ ، والبخاري في تاريخه الصغير ١/٣١ ، والنسائي (٣٦٩٠) ، والبيهقي في الدلائل ٥/١٩٤ – ١٩٦ ، وابن الجارود (١٠٨٠) بإسناد حسن . وله شاهد بنحوه أخصر منه من حديث مروان والمسور بن مخرمة عند البخاري (٤٣١٨، ٤٣١٩) ، وشاهد آخر من حديث زهير بن
=

الفوائد والعبر :

١ – أنه ينبغي للمسلم مكافئة من أسدى إليه معروفاً .
٢ – أنه يحرم أخذ أموال الناس بغير طيب نفس منهم .
٣ – أن البخل والجبن والكذب من الأخلاق الذميمة التي يجب على المؤمن البعد عنها .
٤ – عظم تحريم الغلول ، وأنه من كبائر الذنوب ، والغلول هو أن يأخذ المسلم مالاً من بيت مال المسلمين بغير وجه حق، فيحرم على المسلم أن يأخذ من بيت المال – الذي تسميه الناس اليوم (مال الحكومة) – شيئاً لم يأذن فيه ولي الأمر ، أو أن يأخذ منه مالاً وهو يعلم أنه لا يحق له أخذه ولو أذن له المسؤول المباشر عن هذا المال ، ومن ذلك أن يأخذ خارج دوام أو انتداب لم يعمله ، أو يأخذ راتب وظيفة لا يقوم بها ونحو ذلك .

* * *

صرد عند الطبراني (٥٣٠٤) ذكر فيه قصيدته ، وقد حسنه الحافظ في الفتح ٣٤/٨ بالمتابعة . وله شواهد أخرى كثيرة .
وينظر في شرح عبارات هذا الحديث : جامع الأصول ٤٠٩/٨ ، شرح المواهب للزرقاني ٤/٤، ٥ ، مرويات غزوة حنين ص٤٥٧، ٤٥٨ .

الدرس الثالث والخمسون

أخبار إسلام ثقيف

٨٤ – عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله ... أنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم ، فاشترطوا عليه أن لا يُحشَروا[١] ولا يُعَشَّروا[٢] ولا يُجَبُّوا[٣] ، فقال رسول الله ... : ⟪ لكم أن لا تحشروا ولا تعشروا ، ولا خير في دين ليس فيه ركوع[٤] ⟫[٥] .

٨٥ – وعن وهب بن منبه قال : سألت جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – عن شأن ثقيف إذ بايعت، فقال: اشترطت على النبي ... أن لا صدقة عليها[٦] ولا جهاد ، وأنه سمع النبي ... بعد ذلك يقول : ⟪ سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا ⟫[٧] .

٨٦ – وعن عامر الشعبي رحمه الله عن رجل من ثقيف قال سألنا رسول الله ... ثلاثاً فلم يرخص لنا ، فقلنا : إن أرضنا أرض بارده ،

---

(١) قيل المراد : لا يحشرون إلى عامل الزكاة ، بل هو يأتي إليهم . وقيل : المراد : لا يندبون إلى المغازي . ينظر النهاية (مادة : حشر) .

(٢) أي لا يؤخذ منهم عشر أموالهم ، وقيل : المراد الزكاة الواجبة . ينظر : النهاية (مادة : عشر) .

(٣) التجبية : الركوع ، وقيل : هي السجود . والمراد : اسقاط الصلاة عنهم . ينظر النهاية (مادة : جبا) .

(٤) أي ليس فيه صلاة .

(٥) رواه الإمام أحمد ٢١٨/٤ ، وأبو داود (٣٠٢٦) بإسناد حسن .

(٦) أي لا يدفعون الزكاة . قيل : إنما وافقهم النبي ... على هذا الشرط لأنها لم تكن في ذلك الوقت واجبة عليهم ، وإنما تجب بتمام الحول ، وقد علم ... أنهم سيدفعونها في وقتها إذا أسلموا . وينظر النهاية (مادة : جبا ، ومادة : عشر) .

(٧) رواه أبو داود (٣٠٢٥) بإسناد حسن . ورواه الإمام أحمد ٣٤١/٣ بإسناد حسن في الشواهد .

فسألناه أن يرخص لنا في الطهور[١] ، فلم يرخص لنا ، وسألناه أن يرخص لنا في الدباء ، فلم يرخص لنا فيه ساعة[٢] ، وسألناه أن يرد إلينا أبا بكرة ، فأبى ، وقال : ﴿ هو طليق الله وطليق رسوله ... ﴾ ، وكان أبو بكرة خرج إلى رسول الله ... حين حاصر الطائف[٣] ، فأسلم[٤] .

الفوائد والعبر :

١ ـ بيان أهمية الصلاة ، وأهمية التطهر لها ، والذي هو شرط من أهم شروطها ، فالصلاة عمود الإسلام ، وقد روى مسلم في صحيحه عن النبي ... أنه قال : ﴿ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ﴾ ، فمن ترك الصلاة فليس بمسلم ، ولا خير في دين ليس فيه صلاة ، كما ذكر النبي ... في هذا الحديث .

٢ ـ أن من أساليب الدعوة إلى الله تعالى التدرج في دعوة الكفار ، فينبغي أن يبين للكافر أولاً أصول الإسلام ومبانيه العظام التي لا يصح إلا بها ، فيبين له أولاً أمر العقيدة وما يقدح فيها من أنواع الشرك والكفر ، ثم يبين له وجوب الصلاة وأهميتها ، وهكذا ، فإذا طبق الأهم ، وقوي إيمانه بين له ما يليه في الأهمية ، وهكذا ، فلا مانع من تأخير بيان بعض الواجبات التي وقتها موسَّع أو لم يحن وقت وجوبها ونحو ذلك . وينبغي أيضاً أن يسلك هذا الأسلوب مع الفساق الموغلين في الفسق ومع من ينتسب إلى هذا الدين ممن يقعون في بعض المحرمات الشركية أو

---

(١) أي أن يعفيهم من غسل الجنابة ، لأن بلادهم – وهي الطائف – باردة .

(٢) الدباء : القرع . والمراد أنهم طلبوا منه ... أن لا يمنعهم من الانتباذ في أواني الدباء ، فلم يأذن لهم ، لأن الانتباذ فيها يؤدي إلى أن تكون خمراً في مدة قصيرة .

(٣) لما حاصر النبي ... الطائف قال : من خرج إلينا من العبيد فهو حر ، فخرج أبو بكره ومعه اثنان وعشرون من عبيد الطائف ، فأعتقهم النبي ... . ينظر صحيح البخاري (٤٣٢٦، ٤٣٢٧) ومجمع الزوائد ٢٤٥/٤ .

(٤) رواه الإمام أحمد ١٦٨/٤، ٣١٠ بإسناد صحيح . والرجل الثقفي صحابي ، لما يدل عليه لفظ هذه الرواية .

غيرها ، ليكون ذلك سبباً في قبولهم للدعوة ، وتطبيقهم لشرع الله تعالى بمشيئته سبحانه وتعالى . وأسلوب التدرج في الدعوة قد ورد في كتاب الله تعالى ، وأوضح مثال له التدرج في تحريم الخمر ، وقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : ⟪ إنما نزل أول ما نزل منه – أي من القرآن – سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء : (لا تشربوا الخمر) ، لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل : (لا تزنوا) ، لقالوا : لا ندع الزنا أبداً ⟫[1] .

٣ – يجب على المسلم أن يبتعد عن الأمور التي ضررها كبير عليه في دينه ودنياه ، كأم الخبائث : الخمر ، وما يشبهها من المخدرات ونحوها ، التي تجعل العاقل مجنوناً ، كما قال الشاعر :

جانب الخمرة واحذر وقعها كيف يسعى في جنون من عقل

ولهذا لم يرخص النبي ... في وضع النبيذ – وهو التمر أو الشعير الذي يوضع في الماء – في آنية الدبَّاء ، لأنه يتخمر فيها سريعاً ، فيؤدي ذلك إلى أن يشرب المسلم المسكر المحرم عليه والمضرَّ به في دينه ودنياه ضرراً عظيماً .

* * *

(١) صحيح البخاري : فضائل القرآن (٤٩٩٣) .

الدرس الرابع والخمسون

قصة إسلام عثمان بن أبي العاص الثقفي وقدومه في وفد ثقيف

٨٧ – عن عثمان بن أبي العاص قال : قدمت في وفد ثقيف حين وفدوا على رسول الله ... فلبسنا حللنا بباب النبي ... فقالوا : من يمسك لنا رواحلنا ، وكل القوم أحب الدخول على النبي ... وكره التخلف عنه ، قال عثمان وكنت أصغر القوم ، فقلت : إن شئتم أمسكت لكم على أن عليكم عهد الله لتمسكن لي إذا خرجتم ، قالوا : فذلك لك . فدخلوا عليه ثم خرجوا ، فقالوا : انطلق بنا . قلت أين ؟ فقالوا : إلى أهلك . فقلت : ضربت من أهلي حتى إذا حللت بباب النبي ... أرجع ولا أدخل عليه ، وقد أعطيتموني من العهد ما قد علمتم . قالوا : فأعجِل ، فإنا قد كفيناك المسألة ، لم ندع شيئاً إلا سألناه عنه . فدخلت فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يفقهني في الدين ويعلمني . قال : « ماذا قلت ؟ » ، فأعدت عليه القول ، فقال : « لقد سألتني شيئاً ما سألني عنه أحد من أصحابك ، اذهب فأنت أمير عليهم وعلى من تَقْدُمُ عليه من قومك ، وأم الناس بأضعفهم » فخرجت حتى قدمت عليه مرة أخرى ، فقلت يا رسول الله اشتكيت بعدك ، فقال : « ضع يدك اليمنى على المكان الذي تشتكي ، وقل : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد سبع مرات » ففعلت فشفاني الله عز وجل[(١)] .

الفوائد والعبر :

١ û أن الاهتمام بأمر الدين دليل على رجاحة عقل الإنسان ، وأنه

---

(١) رواه الطبراني (٨٣٥٦) بإسناد حسن أو قريب منه إن كان حكيم بن حكيم سمعه من عثمان . وقال الهيثمي ٣٧١/٩ : « رجاله رجال الصحيح غير حكيم بن = حكيم ، وقد وثق » ، ورواه الطبراني أيضاً (٨٣٣٦، ٨٣٩٣) بنحوه من طريقين آخرين يتقوى بهما الطريق السابق .

أعقل وأحسن رأياً وأفضل تصرفاً ممن يهتم بأمر الدنيا أكثر من اهتمامه بأمر دينه . وذلك لأن دين العبد هو سبب لرحمة الله ولسعادة العبد في الدنيا والآخرة إذا أحسن في ذلك ، أما أمر الدنيا فإنه لا يتعلق إلا بهذه الدنيا الفانية ، وأيضاً فإن من اهتم بأمر دينه وآخرته كفاه الله أمر دنياه ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : « من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره[١] ، وجعل فقره بين عينيه[٢] ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره[٣] ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة[٤] »[٥] .

٢ û أنه يجب على ولي أمر المسلمين أن يولي عليهم في جميع شؤونهم خيارهم ، ولهذا ولى النبي ... عثمان بن أبي العاص أميراً على ثقيف وعلى أهل الطائف ، لأنه رأى أنه أفضلهم .

٣ û أنه ينبغي لإمام القوم في الصلاة أن يراعي الضعفة من المصلين ، ككبار السن والمرضى ونحوهم ، فإذا كان يصلي خلفه أحد منهم فينبغي له أن يخفف الصلاة بما يناسب حالهم ، بمالا يترتب عليه ترك شيء من الأمور المطلوبة في الصلاة .

٤ û أنه يشرع لمن أصابه مرض أو غيره مما يؤذي العبد أن يلجأ إلى الله تعالى ، فيدعوه ويستعيذ به .

٥ û استحباب رقية الإنسان لنفسه .

* * *

(١) وفي رواية : « فرق ا÷ عليه شمله » والمراد بالشمل : الحال والصناعة والمعاش وما هو مهتم به ، فيشق عليه ليعظم تعبه .
(٢) أي جعله يخاف الفقر ولو كان عنده أموال عظيمة .
(٣) وفي رواية « جمع ا÷ له شمله » .
(٤) أي مقهورة .
(٥) رواه الإمام أحمد ١٨٣/٥ ، وابن ماجه (٤١٠٥) ، وابن حبان (موارد : ٧٢، ٧٣) بإسناد صحيح . وقد توسعت في تخريجه في رسالة النية ، تحت رقم (٣١) .

الدرس الخامس والخمسون

مبايعة الغلام ومن به مرض معد

٨٨ – عن الهرماس بن زياد – رضي الله عنه – قال : مددت يدي إلى النبي ... وأنا غلام ليبايعني ، فلم يبايعني[١] .

٨٩ – وعن الشَّريد الثقفي – رضي الله عنه – قال : كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ...: ﴿ إنا قد بايعناك، فارجع ﴾ رواه مسلم[٢] .

الفوائد والعبر :

١ û أن الصغير الذي لم يبلغ لا تجب عليه التكاليف الشرعية ، ولا يلزمه ما التزم به ، ولهذا لم يبايع النبي ... الهرماس لما كان صغيراً ، لأنه لا فائدة من البيعة وقتئذ[٣] ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ﴿ رفع القلم عن ثلاثة : عن الصغير حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يعقل ﴾[٤] ، وذلك أن الصغير الذي لم يبلغ لم يكتمل عقله بعد ، ولهذا فإنه أيضاً يحرم أن يعطي الوليُّ الصغير ما له من أموال عنده ، لأنه يفسدها ، بل يجب عليه أن يحفظها له حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد وحسن التصرف في الأموال ، فيعطيه أمواله ، كما قال تعالى :

ãNä3s9¨uqøBr& uä!$ygxÿ¡9$# sè?ﷲ(#qè? Ÿwur }
öNèdqè%ã—ö‘$#ur $VJ»uŠÏ% ö/ä3s9 ª!$# Ÿ@yèy_ ÓÉL©9$#
Zwöqs% öNçlm; (#qä9qè%ur öNèdqÝ¡ø.$#ur $pkŽÏù
• ÇÎÈ ê¨Bﷲ$]ùrÞ { [النساء: ٥] .

(١) رواه النسائي في البيعة (٤١٩٤) ، وابن قانع (٢١٧٨) وغيرهما ، وسنده حسن . وقد صححه الحافظ في الإصابة ٥٦٩/٣ .

(٢) صحيح مسلم : السلام (٢٢٣١) .

(٣) ينظر : حاشية السندي على سنن النسائي ١٦٩/٧ .

(٤) رواه الإمام أحمد (٢٤٦٩٤) ، وأبو داود (٤٣٩٨) ، والنسائي (٣٤٣٢) من حديث عائشة ، وإسناده حسن ، رجاله رجال الصحيح ، وصححه ابن حبان (١٤٢) والحاكم ٥٩/٢ ، ووافقه الذهبي ، ولهذا الحديث شواهد كثيره ، تنظر في المجمع ٢٥١/٦ ، نصب الراية ١٦٢/٤ – ١٦٥ ، الإرواء (٢٩٧) .

٢ û في الحديث الثاني ما يدل على ثبوت العدوى – وهي انتقال المرض من المريض إلى الصحيح – وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ﴿ لا يورد ممرض على مصح ﴾[١] ، وثبت أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال عن الوباء : ﴿ إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ﴾[٢] ، وما ذكر في هذين الحديثين هو ما يعرف اليوم بـ ﴿ الحجر الصحي ﴾ ، وروى البخاري عن النبي ... أنه قال : ﴿ لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر ، وفِرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد ﴾[٣] ، والمراد بالعدوى المنفية في هذا الحديث وغيره : أنه لا شيء يعدي بنفسه بدون مشيئة الله وتقديره ، ويدل لذلك حديث الأعرابي الذي قال للنبي ... : فما بال الإبل تكون في الرَّمل كأنها الظباء ، فيجيء البعير الأجرب ، فيدخل فيها ، فيجربها كلها ؟ فقال النبي ... : ﴿ فمن أعدى الأول ﴾ رواه البخاري ومسلم[٤] .

---

(١) رواه البخاري (٥٧٧١) ، ومسلم (٢٢٢١) .
(٢) رواه البخاري (٥٧٣٠) .
(٣) صحيح البخاري (٥٧٠٧) .
(٤) صحيح البخاري (٥٧١٧) ، وصحيح مسلم (٢٢٢٠) .

الدرس السادس والخمسون

قصة إسلام وحشي بن حرب الحبشي – رضي الله عنه –

٩٠ – عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية قال : خرجت مع عبيدالله بن عدي بن الخيار ، فلما قدمنا حمص ، قال لي عبيدالله بن عدي : هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة ؟ قلت : نعم – وكان وحشي يسكن حمص – فسألنا عنه ، فقيل لنا : هو ذاك في ظل قصره ، كأنه حَمِيتٌ[١] ، قال : فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير فسلمنا ، فرد السلام . قال : وعبيدالله معتجر بعمامته[٢] ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه . فقال عبيدالله : يا وحشي ، أتعرفني ؟ قال : فنظر إليه ثم قال : لا والله ، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها : أم قتال بنت أبي العيص ، فولدت له غلاماً بمكة فكنت أسترضع له[٣] . فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه فلكأني نظرت إلى قدميك . قال : فكشف عبيدالله عن وجهه ثم قال : ألا تخبرنا بقتل حمزة ؟ قال : نعم ، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر ، فقال لي مولاي جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر ، قال : فلما أن خرج الناس عام عينين – وعينين جبل بحيال أحد بينه وبينه وادٍ – خرجت مع الناس إلى القتال فلما اصطفوا للقتال خرج سِباع ، فقال : هل من مبارز ؟ قال : فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال : يا سِباع ، يا ابن أم أنمار مقطعة البظُورِ[٤] ، أتحاد الله ورسوله ... ؟ قال : ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب[٥] ، قال : وكمنت

---

(١) الحميت : زق كبير ، وهو الوعاء الذي يوضع فيه السمن .
(٢) الاعتجار بالعمامة : أن يلفها على رأسه ، ويضع طرفها على وجهه .
(٣) أي أطلب له من يرضعه .
(٤) أي أن أمه تختن النساء ، يعيّره بذلك .
(٥) أي قتله فصيره عدما ، فلحق بالماضي .

لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثُنَّتِهِ[١] حتى خرجت من بين وركيه ، قال : فكان ذاك العهد به[٢] . فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ، ثم خرجت إلى الطائف ، فأرسلوا إلى رسول الله ... رُسُلاً[٣] فقيل لي : إنه لا يهيج الرُّسُلَ[٤] ، قال : فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ...[٥] فلما رآني قال : ‹‹ أنت وحشي ؟ ›› قلت : نعم ، قال : ‹‹ أنت قتلت حمزة ›› ، قلت : قد كان من الأمر ما قد بلغك ، قال : ‹‹ فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني ›› ، قال : فخرجت . فلما قبض رسول الله ... فخرج مسيلمة الكذاب قلت : لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة[٦] ، قال : فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان ، فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أَوْرَق[٧] ثائر الرأس ، قال : فرميته بحربتي فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ، قال : ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته .

قال سليمان بن يسار : سمعت عبدالله بن عمر يقول : فقالت جارية على ظهر بيت : وا أمير المؤمنين[٨] ، قتله العبد الأسود . رواه

---

(١) الثنة : العانة .
(٢) أي مات – رضي ا÷ عنه – .
(٣) أي أن أهل الطائف أرسلوا إلى النبي ... رجالاً لمفاوضته .
(٤) أي لا يزعجهم ، ولا ينالهم منه مكروه .
(٥) في رواية الطيالسي (١٣١٤) : ‹‹ فلما قدم رسول ا÷ ... أردت أن أهرب منه أريد الشام ، فأتاني رجل ، فقال : ويحك يا وحشي ، وا÷ ما يأتي محمداً أحد فيشهد بشهادته إلا خلى سبيله ، فانطلقت فما شعر بي إلا وأنا قائم على رأسه أشهد بشهادة الحق ›› ، وفي رواية ابن إسحاق عن الطبراني (٢٩٤٧) وغيره نحوه .
(٦) أي أفعل حسنة تساوي سيئة قتل حمزة .
(٧) الأورق : الذي لونه مثل الرماد .
(٨) هذا من باب الندب ، وكانوا يسمون مسيلمة الكذاب : أمير المؤمنين . لأنه كان يتولى أمور أصحابه وأتباعه .

البخاري[١] .

الفوائد والعبر :

١ – في هذا الحديث ما يدل على الذكاء المفرط لوحشي – رضي الله عنه – ومعرفته بالقيافة ، فقد كان بين رؤيته رجل عبيدالله وهو طفل رضيع وبين رؤيته لها وهو رجل كبير ما يقرب من خمسين سنة ، ومع ذلك عرفه بها .
٢ – شجاعة حمزة – رضي الله عنه – .
٣ – جواز عيب الكافر الحربي بما يقدح فيه .
٤ – أن المرء يكره من أوصل إلى قريبه أذى بليغاً ، وليس هذا من الهجر المنهي عنه .
٥ – أن الإسلام يكفِّر ما قبله من شرك أو عداوة وحرب للإسلام وأهله[٢] .
٦ – حسن إسلام وحشي رضي الله عنه ، حيث ثبت وقت الردة ، ثم جاهد المرتدين ، وحرص على قتل شر الناس ليكافئ به ما صنع وهو مشرك من قتل حمزة رضي الله عنه .
٧ – أنه ينبغي للعبد إذا تاب من معصية أن يحرص على أن يأتي بأعمال صالحة تقابل تلك المعصية .
٨ – فضل وحشي – رضي الله عنه – حيث نال حمزة على يديه الشهادة ، حتى كان سيد الشهداء ، ثم أسلم وفاز بفضل الصحبة ، ثم قتل شر الناس مسيلمة الكذاب .

* * *

(١) صحيح البخاري : المغازي (٤٠٧٢) . وينظر في شرح هذا الحديث : عمدة القاري ١٧/١٥٨ – ١٦٠ ، الفتح ٧/٣٦٨ – ٣٧١ ، حاشية السندي على المسند (مطبوعة مع المسند ٢٩/٤٨٤، ٤٨٥) ، الفتح الرباني ٢١/٥٩، ٦٠ .
(٢) تنظر هذه الفوائد في الفتح ٧/٣٧١ .

الدرس السابع والخمسون

قصة إسلام كعب بن زهير – رضي الله عنه –

٩١ – عن سعيد بن المسيب ، قال : قدم كعب متنكراً حين بلغه عن النبي ... ما بلغه[١] فأتى أبا بكر فلما صلى الصبح أتى به وهو متلثم بعمامته ، فقال : يا رسول الله رجل يبايعك على الإسلام ، وبسط يده ، وحسر عن وجهه ، وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله مكان العائذ بك ، أنا كعب بن زهير ، فتجهمته الأنصار وغلظت عليه لما ذكر به رسول الله ...[٢] ، ولانت له قريش وأحبوا إسلامه وإيمانه ، فأمَّنه رسول الله ... فأنشد مدحته التي يقول فيها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول[٣]

حتى انتهى إلى قوله :

وقال كل خليل كنت آمله ... لا ألفينك إني عنك مشغول[٤]

فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم ... فكل ما قدَّر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلةٍ حدباء محمول

نبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

إن الرسول لنور يستضاء به ... وصارم من سيوف الله مسلول

---

(١) وذلك أن كعباً لما أسلم أخوه بجير قبله قال قصيدة يعرض فيها بالنبي ... فأهدر النبي ... دمه .
(٢) جاء في بعض روايات هذا الحديث أنه لما جاء كعب ليسلم وثب رجل من الأنصار ، فقال : دعني وعدو ا÷ أضرب عنقه ... » .
(٣) بانت : فارقت وبعدت . وسعاد : اسم لامرأة لا حقيقة لها . ومتبول : أصيب بتبل ، وهو درجة من درجات المحبة للشيء .
(٤) يعني أنه استجار بجماعة من أصدقائه ، فلم يجيروه ، بل قال له كل واحد منهم : لا أنفعك بشيء ، فأنا مشغول عنك .

في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا[1]

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف يوم اللقاء ولا ميل معازيل[2]

لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما بهم عن حياض الموت تهليل[3]

فنظر النبي ... إلى من عنده من قريش فقال : « أي اسمعوا » ، فقال كعب :

شم العرانين أبطال لبوسهموا من نسج داود في الهيجا سرابيل[4]

لا يفرحون إذا زالت رماحهموا قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا[5]

يمشون مشي الجمال الزهر ضرب إذا عرد السود التنابيل[6]

فلما قال : « عرد السود التنابيل » يعرض بالأنصار لغلظتهم عليه ، أنكرت قريش ما قال ، وقالوا لم تمدحنا إذ هجوتهم ، ولم يقبلوا ذلك حتى

(١) زولوا : أي تحولوا من مكة إلى المدينة ، والمراد أمرهم بالهجرة .
(٢) أنكاس : جمع نِكس ، وهو الرجل الضعيف المهين . والكشف : جمع أكشف ، وهو المقاتل الذي ليس معه ترس يتقي به السيوف والسهام ، والميل : جمع مائل ، وهو الذي لا يحسن الركوب على الفرس ، والمعازيل : جمع أعزل ، وهو الذي لا سلاح معه . ومعنى البيت : أن الصحابة في مكة لما قيل لهم (هاجروا) هاجروا ابتغاء وجه ا÷ ، وليس فيهم ضعف ولا أعزل ، وإنما كلهم أقوياء شجعان .
(٣) أي لا ينكصون عن القتال جبناً .
(٤) شُم : جمع أشم ، وهو الذي في أنفه علو . والعرانين : الأنوف . ولبوسهموا : ما يلبسونه ، والمراد : أن لباسهم في الحرب الدروع التي اخترعها نبي ا÷ داود عليه السلام . والسرابيل : القمص .
(٥) أي لا يكترثون كثيراً إذا انتصروا لأن النصر عادتهم ، وكذلك عند الهزيمة لا يجزعون ولا يخافون .
(٦) الزهر : البيض ، ويعصمهم : يمنعهم ، والسود : جمع أسود ، والتنابيل : القصار ، فهو يصف المهاجرين بامتداد القامة والبياض والرفق في المشي ، وهو دليل الوقار . ومعنى عرد : فرَّ وأعرض . وقيل : إنه بهذا يعرِّض بالأنصار كما في هذه الرواية .

قال بعدما أسلم :

من سره كرم الحياة فلا يزل	في مقنب من صالح الأنصار[١]
الباذلين نفوسهم لنبيهم	يوم الهياج وسطوة الجبار
يتطهرون كأنه نسك لهم	بدماء من علقوا من الكفار
صدموا علياً يوم بدر صدمة	ذلت لوقعتها جميع نزار

يعني ابن علي بن سود وهم بنو كنانة ، فكساه النبي ... بردة اشتراها معاوية من آل كعب بن زهير بمال كثير قد سُمِّي فهي البردة التي تلبسها الخلفاء في العيدين[٢] .

---

(١) المقنب : الجماعة من الخيل ، يريد به القوم على ظهور خيولهم .
وينظر في شرح أبيات هذه القصيدة : شرحها للخطيب التبريزي ، وشرحها لابن حجة الحموي ، والروض الأنف ٢٨٠/٤ – ٢٨٩ ، القول المستجاد وحاشيته ، توثيق قصيدة بانت سعاد للدكتور سعود الفنيسان .

(٢) رواه محمد بن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ص٤٦، ٤٧ قال : أخبرني محمد بن سليمان ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري . ومحمد بن سليمان كأن الأقرب أنه محمد بن سليمان بن الأصبهاني الكوفي ، وعليه فهذا مرسل حسن ، وقد توبع محمد بن سليمان هذا عند ابن قانع (١٦٥٧) فقد رواه من طريق الزبير بن بكار ، عن بعض أهل المدينة ، عن يحيى بن سعيد به . ومراسيل سعيد قويه ، صححها غير واحد من أهل العلم .
وله شاهد متصل رواه ابن ديزل في جزئه (١٥) ، والحاكم ٥٧٩/٣ – ٥٨٢ وصححه ، وفي سنده رجلان لم أقف على ترجمتهما .
وله شاهد آخر من مرسل عاصم بن عمر ، رواه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام ٥٠١/٤ – ٥١٥ ، والطبراني ١٧٦/١٩ – ١٧٩ ، والحاكم ٥٨٣/٣ – ٥٨٥ وسنده حسن .
وله شاهد ثالث من مرسل موسى بن عقبة رواه ابن ديزل (١٧) ، والحاكم ٥٨٢/٣، ٥٨٣ وصححه ، وهو كما قال .
وله شاهد رابع من مرسل ابن جدعان رواه ابن ديزل (١٦) ، والحاكم ٥٨٢/٣ وسنده ضعيف .
وبالجملة فالحديث حسن بمجموع هذه الأسانيد . وينظر « القول المستجاد في بيان صحة قصيدة بانت سعاد » لإسماعيل الأنصاري ، وقد اقتصرت على ذكر
=

الفوائد والعبر :

١ û أن من سب النبي ... يستحق القتل[(١)] .
٢ û أن العفو والصفح من الأخلاق التي حث الله تعالى عليها ، واتصف بها نبينا محمد ...[(٢)] .
٣ û جواز إنشاد الشعر الحسن في المسجد[(٣)] .
٤ û أن الشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ﴿ إن من الشعر لحكمة ﴾ رواه البخاري[(٤)] .
٥ û أن التغزل بالنساء إذا لم يكن فيه إسفاف ، ولا تعيين لامرأة ، ولا دعوة إلى محرم ونحو ذلك من الأمور المنهي عنها مما يتسامح فيه[(٥)] .
٦ û أن الشعر وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، ولعله لأجل هذا طلب النبي ... من الصحابة أن يسمعوا ثناء كعب عليهم في أعمال الخير والجهاد ، لما في ذلك من التشجيع لهم على الخير .

* * *

الأبيات التي وردت في مرسل سعيد هذا ، ولم أزد عليها سوى ثلاثة أبيات ليس فيها ما يستنكر بل معناها صحيح ، وهي البيت السادس ، والبيت العاشر ، والبيت الحادي عشر ، وأما بقية أبيات القصيدة ففي ثبوتها نظر ، لأن بعض الروايات السابقة لم تذكر كل الأبيات ، وبعضها أشارت إلى القصيدة ، ولم تذكر أبياتها .

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص١٤٥ .
(٢) مدارج السالكين ٤٢٨/١ .
(٣) نيل الأوطار ١٦٨/٢ .
(٤) صحيح البخاري (٦١٤٥) .
(٥) غذاء الألباب ١٨٠/١ ، ١٨١ ، توثيق قصيدة بانت سعاد ص٤٧ .

الدرس الثامن والخمسون

خبر إسلام سلمة بن قيس الجرمي وقومه جرم

٩٢ – عن عمرو بن سلمة قال : كنا بماء ممر الناس وكان يمر بنا الركبان[١] فنسألهم : مال الناس ؟ مال الناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله ، أوحى إليه ، أوحى الله بكذا ، فكنت أحفظ ذلك الكلام فكأنما يقر في صدري[٢] ، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح[٣] فيقولون : اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق . فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم[٤] ، فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبي ... حقاً ، فقال : « صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلوا صلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآناً » فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني ، لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت علي بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني ، فقالت امرأة من الحي : ألا تغطون عنا أست قارئكم ؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصاً[٥] ، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص . رواه البخاري[٦] وفي رواية أبي داود : فما شهدت مجمعاً من جرم إلاّ كنت إمامهم[٧] .

الفوائد والعبر :

١ û ينبغي الحرص على حث الأولاد من بنين وبنات في صغرهم على

(١) أي أنهم كانوا نازلين على ماء على طريق المسافرين من المدينة ، وكان يمر بهم المسافرون .
(٢) أي أنه يحفظه مباشرة .
(٣) أي ينتظرونه .
(٤) أي أسلم قبلهم .
(٥) أي اشتروا له ثوباً ، ففي رواية أبي داود (٥٨٥) « فاشتروا لي قميصاً عمانياً » .
(٦) صحيح البخاري : المغازي (٤٣٠٢) .
(٧) سنن أبي داود (٥٨٧) ورجاله ثقات .

حفظ كتاب الله تعالى ، لأن الصغير أقوى حافظةً من الكبير ، فهذا عمرو بن سلمة يحفظ السورة والمقطع من القرآن في أول مرة يسمعه ، وبعض الصغار يحفظه في مرتين ، وبعضهم أكثر من ذلك وعلى وجه العموم فإن مقدرة الصغير على الحفظ تفوق مقدرة من هو أكبر منه سناً غالباً .

٢ û أن المسلم إذا صبر على أذى أهل الكفر وأهل الباطل والفسق واستمر في دعوته ونصرته لدين الله تعالى فإن الغلبة والنصرة له في آخر الأمر بمشيئة الله تعالى وتأييده ، فهذا النبي … صبر وجاهد حتى كانت النصرة له في آخر الأمر ولله الحمد والمنة .

٣ û أن أهل القرآن وهم الذين يحرصون على تلاوته وحفظه والعمل به هم أفضل منزلة من غيرهم في الدنيا والآخرة ، فهم يقدمون على غيرهم في الصلاة كما في هذا الحديث ، وفي صحيح مسلم عن النبي … قال : ‹ إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين ›[١] ، وفي صحيح البخاري عن النبي … قال : ‹ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ›[٢] ، وفي الحديث الصحيح ‹ يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها ›[٣] .

* * *

(١) صحيح مسلم (٨١٧) .
(٢) صحيح البخاري (٥٠٢٧) .
(٣) رواه الترمذي (٢٩١٤) ، وأبو داود (١٤٦٤) بإسنادٍ حسن . وينظر في شرح حديث عمرو بن سلمة : شرح الكرماني ١٤١/١٦ ، عمدة القاري ٢٨٩/١٧ ، النهاية ، الفتح ٢٣/٨ .

الدرس التاسع والخمسون

قصة إسلام عدي بن حاتم الطائي

٩٣ – عن أبي عبيدة بن حذيفة عن عدي بن حاتم رضي الله عنهم قال لما بعث الله عز وجل النبي ... فررت منه حتى كنت في أقصى أرض المسلمين مما يلي الروم .

قال : فكرهت مكاني الذي أنا فيه حتى كنت له أشد كراهية مني من حيث جئت ، قال : قلت : لآتين هذا الرجل فوالله إن كان صادقاً اتبعته ، وإن كان كاذباً ما هو بضاري .

قال : فأتيته واستشرفني الناس ، وقالوا : عدي بن حاتم ، عدي بن حاتم ، قال : أظنه قال : ثلاث مرات ، قال : فقال لي رسول الله ... : « يا عدي بن حاتم ، أسلم تسلم » ، قال : قلت : إني من أهل دين . قال : « يا عدي بن حاتم ، أسلم تسلم » ، قال : قلت : إني من أهل دين ، قالها ثلاثاً . قال : « أنا أعلم بدينك منك » قال : قلت : أنت أعلم بديني مني ؟ قال : « نعم » قال : « ألست ترأس قومك ؟ » قال : قلت : بلى . قال : « ألست تأكل المرباع[1] ؟ » قال : قلت : بلى . قال : « فإنه لا يحل في دينك المرباع » . قال : فلما قالها تواضعت لها . قال : « وإني قد أرى أن مما يمنعك خصاصة تراها ممن حولي[2] وأن الناس علينا إلباً واحداً[3] ، هل تعرف مكان الحيرة[4] ؟ » قال : قلت : قد سمعت بها ولم آتها . قال : « لتوشكن الظعينة[5] أن تخرج منها بغير جوار حتى تطوف بالكعبة ، ولتوشكن كنوز كسرى بن هرمز أن تفتح » ، قال : قلت : كسرى بن هرمز ؟ . قال : « كسرى بن هرمز » ثلاث مرات ، « ولتوشكن أن يبتغي

---

(١) المرباع : ربع الغنيمة .

(٢) أي ترى فقراً وحاجة فيمن معي من المسلمين .

(٣) أي مجتمعين على عدائنا وحربنا .

(٤) قال في معجم البلدان ٣٢٨/٢ (الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف) .

(٥) الظعينة : المرأة في الهودج .

الرجل من يقبل ماله منه صدقة فلا يجد » قال : فلقد رأيت اثنتين ، قد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة بدون جوار حتى تطوف بالكعبة ، وكنت في الخيل التي أغارت على المدائن(١) ، وأيم الله لتكونن الثالثة(٢) ، إنه لحديث رسول الله ... حدثنيه(٣) .

الفوائد والعبر :

١ û أن من عصى الله تعالى يعيش في ضيق وقلق دائم ويعيش عيشة نكدة، وتجلى هذا واضحاً في حياة عدي رضي الله عنه قبل الإسلام ، وقد أشار ربنا جل وعلا إلى ذلك بقوله جل جلاله :

Zpt±ŠÏètB ¼ã&s! ¨bÎ*sù “Í • ò2ÏŒ `tã uÚu • ôãr& ô`tBur }
4‘yJôãr& ÏpyJ»uŠÉ)ø9$# uQöqtƒ ¼çnã • à±øtwUur %Z3Y|Ê
ÇÊËÍÈ { [طه: ١٢٤] .

٢ û من أساليب الدعوة إلى الله : إخبار كل من كان على باطل عن ما عنده من الضلال والانحراف ، وذلك بالأسلوب المناسب ، ليكون ذلك – بإذن الله – سبباً في تركه لهذا الباطل .

٣ û عداء أهل الضلال من مشركين ومنافقين للحق واجتماعهم على ذلك .

٤ û وجوب الإيمان بجميع أمور الغيب التي أخبر عنها النبي ... ، ويحرم على العبد أن يعمل عقله في شيء من ذلك .

٥ û قوة إيمان عدي رضي الله عنه ، ولهذا أقسم بأن ما أخبر به النبي ... سيقع .

٦ û في هذا الحديث معجزة من معجزات نبينا محمد ... ، حيث وقع

---

(١) المدائن : عاصمة دولة الفرس ، الذين ملكهم كسرى ، وقد فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب .

(٢) وقد وقعت هذه في عهد عمر بن عبدالعزيز . ينظر الفتح ٦١٣/٦ .

(٣) رواه أحمد ٣٧٨/٤ ، وابن حبان (٦٦٧٩) ، والحاكم ٥١٨/٤ وإسناده حسن ، رجاله ثقات ، رجال الصحيحين ، عدا أبي عبيدة ، وقد وثقه ابن حبان والعجلي ، وهو من كبار التابعين ، ولأوله شاهد عند أحمد ٣٧٨/٤ ، ولآخره شاهد عند البخاري (٣٥٩٥) .

جميع ما أخبر به عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث .

* * *

الدرس الستون

إسلام كندة وقدوم وفدهم

٩٤ – عن الأشعث بن قيس – رضي الله عنه – قال : أتيت رسول الله ... في وفد كندة، ولا يروني إلا أفضلهم، فقلت: يا رسول الله ألستم منا ؟ فقال : نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفوا أمنا[(١)] ، ولا ننتفي من أبينا » ، قال : فكان الأشعث بن قيس يقول : لا أوتى برجل نفى رجلاً من قريش من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد[(٢)] .

٩٥ – وعن الأشعث بن قيس أيضاً قال : قدمت على رسول الله ... في وفد كندة ، فقال لي : « هل لك من ولد ؟ » ، قلت : غلام ولد لي في مخرجي إليك من ابنة جمد ، ولَوَدِدْتُ أن مكانه شبع القوم[(٣)] ، فقال ... : « لا تقولن ذلك ، فإن فيهم قرة عين وأجراً إذا قبضوا ، ولئن قلت ذلك فإنهم لمجبنة ومحزنة ومبخلة[(٤)] »[(٥)] .

الفوائد والعبر :

١ û تحريم انتساب الرجل إلى غير أهله وقبيلته ، لأن في ذلك اتهاماً

---

(١) أي لا نتهمها بالزنى .

(٢) رواه الإمام أحمد (٢١٨٣٩) ، وابن ماجه (٢٦١٢) وغيرهما ، وسنده حسن . وقد صححه البوصيري في الزوائد .

(٣) في رواية الطبراني (٦٤٧) : « ولد لي من بنت جمد بن وليعة الكندي وددت لو كان لنا به قصعة ثريد » .

(٤) أي أن الرجل إذا كثر أولاده جبن عن الحروب استبقاء لنفسه ، وبخل بماله ، لينفق عليهم، وإذا أصابهم شيء حزن. ينظر: شرح السنة ٣٦/١٣ ، النهاية : مادة (بخل) .

(٥) رواه الإمام أحمد (٢١٨٤٠) ، والطبراني (٦٤٦) وفي سنده ضعف ، ورواه الطبراني (٦٤٧) من طريق آخر فيه ضعف يسير أيضاً ، ورواه الحاكم ٢٣٩/٤
= بنحوه أخصر منه ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، وقال ابن كثير في البداية ٣١٤/٦ : « تفرد به أحمد ، وهو حديث حسن ، جيد الإسناد » ، وللمرفوع منه شواهد كثيرة .

لوالدته بالفجور .
٢ û أن من أخرج رجلاً أو قوماً عن نسبهم الثابت يستحق حد القذف[١] ، ولهذا فإنه يجب على المسلم أن يحذر مما وقع كثير من الناس فيه من التساهل في هذا الأمر ، حيث تجد أحدهم يجزم بنسبة رجل أو قبيلة إلى غير من اشتهر انتسابهم إليه لمجرد قول سمعه أو قرأه ، وقد ثبت عن النبي … أنه قال : ﴿ أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ﴾ رواه مسلم[٢] .
٣ û أن الأولاد فيهم خير لوالديهم لمن أحسن تربيتهم ، فهم قرة عين لوالديهم لما يحصل منهم من النفع لهم ، ولسرورهم بهم إذا رأوهم وهم على حال حسنة ، ولما يحصل لهم من الأجور عند وفاة من توفي منهم صغيراً واحتسب والداه الأجر في ذلك ، ولما يحصل لهم من الخير بدعاء أولادهم الكبار لهم .
٤ û أن الله تعالى يختبر الوالدين بأولادهما ، هل يكونون سبباً لطاعتهما لله تعالى، أم يكونون سبباً لمعصيتهما لله تعالى ، كما قال سبحانه وتعالى :
4 GÏùﷲ×puZ rr&urﷲö/ä.ß‰»s9 öNä3ä9¨uqøBr& !$yJ¯RÎ) }
{ [التغابن: ١٥] .
فكثير من الآباء يكون حرصه على أولاده سبباً في تركه للجهاد أو فراره عند القتال استبقاء لنفسه بزعمه لينفق على أولاده ، ومنهم من يكون حرصه على أولاده سبباً في دخول كثير من الأحزان عليه كلما أصاب أحداً منهم أذى ، ومنهم من يكون حرصه على أولاده سبباً في بخله بالإنفاق أو الصدقة الواجبة أو المستحبة ، فيكنز المال للنفقة عليهم ، وليستفيدوا منه في مستقبل أمرهم . وما علم هؤلاء أن الآجال لها مواعيد محدده مقدرة سلفاً ، ومثلها الأرزاق لهم ولأولادهم .
وأيضاً فقد يكون الأولاد سبب فتنة لوالديهم بطاعتهم لهم في معصية الله تعالى ، فقد يدعوهم حنانهم عليهم إلى عدم أمرهم بالمعروف ونهيهم

---

(١) ينظر : زاد المعاد ٦١٨/٦ .
(٢) صحيح مسلم (٩٣٤) .

عن المنكر ، وقد يدخل الوالدان آلات اللهو في بيوتهم استجابة لطلب الأولاد ، وقد أفتى شيخنا محمد بن صالح بن عثيمين أن من يتوفاه الله تعالى والتلفاز في بيته ينطبق عليه قول النبي ... : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » متفق عليه[١] .

* * *

(١) صحيح البخاري (٧١٥) ، وصحيح مسلم (١٤٢) .

الدرس الحادي والستون

خبر إسلام بني المنتفق وقدوم وافدهم

٩٦ – عن لقيط بن صبرة وافد بني المنتفق – رضي الله عنه – : أنه انطلق هو وصاحب له إلى النبي ... فلم يجداه ، فأطعمتهما عائشة تمراً وعصيدة ، قال : فلم نلبث أن جاء النبي ... يتقلع يتكفأ[1] ، فقال : « أطعمتما ؟ » قلنا : نعم . قلت : يا رسول الله ، أسألك عن الصلاة . قال : « أسبغ الوضوء ، وخلل الأصابع ، وإذا استنشقت فأبلغ ، إلا أن تكون صائماً » .

قلت : يا رسول الله ، إن لي امرأة – فذكر من طول لسانها وبذائها[2] – قال : « طلقها » قلت : إن لها صحبة وولداً . قال : « مرها ، أو قل لها ، فإن يكن فيها خير فستفعل ، ولا تضرب ظعينتك ضربك أمتك »[3] .

فبينا هو كذلك إذ دفع الراعي الغنم في المراح ، وعلى يده سخلة ، فقال النبي ... : « أولدت ؟ » قال : نعم . قال : « ماذا ؟ » قال : بهمة . قال : « اذبح مكانها شاة » ثم أقبل علي ، فقال : « لا تحسبن إنما ذبحناها من أجلك، لنا غنم مئة ، لا نحب أن نزيد عليها ، فإذا ولَّد الراعي بهمة ، أمرناه فذبح مكانها شاة »[4] .

الفوائد والعبر :

١ û أن إكرام الضيف خلق كريم ، وواجب شرعي .

٢ û أنه ينبغي للمسلم أن يمشي مشية أولى العزم والهمة والشجاعة ،

---

(١) يتقلع : يمشي مسرعاً . ويتكفأ : يتمايل إلى قدَّام . ينظر : النهاية (مادة : كفأ) ، وحاشية السندي على المسند .

(٢) أي سوء خلقها .

(٣) « أمة » وهي المرأة المملوكة .

(٤) رواه عبدالرزاق (٨٠) ، والإمام أحمد (١٦٣٨٤، ١٧٨٤٦) ، وأبو داود (١٤٤) وإسناده صحيح ، ولم يسق أبو داود لفظه .

وهذه هي مشية النبي × كما في هذا الحديث ، وقال علي رضي الله عنه : ‹‹ كان رسول الله × ضخم الرأس عظيم العينين ، أهدب الأشفار ، مشرب العينين حمرة ، كث اللحية ، أزهر اللون ، إذا مشى تكفَّأ ، كأنما يمشي في صعَد ، وإذا التفت التفت جميعا ››(١) ، وفي رواية : ‹‹ كان رسول الله × ليس بالطويل ولا بالقصير ... إذا مشى تكفَّأ تكفؤاً، كأنما ينحط من صبب، لم أر قبله ولا بعده مثله × ››(٢) .

وينبغي للمسلم أن يبتعد عن مشية أهل الكسل والخمول والمرضى ، وهي مشية المهانة والتماوت ، كما ينبغي له أن يبتعد عن مشية الهوج ، وهي أن يمشي بانزعاج واضطراب، مشي الجمل الأهوج ، وهي دالة على خفة عقل صاحبها ، لا سيما إن كان يكثر الالتفات حال مشيه يميناً وشمالاً .

فالمطلوب من المسلم أن يمشي مشية عباد الرحمن ، كما قال تعالى : } ßŠ$t7Ïãur q§•9$#ﷲÇ`»uH šúïÏ%©!$# tbqà±ôJtƒ ’n?tã ÇÚö‘F{$# $ZRöqyd { [الفرقان: ٦٣].

قال غير واحد من السلف : بسكينة ووقار ، من غير تكبِّر ولا تصنُّع ، ولا تماوت ، وهي مشية النبي × كما سبق(٣) .

٣ û يجب على المسلم أن يسأل عن أحكام دينه .

٤ û أن سوء الخلق من الأمور المذمومة التي جاء الشرع بالنهي عنها .

٥ û أنه ينبغي للرجل عند رغبته في الزواج أن يبحث عن الزوجة التي تتحلى بالأخلاق الفاضلة ، وأن لا يكون همه البحث عن ذات الجمال أو المال ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ‹‹ تنكح المرأة على إحدى خصال

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦٨٤) ، وابن سعد ٤١٠/١ ، ٤١١ وغيرهما ، وسنده حسن .
(٢) رواه الإمام أحمد (٧٤٦) ، وابن سعد ٤١٠/١ ، ٤١١ ، والترمذي في السنن (٣٦٣٧ ، ٣٦٣٨) ، وفي الشمائل (٥) وغيرهم ، وهو حسن بمجموع طرقه . ولموضع الشاهد منه شاهد عند أبي داود (٤٨٦٤) . والصبب ما انحدر من الأرض .
(٣) ينظر : تفسير ابن كثير للآية السابقة ، وزاد المعاد ١٦٧/١ ، ١٦٨ .

ثلاث خصال : تنكح المرأة على مالها ، وتنكح المرأة على جمالها ، وتنكح المرأة على دينها ، فخذ ذات الدين والخلق تربت يمينك ››[1] .

٦ û مشروعية تقويم المعوج من تصرفات وأخلاق الآخرين بالحكمة ، والموعظة الحسنة .

٧ û أنه ينبغي للرجل أن لا يلجأ إلى ضرب زوجته إلا عند تعذر استصلاحها بدونه ، وإذا ضربها فينبغي له أن لا يسرف في الضرب ، فيضربها أو ينفرها بدلاً من أن يستصلحها .

*   *   *

(١) رواه الإمام أحمد (١١٧٦٥) ، وابن حبان (٤٠٣٧) ، والحاكم ١٦١/٢ وغيرهم من حديث أبي سعيد . وسنده حسن ، رجاله ثقات ، عدا زينب بنت كعب بن عجره ، وهي زوجة أبي سعيد الخدري ، مختلف في صحتها ، فهي من كبار التابعين على أقل أحوالها ، ووثقها ابن حبان . فحديثها لا ينزل عن درجة الحسن ، وقد صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وصححه أيضاً المنذري (٢٨٧٠) ، وقال الهيثمي ٢٥٤/٤ : ‹‹ رجاله ثقات ›› .

الدرس الثاني والستون

خبر إسلام حمير وقدوم وفدهم

٩٧ – عن عمران بن حصين – رضي الله عنهما – قال : جاء نفر من بني تميم إلى النبي ... ، فقال : « يا بني تميم أبشروا »[١] ، فقالوا : بشرتنا فأعطنا – مرتين[٢] – فتغير وجهه ...، فجاءه أهل اليمن[٣] ، فقال : « يا أهل اليمن اقبلوا البشرى ، إذ لم يقبلها بنو تميم » ، قالوا : قد قبلنا يا رسول الله ، ثم قالوا : جئنا نسألك عن هذا الأمر[٤] . فقال ... : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر[٥] كل شيء ، وخلق السماوات والأرض » ، فنادى مناد : ذهبت ناقتك يابن الحصين ، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب[٦] ، فوالله لوددت أني كنت تركتها . رواه البخاري[٧] .

الفوائد والعبر :

١ û أن ضعف الإيمان يحمل صاحبه على الحرص على الدنيا الفانية وعلى الزهد في طاعة الله وثوابه ، ولهذا لم يقبل كبير وفد تميم – وهو الأقرع بن حابس كما ذكر بعض أهل العلم – البشارة بما هو سبب لدخول الجنة ، وذلك بسبب ضعف إيمانه في هذا الوقت ، ثم حسن إسلامه بعد

---

(١) أي أبشروا بما هو سبب لدخول الجنة ، وهو الفقه في الدين ، والعمل به .
(٢) ذكر ابن الجوزي أن قائل هذه الجملة هو « الأقرع بن حابس التميمي » .
(٣) وهم وفد قبيلة « حمير » اليمانية .
(٤) يحتمل أنهم سألوا عن أحوال هذا العالم ، ويحتمل أنهم سألوا عن أول جنس المخلوقات .
(٥) وهو اللوح المحفوظ .
(٦) السراب : ما يرى نصف النهار من بعد كأنه ماء .
(٧) صحيح البخاري : بدء الخلق (٣١٩٠، ٣١٩١) . وينظر في شرح هذا الحديث : كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٤٧٩/١ ، فتح الباري ٢٨٨/٦، و٩٧/٨ .

ذلك وعليه : فليس في هذا الحديث ما يدل على ضعف إيمان بقية وفد تميم ، وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله ... ، سمعت رسول الله ... يقول : « هم أشد أمتي على الدجال » ، قال : وجاءت صدقاتهم ، فقال النبي ... : « هذه صدقات قومنا » ، قال : وكانت سبيّة منهم[1] عند عائشة ، فقال رسول الله ... : « أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل »[2] .

٢ û أنه ينبغي للمسلم أن يهتم بأمر الآخرة الباقية أكثر من اهتمامه بأمر الدنيا الحقيرة القصيرة الفانية ، وأن لا يقدم حطام الدنيا على ما هو سبب لرحمة الله والفوز بجنة عرضها السماوات والأرض ، وفيها من النعيم أعظم وأفضل مما رآه الناس في هذه الحياة مرات ومرات ، وقد روى البخاري في صحيحه عن أنس : أن أم حارثة أتت رسول الله ... – وقد هلك حارثة يوم بدر أصابه سهم غرب – فقالت : يا رسول الله ، قد علمت موقع حارثة من قلبي ، فإن كان في الجنة لم أبك عليه ، وإلا سوف ترى ما أصنع . فقال لها : « هبلتِ ، أجنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه في الفردوس الأعلى » ، وقال : « غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأت ما بينهما ريحاً ، ولنصيفها – يعني الخمار – خير من الدنيا وما فيها »[3] .

٣ û بيان عظمة الله تعالى ، وأنه الأول ، فليس قبله شيء ، وأنه تعالى ليس محتاجاً إلى شيء من مخلوقاته .

٤ û بيان أن الله تعالى قد كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق السماوات والأرض ، وقد روى مسلم عن رسول الله × قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » ، قال

---

(١) السبيّة : المملوكة ، وكأن هذه المملوكة مما سباه المسلمون من بعض كفار تميم ، فأصبحت مملوكة للمسلمين .
(٢) صحيح البخاري (٣٤٩٣) ، وصحيح مسلم (٢٥٢٥) .
(٣) صحيح البخاري : الرقاق (٦٥٦٧، ٦٥٦٨) .

: « وكان عرشه على الماء »[١] .

٥ û حرص الصحابة على طلب العلم ، وتقديمهم له على متاع الحياة الدنيا .

*   *   *

(١) صحيح مسلم : القدر (٢٦٥٣) .

الدرس الثالث والستون

قصة إسلام جابر بن سليم التميمي

٩٨ – عن أبي جري جابر بن سليم – رضي الله عنه –، قال: رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه ، لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه ، قلت : من هذا ؟ قالوا : [هذا] رسول الله ... ، قلت : عليك السلام يا رسول الله – مرتين – قال « لا تقل عليك السلام ؛ فإن عليك السلام تحية الميت ، قل : السلام عليك » قال: قلت : أنت رسول الله ... ؟ قال « أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عامُ سنةٍ فدعوته أنبتها لك[1] ، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك » قلت : اعهد إلي[2] ، قال « لا تسبن أحداً » قال: فما سببت بعده حراً ولا عبداً ولا بعيراً ولا شاة ، قال « ولا تحقرن شيئاً من المعروف ، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق ، فإن أبيت فإلى الكعبين ، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ، وإن الله لا يحب المخيلة ، وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فإنما وبال ذلك عليه »[3] .

الفوائد والعبر :

١ û وجوب تعليم الجاهل عند وقوعه في خطأ مخالف لشرع الله تعالى.
٢ û على الداعية أن يذكر في دعوته ما يناسب حال المدعو مما يرغبه في قبول الحق .
٣ û على الداعية أن يبدأ بذكر التوحيد في دعوته ، وأن لا يغفل عن توضيح مسائل العقيدة في كل مناسبة يمكنه توضيحها فيها .
٤ û أن السباب والشتام من الأخلاق السيئة التي نهي عنها في الإسلام .

(١) السَّنَة : الجدب . أي إذا أصابه جدب وقلة مطر ودعى ا÷ أن يغيثه ، فإن ا÷ تعالى يستجيب دعاء من دعاه .
(٢) أي أوصني .
(٣) رواه الإمام أحمد ٦٣/٥، ٦٤ ، وأبو داود (٤٠٨٤) ، وابن حبان (٥٢١، ٥٢٢) بإسناد حسن ، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (٧٩٦) .

٥ û سرعة استجابة الصحابة لما يأمرهم به النبي ... ، وحرصهم على تطبيقه .
٦ û أنه ينبغي للمسلم أن يحسن إلى الآخرين ، وأن يبذل لهم ما يستطيعه من الأمور التي عرف في الشرع حسنها .
٧ û أن طلاقة الوجه وإظهار السرور عند مخاطبة المسلم لأخيه المسلم خلق رفيع ندب إليه نبينا محمد ... .
٨ û تحريم إسبال الثياب أسفل من الكعبين ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ﴿ ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار ﴾ رواه البخاري[١] ، وإذا أسبل المسلم ثيابه خيلاء كان الإثم أعظم ، فقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ﴿ من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ﴾ رواه البخاري ومسلم[٢] .
٩ û أنه يستحب للمسلم أن يعفو عن من أساء إليه بقول أو فعل .

---

(١) صحيح البخاري (٥٧٨٧) .
(٢) صحيح البخاري (٣٦٦٥) ، وصحيح مسلم (٢٠٨٥) .

الدرس الرابع والستون

خبر إسلام قيس بن عاصم السعدي التميمي وقدومه في وفد تميم

٩٩ – عن قيس بن عاصم السعدي – رضي الله عنه – قال : أتيت رسول الله ... فقال : « هذا سيد أهل الوبر[١] » فقلت : يا رسول الله ، ما المال الذي ليس عليَّ فيه تبعة من طالب ولا من ضيف[٢] ؟ فقال رسول الله ... : « نعم المال أربعون ، والكثرة ستون ، وويل لأصحاب المئين[٣] ، إلا من أعطى[٤] الكريمة ، ومنح الغزيرة[٥] ، ونحر السمينة ، فأكل وأطعم القانع والمعتر[٦] » قلت : يا رسول الله ما أكرم هذه الأخلاق[٧] ، لا يُحَلُّ بواد أنا فيه من كثرة نَعَمِي[٨] . فقال : « كيف تصنع بالعطية ؟ » قلت : أعطي البكر وأعطى الناب[٩]. قال: « كيف تصنع في

---

(١) وهم البادية الذين يسكنون الخيام المصنوعة من وبر الإبل .

(٢) أي حقوق لرجل جاء يسأل أو لضيف .

(٣) أي أن القليل من الإبل لا تبعة فيه ، لكن إذا كثرت فبلغت مائة أو أكثر ففيها حقوق ويل لمن قصر في أدائها .

(٤) لعل المراد بالعطية هنا : افقار الظهر ، وهو أن يعطي الجمل لمن يركبه ثم يرده ، كما هو ظاهر لفظ الحاكم وغيره .

(٥) الكريمة : العزيزة على صاحبها . والغزيرة : كثيرة اللبن .

(٦) القانع : السائل . والمعتر : من يأتي ليعطى ، لكن يستحيي من السؤال .

(٧) أي : ما هو أفضل الإحسان في هذه الأمور المذكورة ، من العطية وهي الإفقار – أو المنيحة – وهي إعطاء الناقة الحلوب لمن يحلبها مدة ثم يردها – أو الذبائح للتصدق بلحمها .

(٨) أي أنه يملك المآت من الإبل ، حتى أنها لكثرتها تملأ الوادي الذي ينزل فيه ، فلا يجد أحد غيره مكاناً في هذا الوادي ينزل فيه .

(٩) أي أنه يعطي من صغار الإبل ومن كبارها من يركبها ثم يردها ، وفي اللفظ الآخر : « إني لأفقر البكر الضرع والناب المدبر » .

المنيحة» ؟ قال : إني لأمنح في كل عام مائة[١] ، فقال النبي ... : «فمالك أحب إليك أم مال مواليك ؟»[٢] قال : مالي . قال : «فإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو أعطيت فأمضيت ، وسائره لمواليك» فقلت : لا جرم ، لئن رجعت لأُقِلَّنَّ عددها[٣] . فلما حضره الموت جمع بنيه[٤] ، فقال : يا بني ، خذوا عني ، فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني : لا تنوحوا عليَّ[٥] فإن رسول الله ... لم يُنَح عليه . وقد سمعت النبي ... ينهى عن النياحة ، وكفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها . وسودوا أكابركم[٦] ، فإنكم إذا سودتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة ، وإذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس وزهدوا فيكم ، وأصلحوا عيشكم[٧] فإن فيه غنى عن طلب الناس ، وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب المرء ، وإذا أنا مت فادفنوني في مكان لا يعلم به أحد ، فإنه كان يكون شيء بيني وبين هذا الحي من بكر بن وائل – خماشات[٨] – فلا آمن سفيهاً أن يأتي أمراً يدخل عليكم عيباً في دينكم[٩] »[١٠] .

---

(١) في الأدب المفرد : «لأمنح المائة» ، والتصويب من الثقات .
(٢) الموالي : الأقارب ، والمراد الورثه .
(٣) أي سأتصدق منها وأنفق منها حتى يقل عددها ، وفي رواية الطبراني : فقال الحسن : ففعل وا÷ .
(٤) في رواية عند الطبراني ٣٤١/١٨ أن عددهم ٣٢ ذكراً ، وأنهم ضرب لهم مثلاً على ضرورة الاجتماع وعدم الفرقة بالسهام حيث يكسر الواحد والاثنان والثلاثة بسهولة ، بخلاف ثلاثين سهماً ، وطبق ذلك عملياً .
(٥) النياحة : هو البكاء على الميت مع وجود صوت ورنة وندب من النائح ، والندب هو تعداد محاسن الميت مع مناداته بحرف «و» ، كأن يقول : «وا محمداه» ، أو «واجبلاه» ، والنياحة غالباً تكون من النساء ، وهي محرمة .
(٦) أي اجعلوا كبار السن منكم هم السادة المطاعون فيكم .
(٧) أي أموالكم .
(٨) الخماشات : الجراحات والجنايات التي دون القتل .
(٩) خشي أن يعتدي أحد من سفهاء بكر بن وائل على قبره بنبش أو إهانة ، فتحصل شرور بين أولاده وبين بني بكر ، فيصيبهم بسبب ذلك ضرر في دينهم ، كما هو صريح في لفظ الحاكم وغيره .
(١٠) رواه البخاري في الأدب المفرد (٩٥٣) واللفظ له ، وابن حبان في الثقات =

الفوائد والعبر :

١ û أن المال فتنة واختبار لصاحبه هل يطيع الله في جمعه وتنميته وإنفاقه أم يعصي الله في ذلك ، كما قال تعالى :
﴿ GÏù×puZ rr&urö/ä.ß‰»s9 öNä3ä9ºuqøBr& !$yJ¯RÎ) 4 ﴾ [التغابن: ١٥] .

وكلما كثر المال عظمت الفتنة وعظم الامتحان ، وقل حينئذ من يجتاز هذا الإمتحان بسلامة ونجاة ، ولهذا تجد كثير من أرباب الأموال الكثيرة يقعون في الكثير من المحرمات ، كالتعامل بالربا ، وكبيع المحرمات ، وغير ذلك ، ومنهم من يبتلى بكنز المال ، فلا ينفق في سبل الخير ، بل ربما يبخل بالزكاة والصدقة الواجبة ، وقد روى البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ... : « هم الأخسرون ورب الكعبة » ، قال : يا رسول الله فداك أبي وأمي من هم ؟ قال : « هم الأكثرون أموالاً ، إلا من قال : هكذا وهكذا وهكذا – من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله – ، وقليل ما هم »[(١)] .

٢ û أن المؤمن الذي وهبه الله عقلاً راجحاً يحرص على أن ينفق الكثير من أمواله في سبيل الله ، لأنه أيقن أن ما ينفقه في هذا السبيل هو ما يبقى له وأن ما يبقى عنده من أموال فمرده إلى الورثة غالباً ، وكذلك ما ينفقه الإنسان في المباحات من غير استعانة به على طاعة الله فهو يذهب ولا يبقى ، وقد ثبت عن عائشة – رضي الله عنها – أنهم ذبحوا شاة ، فقال النبي ... ما بقي منها ؟ قالت : ما بقي منها إلا كتفها . فقال النبي ... : « بقي كلها غير كتفها »[(٢)]، فأكثر هذه الشاة قد بقي حقيقة ، لأنه تصدِّق

٣٢٠/٦ ، والطبراني (٣٤٠/١٨) ، وأبو يعلى كما في المطالب العالية (٢٣٨٥) ، والحاكم ٦١٢/٣ ، وابن عبدالبر في التمهيد ٢١٣/٤ من طرق عن الحسن عن قيس ، وسنده صحيح . وقال في الإصابة في ترجمة قيس : « روى ابن سعد بسند حسن إلى الحسن عن قيس ... فذكره » انتهى بتصرف . وينظر صحيح الأدب المفرد ص٣٦٠ . وينظر في شرح هذا الحديث : فضل ا÷ الصمد ٤١٠/٢ – ٤١٢ .

(١) صحيح البخاري (٦٦٣٨) ، وصحيح مسلم (٩٩٠) .

(٢) رواه الإمام أحمد ٥٠/٦ ، والترمذي (٢٤٧٠) ، وصححه الترمذي ، وهو كما =

به . وقد روى البخاري عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله … : ‹ أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه . قال : ‹ فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر ›[١] .

٣ û تحريم النياحة على الميت ، والنياحة هي البكاء مع صوت مرتفع ورنة وندب ، والندب : تعداد محاسن الميت ، مع مناداته بحرف ‹ وا › ، مثل ‹ واجبلاه › .

٤ û أنه يجب أن يولَّى على الناس خيارهم ، ويحرم أن يولَّى غير الأكفاء .

* * *

قال . وينظر الصحيحة (٢٥٤٤) .

(١) صحيح البخاري (٦٤٤٢) .

الدرس الخامس والستون

أخبار إسلام الأشعريين وقدوم وفدهم

١٠٠ – عن جبير بن مطعم – رضي الله عنه – قال : بينا نحن مع رسول الله ... بطريق مكة إذ قال : « يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب[١] ، هم خيار من في الأرض » ، فقال رجل من الأنصار : ولا نحن يا رسول الله ؟ فسكت ، قال : ولا نحن يا رسول الله ؟ فسكت ، قال : ولا نحن يا رسول الله ؟ فقال في الثالثة كلمة ضعيفة[٢] « إلا أنتم »[٣] .

١٠١ – وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ... قال : « أتاكم أهل اليمن ، وهم أرق أفئدة ، وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم » رواه البخاري ومسلم[٤] .

١٠٢ – وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ... : « يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوباً » ، قال : فقدم الأشعريون ، فيهم أبو موسى الأشعري ، فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون :

غداً نلقى الأحبّه — محمداً وحزبه[٥]

---

(١) في بعض ألفاظ هذا الحديث : « كقطع السحاب » ، والمعنى : جماعات مزدحمة كقطع السحاب .

(٢) أي خفض بها صوته ... .

(٣) رواه الطيالسي (٩٤٥) ، وأحمد (١٦٧٥٨، ١٦٧٧٩) ، وابن أبي شيبة ١٨٣/١٢، ١٨٤ وسنده حسن ، وقال شيخنا عبدالعزيز بن باز في بعض دروسه إسناده لا بأس به .

(٤) صحيح البخاري : المغازي : باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٤٣٨٨) ، وصحيح مسلم : الإيمان (٥٢) .

(٥) رواه الإمام أحمد (١٢٠٢٦) ، وابن أبي شيبة في الفضائل ١٢٢/١٢ ، وأبو يعلى (٣٨٤٥) ، وسنده صحيح ، رجاله رجال الصحيحين ، ورواه ابن سعد ٣٨٤/١ بأسانيد مرسلة .

الفوائد والعبر :

١ û فضل أهل اليمن .

٢ û أن تفاضل الناس إنما يكون بالإيمان ، فمن كان أتقى لله تعالى كانت منزلته عند الله أعلى ، كما قال تعالى :

{ 4 öNä39s)ø?r& «!$# y%‰YÏã ö/ä3tBu•ò2r& ¨bÎ) }
[الحجرات: ١٣] .

وإذا اجتمع مع الإيمان حكمة – وهي وضع الشيء في موضعه – ارتفعت منزلة العبد عند الله تعالى ، ولهذا كاد أهل اليمن لما جمعوا بين الإيمان والحكمة أن يبلغوا منزلة الأنصار ، مع ما للأنصار من السبق إلى الإسلام ونصرة للإسلام والمسلمين بالأنفس والأموال .

٣ û أن المجالسة والمخالطة لها تأثير على المجالس والمخالط ، حتى أن البهائم لها تأثير على من يرعاها ويتعاهدها ، فالإبل لغلظتها وضخامة خلقها أثرت في طباع من يتعامل معها الفخر والخيلاء ، والغنم لصغر خلقها وهدوء طبعها أثرت فيمن يتعامل معها السكينة والوقار ، وقد روي عن أبي هريرة عن النبي ... أن الغنم من دواب الجنة[١] .

٤ û في الرواية الأخيرة ما يدل على جواز الرجز – وهو انشاد الشعر مع رفع الصوت – ، وقد ثبت عن النبي ... وعن بعض الصحابة أنهم كانوا يرتجزون الشعر ويرفعون به أصواتهم[٢] ، فلا حرج في مثل هذا وبالأخص عند الحاجة إلى ذلك ، كالاستعانة به على العمل الشاق والسفر ونحو ذلك ، ولا بأس أن يقوله جماعة كما هو ظاهر هذه الرواية ، لكن ينبغي الحذر من أن يكون مشابهاً للغناء المحرم ، أو أن يُستكثَرَ

---

(١) رواه البيهقي ٤٤٩/٢ ، والخطيب ٤٣٢/٧ وصححه في السلسلة الصحيحة (١١٢٨) ، ورواه مالك في الموطأ ٩٣٣/٢ عن أبي هريرة موقوفاً ، وإسناده صحيح ، وله حكم الرفع .

(٢) ينظر صحيح البخاري مع الفتح : مناقب الأنصار ٢٤٧/٧ ، والمغازي ٤٦٣/٧ – ٤٦٥ ، والأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء ٥٣٧/١٠ – ٥٤١ ، والتمني ٢٢٢/١٣ .

منه[١] ، لأنه حينئذ يتسبب في أبعاد المستكثر منه عن قراءة القرآن[٢] ، ويحرم أن يصحبه آلة لهو كدف أو غيره[٣] .

(١) ينظر في جواز ارتجاز جماعة الشعر بهذه الضوابط : رسالة « الصحوة الإسلامية » من فتاوى شيخنا محمد بن عثيمين (جمع علي أبو لوز ص١٣٦، ١٣٧، رقم ١٦) .
(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء ص٤٨٣ : « من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن ، حتى ربما كرهه » ، وينظر المرجع السابق .
(٣) ينظر رسالة « البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد » تأليف عبدا÷ السليماني .

الدرس السادس والستون

قصة إسلام ضمام بن ثعلبة وقومه بني سعد بن بكر

١٠٣ – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ... ، فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ، ثم عقله ، ثم دخل المسجد ، ورسول الله ... جالس في أصحابه ، وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غديرتين[1] ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ... في أصحابه فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله ... : « أنا ابن عبد المطلب » ، قال : محمد ؟ قال : « نعم » ، فقال : ابن عبد المطلب إني سائلك ومغلظ في المسألة فلا تجدن في نفسك ، قال : « لا أجد في نفسي فسل ما بدا لك » ، قال : أنشدك الله إلاهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله بعثك إلينا رسولاً ؟ قال : « نعم » .

قال : أنشدك الله إلاهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعد آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدونها معه ؟ قال : « اللهم نعم » .

قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة ، والصيام ، والحج وشرائع الإسلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ... وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص .

قال : ثم انصرف راجعاً إلى بعيره ، فقال رسول الله ... حين ولى : « إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة » ، قال : فأتى إلى بعيره ، فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن

(١) الجلد : القوي . ومعنى (أشعر) : كثير الشعر . والغديرة هي : الشعر المظفور الذي ينزل على الصدر ونحوه ، وتسمى (عقيصة) و(ذؤابة) . ينظر لسان العرب (مادة : غدر) .

قال : بئست اللات والعزى ، قالوا : مه يا ضمام[١] ، اتق البرص والجذام ، اتق الجنون .

قال ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله – عز وجل – قد بعث رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه ، قال فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً ، قال : يقول ابن عباس رضي الله عنهما : (فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة)[٢] .

الفوائد والعبر :

١ û ينبغي للداعية أن يتحلى بالصبر والتحمل ، فيصبر على ما يلاقيه من أذى الناس أو غلظتهم ، كما قال تعالى :

{ ÇÌÈ ÎŽö9¢Á9$$Î/ (#öq|¹#uqs?ur Èd,ysø9$$Î/ (#öq|¹#uqs?ur } [العصر: ٣] .

٢ û أن حسن خلق الداعية وتحمله لأذى المدعوين سبب في قبولهم لدعوته .

٣ û يجب على المسلم أن يعمل بجميع شرائع الإسلام وواجباته وأن يجتنب جميع ما حرمه الله ونهى عنه ، وأن لا يعمل ما يوافق هواه ويترك مالا يوافقه ، فإن هذا من أتباع الهوى قال تعالى :

{ çm1uqyd ¼çmyg»s9Î) x‹sƒª B$# Ç`tB ƒuäu•sùr&ﷲ|M 5Où=Ïæ 4’n?tã ª!$# ã&©#|Êr&ur } [الجاثية: ٢٣] .

٤ û أنه ينبغي للمسلم أن يدعو إلى الإسلام وينهى عن الشرك

(١) أي اسكت .

(٢) رواه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام ٥٧٣/٤، ٥٧٤ ، وأحمد (٢٣٨٢) ، والدارمي (٦٥٨) ، وأبو داود (٤٨٧) ، والحاكم ٥٤/٣، ٥٥ وإسناده قريب من الحسن . وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه أيضاً أحمد شاكر والألباني ، ولشطره الأول إلى قوله « يدخل الجنة » شاهد من حديث أنس عند البخاري (٦٣) ، ومسلم (١٢) .

والضلال بقدر استطاعته ومعرفته ، ولو كان من حديثي الإسلام أو قليلي العلم إذا كان على بصيرة فيما يدعو إليه ، كما قال تعالى :

4 «!$# ’n<Î) (#ûqãã ôŠr& þ’Ì?ŠÎ6y™ ¾ÍnÉ‹»yd ö@è% }
{ (ÓÉ_yèt6¨?$# Ç`tBur O$tRr& >ouŽ•ÅÁt/ 4’n?tã
[يوسف: ١٠٨] .

فجميع من اتبع النبي ... هو من الدعاة إلى الله تعالى[١] .

٥ û في هذا الحديث ما يدل على سفه الكفار وهلعهم، حيث يخافون من أحجار لا تضر ولا تنفع ، وهذا الخوف من الشرك الأكبر ، وهو أن يخاف العبد من مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، ومثله أن يخاف الإنسان من ميت أن يصيبه بأذى .

٦ û أن اتباع الكتاب والسنة سبب للنجاة من شقاء الدنيا والآخرة .

* * *

---

(١) ينظر فتوى الشيخ محمد بن عثيمين ضمن (فتاوى مترجمة) في مجلة الدعوة العدد ١٧٩٤ في ٨ ربيع الأول ١٤٢٢هـ ، ص٤٣ .

الدرس السابع والستون

خبر إسلام معاوية بن حيدة القشيري

١٠٤ – عن بهز بن حكيم بن معاويه ، عن أبيه ، عن جده – رضي الله عنه – قال : أتيت النبي ... حين أتيته فقلت : والله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد أولاء أن لا آتيك ولا آتي دينك – وجمع بهز بين كفيه – وقد جئت أمراً لا أعقل شيئاً إلا ما علمني الله تبارك وتعالى ورسوله[١] ، وإني أسألك بوجه الله بم بعثك الله إلينا ؟ ، قال : ﴿ الإسلام ﴾ قلت : وما آيات الإسلام ؟ قال : ﴿ أن تقول أسلمت وجهي لله ، وتخليت[٢] ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، كل مسلم على المسلم محرم أخوان نصيران[٣] ، لا يقبل الله من مشرك أشرك بعدما أسلم عملاً ، وتفارق المشركين إلى المسلمين ، مالي أمسك بحجزكم عن النار[٤] ، ألا إن ربي عز وجل داعيَّ، وإنه سائلي : هل بلغتَ عبادي ؟ وإني قائل : رب إني قد بلغتهم ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، ثم إنكم مدعوون مفدمة أفواهكم بالفدام ؛ ثم إن أول ما يبين عن أحدكم لفخذه وكفه[٥] . قلت : يا نبي الله هذا ديننا ؟ قال : ﴿ هذا دينكم ،

(١) يقول – رضي ÷ عنه – إنه كان حلف لما كان مشركاً أكثر من عدد أصابع يديه الاثنتين أن لا يُسْلِمَ وأن لا يأتي إلى النبي ... ، ثم إنه جاء إلى النبي ... يريد أن يسلم ويعرف أحكام الإسلام وقد يكون أسلم قبل وصوله إلى النبي ... ولكنه لا يعلم عن هذا الدين إلا القليل ، فيريد أن يتعلم شرائع هذا الدين .

(٢) فلابد من الانقياد لهذا الدين ، ولابد أيضاً من التخلي عن ما يناقضه من الشرك والكفر . وفي الرواية الأخرى : ﴿ قال : وما الإسلام ؟ قال : أن يسلم قلبك ÷ تعالى ، وأن توجه وجهك إلى ÷ تعالى ﴾ .

(٣) أي أنه يحرم على المسلم أن يظلم أخاه المسلم في نفس أو عرض أو مال ، لأنهما أخوان يجب أن يتناصرا .

(٤) أي أن النبي ... ينهى أمته عن كل ما هو سبب في دخول النار من المعاصي .

(٥) قال في النهاية مادة ﴿ فدم ﴾ : ﴿ الفدام ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه : أي أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم ، فشبه ذلك بالفدام ﴾ .

وأينما تحسن يكفيك »[1] .

الفوائد والعبر :

١ û أنه يجب على المرء أن يتعلم عقيدة الإسلام وما يحتاج إليه في حياته من الأحكام الشرعية ، وذلك بسؤال أهل العلم كما فعل هذا الصحابي أو بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ... وكتب أهل العلم إن كان عنده قدرة على الرجوع إليها وفهمها فهماً صحيحاً .

٢ û أن من أسلم وهو في بلاد الكفار ولا يستطيع إظهار شعائر دينه من صلاة أو غيرها يجب عليه أن ينتقل إلى بلاد المسلمين ، أما من كان يستطيع إظهار شعائر دينه فيجوز له أن يقيم في بلده ويستحب له الانتقال إلى بلاد المسلمين .

٣ û أنه يجب على المسلم أن يوالي أخاه المسلم في أي مكان أو زمان فيحبه ويناصره ويسعى في مساعدته عند حاجته إلى المساعدة ويتألم لما يصيبه من الضرر ويفرح لفرحه .

٤ û أن المرتد عن دينه لا يقبل منه عمل، بل وتحبط جميع أعماله السابقه .

٥ û حرص النبي ... على كل ما فيه جلب الخير ودفع الضرر عن أمته ، وقد روى البخاري ومسلم عن النبي ... أنه قال : « إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يحجزهن ويغلبنه ، فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار : هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني ، تقحمون فيها »[2] .

٦ û أن المعصية سواء كانت من الشرك أو مما دونه سبب لدخول النار ، وأن العاصي يقذف بنفسه في نار جهنم ويحرم نفسه من دخول الجنة ، وقد روى البخاري عن النبي ... أنه قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » ، قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ فقال النبي ... : «

---

(١) رواه الإمام أحمد ٥/٤، ٥ بإسناد حسن . ورواه أيضاً ٥/٣ بنحوه بإسناد حسن .

(٢) صحيح البخاري : الرقاق (٦٤٨٣) ، وصحيح مسلم : الفضائل (٢٢٨٤) .

من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى))[١] .

٧ û أن جوارح العبد تشهد عليه يوم القيامة بما فعله من معصية الله تعالى ، كما قال الله تعالى :

öNÎköŽn=tã y‰Îky- $ydrâä!%y` $tB #sŒÎ) #Ó®Lxm } (#qçR%x. $yJÎ/ NèdßŠqè=ã_ur öNèdã•»|Áö/r&ur öNßgãèôJy™ öN›?‰Îgx© zNÏ9 öNÏdÏŠqè=ßÚÏ9 (#qä9$s%ur ÇËÉÈ ètƒ tbqè=yJ ¨@ä. t,sÜRr& ü“Ï%©!$# ª!$# $uZs)sÜRr& (#ûqä9$s% ($sYø‹n=tã Ïmø‹s9Î)ur ;o§•tB tA¨rr& öNä3s)n=s{ uqèdur &äóÓx« ÇËÊÈ tbqãèy_ö•è? { [فصلت: ٢٠، ٢١] .

ولهذا يجب على المسلم أن يجاهد نفسه في البعد عن معصية الله تعالى.

---

(١) صحيح البخاري : الاعتصام (٧٢٨٠) .

الدرس الثامن والستون

إسلام بني زهير بن أقيش وقدوم وفدهم[١]

١٠٥ – عن يزيد بن عبدالله بن الشخير قال : بينا نحن بهذا المربد[٢] إذ أتى علينا أعرابي أشعث الرأس ، معه قطعة أديم ، أو قطعة جراب[٣] . فقلنا : كأنَّ هذا ليس من أهل البلد . فقال أجل ، هذا كتاب كتبه لي رسول الله … . فقال القوم : هات ، فأخذته فقرأته ، فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي رسول الله … لبني زهير بن أقيش – وهم حي من عكل – إنكم إن أقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم من الغنائم الخمس وسهم النبي … والصفي فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله … » .

فقال القوم : هات أصلحك الله ، حدثنا ما سمعت من رسول الله … يقول ، قال سمعت رسول الله … يقول : « صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدر »[٤]، فقال القوم : أنت سمعت هذا من رسول الله … يقوله . فقال : لا أراكم تخافون أن أكون أكذب على رسولالله … ، لا والله لا أحدثكم حديثاً اليوم[٥] . ثم أهوى إلى الصحيفة فانتزعها ثم انصاع[٦] مدبراً[١] .

---

(١) ينظر ترجمة النمر بن تولب في الإصابة ٥٤٣/٣ .
(٢) قال في الفتح (شرح الحديث ٣٩٠٦) ٢٤٦/٧ : « مربد بكسر الميم وسكون الراء وفتح الموحدة هو الموضع الذي يجفف فيه التمر . وقال الأصمعي : المربد كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم . وبه سمي مربد البصرة ، لأنه كان موضع سوق الإبل » .
(٣) الأديم : الجلد ، والجراب : وعاء من جلد .
(٤) أي يذهب ما في القلب من غش ووساوس وغل وحقد وعداوة . ينظر لسان العرب (مادة : وحر) .
(٥) أي أنه أخذ عليهم – رضي ÷ عنه – عدم تصديقهم لروايته ، وتشككهم في صحتها ، فعاقبهم بأن لا يحدثهم حديثاً آخر في هذا اليوم .
(٦) أي أنه أخذ هذه الصحيفة ، ثم كرَّ راجعاً وتركهم .

الفوائد والعبر :

١ û وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .
٢ û أنه يحرم على المسلم السفر للإقامة في بلاد المشركين ، كما يحرم عليه السفر من أجل السياحة ونحوها في بلاد المشركين .
٣ û وجوب أداء الحقوق الماليه إلى أصحابها ، ومن ذلك أداء خمس الغنيمة .
٤ û أن المسلم إذا أدى الواجبات وابتعد عن المحرمات حرم التعرض له بأي أذى .
٥ û أن صيام رمضان – الذي هو شهر الصبر – وصيام التطوع وبالأخص صيام ثلاثة أيام من كل شهر له فوائد عديدة ، ومنها أن هذا الصيام يزيل ما قد يكون في صدر المسلم من غش وحقد وعداوة لإخوانه المسلمين ومن وساوس ونحوها .
٦ û أن من آداب المحادثة والاستماع أن لا يشكك الإنسان في الكلام الذي يُلقى عليه لمجرد استغرابه ، ولو فرض أنه حصل لديه شيء من عدم الاقتناع بهذا الكلام فلا ينبغي للسامع إيذاء المتكلم بالتشكيك في صحة كلامه الذي هو يجزم بصحته ، إلا أن يكون في هذا الكلام كذب ظاهر أو أي كلام محرم ، فلا حرج من بيان ذلك بالتي هي أحسن .

*   *   *

(١) رواه الإمام أحمد (٢٠٧٣٧ – ٢٠٧٤٠) ، ويونس بن بكير في زوائد المغازي (٤٥٢) ، وأبو داود (٢٩٩٩) ، ومحمد بن سلام في طبقات الشعراء ص٦٨ ، وابن حبان (٦٥٥٧) وإسناده صحيح .

الدرس التاسع والستون
قصة إسلام صفوان بن قدامة

١٠٦ – عن عبدالرحمن بن صفوان بن قدامة قال : هاجر أبي صفوان إلى النبي ... وهو بالمدينة ، فبايعه على الإسلام ، فمد النبي ... إليه يده ، فمسح عليها ، فقال له صفوان : إني أحبك يا رسول الله ، فقال له النبي ... : « المرء مع من أحب » فكان صفوان بن قدامة حين أتى دار الهجرة إلى النبي ... وهو بالمدينة دعا قومه وبني أخيه ليخرجوا معه ، فأبوا عليه ، فخرج وتركهم ، وخرج معه بابنيه عبدالرحمن وعبدالله ، وكانت أسماؤهم في الجاهلية عبد العزى وعبد نهم ، فغير أسماءهم النبي ... ، فقال في ذلك ابن أخيه نصر بن فلان بن قدامة في خروج صفوان ووحشتهم لفراقه :

تحمل صفوان وأصبح غاديا ... بأبنائه عمداً وخلى المواليا[١]
فأصبحتُ محتار الأمر مفنداً ... وأصبح صفوان بيثرب ثاويا[٢]
طِلابَ الذي يبقى وآثرتُ غيره ... فشتان ما يفنى وما كان باقيا[٣]
بإتيانه دار الرسول محمد ... مجيباً له إذ جاء بالحق هاديا
فياليتني يوم الحنين اتبعتهم ... قضى الله في الأشياء ما كان قاضيا

فأجابه صفوان ، فقال :

ومن مبلغ نصراً رسالة عاتب ... بأنك بالتقصير أصبحت راضيا
مقيماً على أركان هدلق للهوى ... وأنك مغرور تمنى الأمانيا

(١) الموالي : الأقارب .
(٢) مفنداً : أي ذا رأي ضعيف . ينظر : تهذيب اللغة ١٣٩/١٤ ، وثاوياً : مقيماً .
(٣) يعني : أن عمه صفوان طلب الذي يبقى للعبد وينفعه في آخرته ، وهو المبادرة إلى الدخول في الإسلام ، وأنه هو آثر الدنيا الفانية بالبقاء عند المال والأهل .

فسامِ قسيمات الأمور وعادِها   قضى الله في الأشياء ما كان قاضيا

وأقام صفوان بالمدينة حتى مات بها ، فقال عبدالرحمن في موت أبيه صفوان :

وأنا ابن صفوان الذي سبقت له   عند النبي سوابق الإسلام

صلى الإله على النبي وآله   وثنى عليه بعدها بسلام

فأتى النبي مبايعاً ومهاجراً   بابنيه مختاراً لطول مقام[1]

الفوائد والعبر :

١ û مشروعية التبرك بجسد النبي … ، وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام ، فلا يجوز أن تجعل هذه الخصيصة لأحد سواه ، ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة أو عن أحد من السلف أنهم تبركوا بجسد أحد سوى النبي … .

٢ û أن من أحب الأنبياء محبة صحيحه وعلامتها اتباعهم وتقديم أقوالهم على أقوال من سواهم فإنه يحشر معهم يوم القيامة ، ويكون معهم في جنات النعيم .

٣ û مشروعية تغيير الأسماء المذمومة إلى أسماء حسنة .

٤ û أن من بادر إلى فعل الخير يحصِّل من الأجور أكثر وأفضل مما يحصله من تأخر في ذلك .

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٤٠٠) ، وفي الأوسط والصغير كما في مجمع البحرين (٤٩٨٢) ، ومن طريقه أبو نعيم في المعرفة (٣٨٢٢) وإسناده محتمل للتحسين ، رجاله حديثهم لا ينزل عن درجة الحسن ، عدا موسى بن ميمون ، وهو قدري غال ، وظاهر كلام بعض الأئمة أن روايته مقبولة . ينظر : اللسان ١٣٣/٦ . وقال في المجمع ٣٦٥/٩: « فيه موسى بن ميمون ، وكان قدرياً ، وبقية رجاله وثقوا » ، وروى الجزء المرفوع منه أبو عوانة في صحيحه كما في الإصابة ١٨٣/٢، ١٨٤ من طريق آخر عن موسى عن أبيه عبدالرحمن عن صفوان به .

٥ û أن مقتضى العقل الصحيح إيثار الحياة الأخروية الباقية وما فيها من النعيم العظيم على الدنيا الحقيرة الفانية .

*   *   *

الدرس السبعون

أخبار إسلام حصين بن عبيد الخزاعي وابنه عمران

١٠٧ – عن عمران بن حصين – رضي الله عنهما – قال : جاء حصين إلى النبي ... قبل أن يسلم ، فقال : يا محمد كان عبد المطلب خيراً لقومه منك « كان يطعمهم الكبد والسنام ، وأنت تنحرهم . فقال له رسول الله ... ما شاء الله أن يقول ، ثم إن حصيناً قال : يا محمد ماذا تأمرني أن أقول ؟ قال : « قل اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ، وأسألك أن تعزم لي على أرشد أمري » .

قال : ثم إن حصيناً أسلم ، ثم أتى النبي ... فقال : إني كنت سألتك المرة الأولى ، وإني الآن أقول : ما تأمرني أن أقول ؟ قال : « قل : اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت ، وما أخطأت وما عمدت ، وما جهلت ، وما علمت »[1] .

١٠٨ – وعن عمران أيضاً قال : ما مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله ...[2].

الفوائد والعبر :

١ – في هذا الحديث ما يدل على ضلال الكفار وجهلهم ، فهذا حصين – رضي الله عنه – قبل إسلامه يجعل المشرك خيراً من أفضل البشر وهو رسول الله ... ، ويجعل من يطعم الناس وهو على ضلال في أعظم الأمور وهو الاعتقاد خير ممن كان على صراط مستقيم ، ويعيب أفضل

(١) رواه الإمام أحمد ٤٤٤/٤ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٩٣، ٩٩٤) ، والطحاوي في المشكل (٢٥٢٥) ، وابن حبان (٨٩٩) بإسناد صحيح ، رجاله رجال الصحيحين . وقد صححه الحافظ في الإصابة ٣٣٦/١ . ورواه الترمذي (٣٤٨٣) وفي سنده انقطاع .

(٢) رواه الإمام أحمد (١٩٩٤٣) ، وابن سعد ٢٨٧/٤ ، والحاكم ٤٨٧/٣ . وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

البشر بقتله للكفار مع أنه ... لم يقاتلهم إلا لمّا صدوا عن دين الله تعالى وحاربوا المؤمنين وآذوهم وقتلوا من قتلوا منهم .

٢ – أن نحر المشركين المحاربين – أي قتلهم – أمر مشروع ، ولهذا كان الأنبياء عليهم السلام يحاربونهم ويقتلونهم .

٣ – أن دعاء الله تعالى سلاح مهم قد عطله كثير من الناس .

٤ – أنه ينبغي للإنسان أن يدعو في كل حال من أحواله بالدعاء الذي يناسبه .

٥ – ينبغي للمسلم أن يرشد من استرشده إلى ما فيه خيره وفلاحه ، سواء أكان هذا المستشير مسلماً أم كافراً .

٦ – احترام الصحابة للنبي ... وتوقيرهم له وتعظيمهم له ، ولهذا لم يمس عمران بن حصين – رضي الله عنهما – فرجه – لا قبلاً ولا دبراً – بيمينه منذ بايع بها النبي ... .

* * *

الدرس الحادي والسبعون

إسلام بني عامر وبني أسد وقدوم وفديهما

١٠٩ – عن عبدالله بن الشخير – رضي الله عنه – أنه وفد إلى النبي ... في رهط بني عامر ، قال : فأتيناه ، فسلمنا عليه ، فقلنا : أنت ولينا ، وأنت سيدنا ، وأنت أطول علينا طَوْلاً[١] ، وأنت أفضلنا علينا فضلاً ، وأنت الجفنة الغراء[٢] . فقال النبي ... : « قولوا قولكم[٣] ، ولا يستجرَّنكم الشيطان »[٤] .

١١٠ – وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : وفد على النبي ... وفد بني أسد فتكلموا فأبانوا . فقالوا : يا رسول الله قاتلتك مضر كلها ولم نقاتلك ، ولسنا بأقلهم عدداً ولا أكلهم شوكة[٥] ، وصلنا رحمك[٦] ، فقال رسول الله ... لأبي بكر حيث سمع كلامهم : « أيتكلمون هكذا ؟ » قال : يا رسول الله ، إن فقههم لقليل ، وإن الشيطان لينطق على لسانهم ، قال ابن عباس : « ونزلت هذه الآية :

(#q– žw @è% ((#qßJn=ó™r& br&ﷲ y7ø‹n=tã tbq–YßJtƒ }
ö/ä3ø‹n=tæ •`ßJtƒ ª!$# È@t/ (/ä3yJ»n=ó™Î) ¥’n?tã YßJs?
ÇÊÐÈ tûüÏ%Ï‰»|¹ óOçFZä. bÎ) Ç`»yJƒM~Ï9 ö/ä31y‰yd br&ﷲ

(١) الطَّوْلُ : الفضل .

(٢) الجفنة : الإناء الذي يوضع فيه الطعام إذا كان من خشب ، والغراء : البيضاء ، أي أنها مملوءة بالشحم والدهن . وكانت العرب تقول للرجل الكريم الذي يطعم الناس الجفنة الغراء ، لأنه يطعم الناس فيها ، فسمي بها . ينظر : النهاية (مادة جفن) .

(٣) أي تكلموا بكلامكم الذي يحضركم ، ولا تتكلفوه .

(٤) رواه الإمام أحمد (١٦٣١١) ، وأبو داود (٤٨٠٦) بإسناد صحيح ، رجاله رجال الصحيحين ، عدا الصحابي ، فهو من رجال مسلم وحده .

(٥) مرادهم : لسنا من أضعفهم في حال الحرب ، ولا أقلهم رجالاً .

(٦) وذلك لأن بني أسد بن خزيمة من مضر ، والنبي ... من مضر .

﴿ [الحجرات: ١٧][1] .

الفوائد والعبر :

١ – التحذير من الغلو في المدح ، فإنه مما يدعو الشيطان إليه ، ومما يجر الناس إليه ، وذلك لأن من فتح باب الغلو لن يقف في الغالب عند حد حتى يقع في الشرك ، فيحرص عدو الله الشيطان على جر الناس إليه ليخرجهم من ملة الإسلام ، ليدخلوا النار معه ، ولهذا لما فتح بعضهم باب الغلو في مدح النبي … أوصلهم إلى الكفر والشرك ، فهذا مثلاً البوصيري يقول في بردته :

فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

فقد زعم أن النبي … قد تفضل بالدنيا وبالآخرة وأنه يعلم جميع ما في اللوح المحفوظ ، فماذا بقي لله تعالى ، وهذا كله غلو جر إليه الشيطان ، ولا دليل عليه لا من قرآن ولا سنة ، وهو معصية للنبي … الذي حذر أمته من الغلو فيه ، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري : ‹‹ لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله ››[2] ، وكما في الحديث الأول هنا ، وإذا كان هذا في حق النبي … فكيف بغيره من البشر ، فمن غلا في المدح فهذا دليل على نقص محبته لله تعالى وللنبي … ، كما قال تعالى :

‘ÏRqãèÎ7¨?$$sù ©!$# tbq™7Åsè? óOçFZä. bÎ) ö@è% ﴾
﴿ 3 ö/ä3t/qçRèŒ ö/ä3s9 ö•Ïÿøótƒur ª!$# ãNä3ö7Î6ósãƒ
[آل عمران: ٣١] .

فيجب على المسلم الذي يريد لنفسه السلامة أن يسير على منهج محمد

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٢٣٦٣) ، وأبو يعلى ٤/٢٥١ ، رقم (٣٣٦٣) ، والبزار كما في تفسير ابن كثير للآية (١٧) من الحجرات ، والمقدسي في المختارة ١٠/٣٤٥، ٣٤٦ وإسناده صحيح .
وله شواهد كثيرة متصلة ومرسلة ، تنظر في الطبقات الكبرى ١/٢٩٢ ، الدر المنثور ٧/٥٨٥ ، وقد حسن السيوطي بعضها .
(٢) صحيح البخاري (٣٤٥٥) .

بن عبدالله رسول رب العالمين ... ، والذي هو طريق السلامة والنجاة والصراط المستقيم ، وليحذر من الغلو الذي هو طريق الشيطان ، والله المستعان .

٢ – أن الله تعالى هو المتفضل على جميع الخلق بجميع ما هم فيه من النعم ، ومن ذلك نعمة الهداية لدين الإسلام التي هي أعظم النعم ، والله تعالى غني عن الخلق ، ومن اهتدى منهم فإنما يهتدي لنفسه ، فهو قد سلك الذي يؤدي إلى سعادته في الدنيا والآخرة بعد توفيق الله تعالى ، والله تعالى غني عن العباد وعن طاعاتهم ، كما في الحديث القدسي : « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً » رواه مسلم[1] ، ولهذا لا يجوز لأحد أن يمتن على الله بإسلامه أو طاعته ، بل لله المنة عليه أن هداه ووفقه لما فيه خيره وسعادته ، فليشكر الله تعالى على ذلك .

٣ – وجوب إنكار المنكر على من رآه أو سمعه ، ولهذا أنكر النبي ... على كل من هذين الوفدين ما وقع فيه كل منهما من المنكر .

* * *

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧) .

الدرس الثاني والسبعون
خبر إسلام مزينة وقدوم وفدهم

١١١ – عن النعمان بن مقرن – رضي الله عنه – قال : قدمنا على رسول الله ... في أربعمائة من مزينة ، فأمرنا رسول الله ... بأمره ، فقال بعض القوم : يا رسول الله مالنا طعام نتزوده ، فقال النبي ... لعمر : « زوِّدهم » ، فقال : ما عندي إلا فاضلة من تمر ، وما أراها تغني عنهم شيئاً ، فقال : « انطلق فزودهم » ، فانطلق بنا إلى عِلِّيَّة له[1] ، فإذا فيها تمر مثل البكر الأورق[2] ، فقال : خذوا ، فأخذ القوم حاجتهم ، قال : وكنت أنا في آخر القوم ، فالتفت وما أفقد موضع تمرة ، وقد احتمل منه أربعمائة رجل[3] .

١١٢ – وعن قرة بن إياس المزني – رضي الله عنه – قال : أتيت رسول الله ... في رهط من مزينة ، فبايعناه ، وإن قميصه لمطلق الأزرار ، قال : فبايعته ، ثم أدخلت يدي في جيب قميصه ، فمسست الخاتم ، قال عروة : فما رأيت معاوية ولا ابنه قط إلا مطلقي أزرارهما في شتاء ولا حر ، ولا يزرران أزرارهما أبدا[4] .

الفوائد والعبر :

١ – أنه لا حرج على المسلم إذا كان محتاجاً أن يطلب من قادر أن يساعده ، وبالأخص إذا كان الطلب من ولي أمر المسلمين ومن بيت مال

---

(١) وهي الغرفة التي تكون في سطح المنزل .
(٢) أي مثل الجمل الصغير ، والأورق هو الأسمر .
(٣) رواه الإمام أحمد (٢٣٧٤٦) بإسناد فيه ضعف يسير ، ورواه البيهقي في الدلائل ٥/٣٦٥ بإسناد فيه ضعف، فهو حسن بمجموع الطريقين . وله شاهد من حديث دكين ، رواه الإمام أحمد (١٧٥٧٦) وسنده صحيح .
(٤) رواه الإمام أحمد (١٥٥٨١، ١٦٢٤٣) ، وأبو داود (٤٠٨٢) وغيرهما . وسنده صحيح .

المسلمين ، وكذلك لا حرج عليه أن يأخذما يعطى من بيت مال المسلمين إذا كان أعطي بوجه حق ولو كان غير محتاج لذلك ، لكن لا يجوز لغير المحتاج أن يسأل الناس من أموالهم ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال ﴿ من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً ، فليستقل ، أو ليستكثر ﴾ رواه مسلم[١] .

٢ – في الحديث الأول ما يدل على قوة إيمان عمر – رضي الله عنه – وعظم منزلته عند النبي ... ، حيث أمره الرسول ... أن يزودهم من ماله الذي هو طعامه وطعام عياله ، ثم إنه امتثل أمر النبي ... لما كرره عليه مع علمه بأن هذا التمر لن يكفي هذا العدد الكثير من الناس لولا فضل الله تعالى بالبركة فيه .

٣ – في الحديث الأول أيضاً معجزة لنبينا محمد ... وكرامة لعمر – رضي الله عنه – حيث تزود هذا العدد الكثير من الناس من هذا التمر القليل ، ومع ذلك لم ينقص منه ولا تمرة واحدة .

٤ – في الحديث الثاني أيضاً دليل من دلائل نبوته ... ، وهو وجود الخاتم في ظهره عليه الصلاة والسلام ، وهو ما أخبر به الأنبياء السابقون كما في قصة سلمان وغيرها .

٥ – في هذا الحديث كذلك ما يدل على حرص الصحابة على الاقتداء بالنبي ... حتى في الأمور التي ليست من التشريع ، كأمور اللباس ونحوها ، وهذا من محبتهم للنبي ... ، فأحدهم يحب أن تكون هيئته كهيئة النبي ... .

* * *

---

(١) صحيح مسلم (١٠٤١) .

الدرس الثالث والسبعون

إسلام بني حنيفة وقدوم وفدهم وخبر مسيلمة الكذاب

١١٣ – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ... ، فجعل يقول : إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته ، وقدمها في بشر كثير من قومه[١] ، فأقبل إليه رسول الله ... ومعه ثابت بن قيس بن شماس – وفي يد رسول الله ... قطعة جريد – حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال : ﴿ لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإني لأراك الذي أُريتُ فيه ما رأيتُ ، وهذا ثابت يجيبك عني ﴾ ، ثم انصرف عنه .

قال ابن عباس : فسألت عن قول رسول الله ... : ﴿ وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت ﴾ ، فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ... قال : ﴿ بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب ، فأهمني شأنهما ، فأوحي إليَّ في المنام أن انفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي : أحدهما العنسي ، والآخر مسيلمة ﴾ رواه البخاري[٢] .

١١٤ – وعن أبي رجاء العطاردي – رحمه الله – قال : كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه ، وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب[٣] ، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ، ثم طفنا به ، فإذا دخل شهر رجب قلنا : مُنَصِّل الأسِنَّة ، فلا ندع رمحاً فيه حديدة ولا سهماً فيه حديدة إلا نزعناه وألقيناه شهر رجب[٤] ، قال : وكنت يوم

---

(١) أي أن مسيلمة لما قدم المدينة النبوية قدمها في ضمن أناس كثير من قبيلته بني حنيفة .

(٢) صحيح البخاري : المغازي : باب وفد بني حنيفة (٤٣٧٣) .

(٣) الجثوة : القطعة من التراب تجمع فتصير كوما . ينظر الفتح ٩١/٨ .

(٤) أي أنهم في الجاهلية إذا جاء شهر رجب تركوا الحرب ، لأنه شهر حرام ، بل إنهم يخلعون أسنة الرماح وحديد السهام في هذا الشهر تعبيراً عن تركهم للحرب =

بعث النبي ... غلاماً أرعى الإبل على أهلي ، فلما سمعنا بخروجه فررنا إلى النار ، إلى مسيلمة الكذاب . رواه البخاري[١] .

الفوائد والعبر :

١ – أن رؤيا الأنبياء حق ، فهذا نبينا محمد ... رأى خروج هذين الكذابين ورأى أنه سيقضى عليهما ، فوقع ما رآه ... .
٢ – أن الدجاجلة من البشر كثير ، ولذلك ينبغي للمسلم أن يحذر من أتباع كل مدع لدعوى ولو رأى لديه ما يدعي أنه من الكرامات أو غيرها ، فلا يقبل قول أحد من البشر حتى يعرض حاله وقوله على كتاب الله وسنة رسوله ... ، فما وافقهما فهو الحق ، وما خالفهما ولو قيد شبر فهو الباطل.
٣ – سفاهة الكفار ، حيث يعبدون مالا ينفع ولا يضر ، فمنهم من يعبد الأشجار والأحجار والتراب ، ومنهم من يعبد القبور والموتى الذين لم يستطيعوا دفع الموت عن أنفسهم، فيعبدون مخلوقاً ضعيفاً محتاجاً إلى عون الله ورحمته ، ويتركون عبادة الخلاق الرزاق الكريم رب كل شيء ومليكه ومصرفه .
٤ – أن الاهتمام بشهر صفر وإحداث عبادات فيه هو من عمل أهل الجاهلية ، وقد نهي أهل الإسلام عن التشبه بهم ، فلا يجوز إحداث عبادة معينة يخص بها هذا الشهر لا صلاة ولا صياماً ولا عمرة ولا صدقة ولا غيرها .

* * *

فيه . وينظر المرجع السابق .
(١) صحيح البخاري : الموضع السابق (٤٣٧٦) .

الدرس الرابع والسبعون

خبر إسلام جماعة من بني حنيفة ورجل من بني ضبيعة ووفادتهم

١١٥ – عن طلق بن علي الحنفي اليمامي – رضي الله عنه – قال : خرجنا ستة وفداً إلى رسول الله ... ، خمسة من بني حنيفة، ورجل من بني ضبيعة بن ربيعة ، حتى قدمنا على نبي الله ، ... ، فبايعناه وصلينا معه ، وأخبرناه أن بأرضنا بِيعة لنا[١] ، واستوهبناه من فضل طهوره[٢] ، فدعا بماء فتوضأ منه وتمضمض ، ثم صبه في إداوةٍ[٣] ، ثم قال : « اذهبوا بهذا الماء ، فإذا قدمتم بلدكم ، فاكسروا بيعتكم ، ثم انضحوا مكانها من هذا الماء[٤] ، واتخذوا مكانها مسجداً » . فقلنا : يا رسول الله ، البلد بعيد ، والماء ينشف[٥] ، قال : « فأمدوه من الماء ، فإنه لا يزيده إلا طيباً »[٦] . فخرجنا ، فتشاححنا على حمل الإداوة أينا يحملها[٧] ، فجعلها رسول الله ... نوباً لكل رجل منا يوماً وليلة ، فخرجنا بها حتى قدمنا بلدنا ، فكسرنا بيعتنا ونضحنا مكانها بذلك الماء ، واتخذناها مسجداً ، وراهب ذلك القوم رجل من طيء[٨] ، فنادينا فيه بالأذان[١] ، فقال الراهب : دعوة حق ، ثم

(١) البيعة بكسر الباء : معبد النصارى أو اليهود . ينظر حاشية السندي على سنن النسائي ٣٦٩/٢ .
(٢) أي طلبوا منه أن يهب لهم باقي وضوئه ... ، ليتبركوا به .
(٣) الإداوة : بالكسر إناء من جلد يحمل فيه الماء ، كالسطيحة ونحوها . والسطيحة : القربة الكبيرة . ينظر لسان العرب (مادة : أدا) .
(٤) أي رشوا مكان هذه البيعة من هذا الماء .
(٥) المراد أنهم لو تركوا هذا الماء في الإداوة لنشف وانتهى بسبب طول المدة .
(٦) قال السندي : (الظاهر أن المراد أن فضل الطهور لا يزيد الماء الزائد إلا طيباً ، فيصير الكل طيباً ، والعكس غير مناسب فليتأمل) .
(٧) أي أن كل واحد منهم يريد أن يحملها .
(٨) أي أن أهل هذا المكان كان فيهم راهب من النصارى – وهو العابد منهم – ، وكان هذا الراهب من قبيلة طيء .

استقبل تلعة من تلاعنا[٢] ، فهرب فلم يُرَ بعدُ[٣] .

الفوائد والعبر :

١ – مشروعية التبرك بفضل طهور النبي ... ، ومثله جسده وآثاره عليه الصلاة والسلام فيشرع التبرك بها كلها ، وهذا التبرك خاص بالنبي ... ، فلا يجوز أن يجعل أحد من أمته في منزلته ، فلا يجوز أن يتبرك بآثار أو جسد أو فضل طهور غيره من البشر ، ولهذا لم يتبرك الصحابة ولا غيرهم من سلف هذه الأمة بأحدٍ من العشرة المبشرين بالجنة ، ولا بأحد من أهل البيت ولا غيرهم ، وهذا إجماع منهم على عدم مشروعيته .

٢ – أن أماكن عبادات المشركين لا يشرع للمسلمين أن يجعلوها مساجد إلا بعد هدمها ، ثم بناء مساجد في أماكنها .

٣ – حرص الصحابة على الخير ، وتنافسهم فيه ، وضد حالهم حال كثير من الناس اليوم ، فتجدهم يتنافسون في حطام الدنيا ويحرصون عليه أكثر من حرصهم على طاعة الله .

٤ – عداوة الكفار للإسلام وبغضهم له ولأهله ، فهذا الراهب النصراني مع اعترافه بأن الأذان دعوة حق لم يتحمل البقاء في هذا الموضع الذي غلب فيه الإسلام وأهله ، فهرب من هذا المكان ولم يرجع إليه بعد ذلك ، وربما أنه هلك بسبب هروبه بدون زاد أو راحلة ، كما هو ظاهر هذه الرواية .

* * *

---

(١) أي أنهم أذنوا للصلاة في ذلك المسجد .

(٢) التلعة : مجرى الماء من أعلى الأرض إلى بطون الأودية ، أو من أعلى الوادي إلى أسفله . ينظر الفتح ٥٧٠/١ ، فيض القدير ١٩٩/٥ ، عون المعبود ١١٢/٧ .

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٦/٢٤٠٠٩) ، والنسائي (٧٠٠) ، وابن حبان (١١٢٣) بإسناد حسن .

الدرس الخامس والسبعون

خبر قدوم طارق المحاربي وأصحابه مسلمين منقادين

١١٦ – عن طارق بن عبدالله المحاربي رضي الله عنه قال : كنت بسوق ذي المجاز[١] في بياعة لي ، فمرَّ رجل عليه حلة حمراء ، فسمعته يقول : ‹‹ يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ›› ، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبه ، وهو يقول : يا أيها الناس لا تطيعوا هذا فإنه كذاب . فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا غلام بني عبد المطلب يزعم أنه رسول ، وهذا عمه عبد العزى – أبو لهب – .

فلما أظهر الله الإسلام خرجنا من الربذة ، ومعنا ظعينة لنا[٢] حتى نزلنا قريباً من المدينة ، فبينما نحن قعودٌ إذ أتانا رجل عليه ثوبان ، فسلم علينا فقال : ‹‹ من أين القوم ؟ ›› ، فقلنا : من الربذة ، ومعنا جمل أحمر ، فقال : ‹‹ تبيعونني هذا الجمل ؟ ›› ، فقلنا : نعم ، فقال : ‹‹ بكم ؟ ›› فقلنا : بكذا وكذا صاعاً من تمر ، فقال : ‹‹ أخذته ›› وما استقصى ، فأخذ بخطام الجمل ، فذهب به حتى توارى في حيطان المدينة ، فقال بعضنا لبعض : تعرفون الرجل ، فلم يكن منا أحد يعرفه . فلام القوم بعضهم بعضاً ، فقالوا : تعطون جملكم من لا تعرفون .

فقالت الظعينة : فلا تلاوموا ، فلقد رأينا وجه رجل لا يغدر بكم ، ما رأيت شيئاً أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه ، فلما كان العشي أتانا رجل فقال: ‹‹ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أنتم الذين جئتم من الربذة؟ ›› ، قلنا : نعم . قال : أنا رسول رسول الله ... إليكم ، وهو يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا ، وتكتالوا حتى تستوفوا ، فأكلنا من التمر حتى شبعنا ، واكتلنا حتى استوفينا .

ثم قدمنا المدينة من الغد فإذا رسول الله ... قائم يخطب الناس على

---

(١) وهو سوق كان الناس يتبايعون فيه في الجاهلية ، قريب من عرفات .
(٢) الظعينة : المرأة . والربذة : قرية تبعد مسيرة ثلاثة أيام عن المدينة ، قريبة من ذات عرق .

المنبر ، فسمعته يقول : « يد المعطي العليا ، وابدأ بمن تعول ، أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك » ، وثم رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلاناً في الجاهلية ، فخذ لنا بثأرنا ، فرفع رسول الله … يديه حتى رأيت بياض إبطيه ، فقال : « لا تجني أم ولد على ولد ، لا تجني أم ولد على ولد »(١) .

الفوائد والعبر :

١ – أنه يجب على الدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر التحلي بالصبر وتحمل الأذى من المدعوِّين، فإن الدعاة والمحتسبين كثيراً ما يتعرض لهم أهل الكفر وأهل النفاق والفساق بالأذى الجسدي أو بالأذى بالسباب أو القدح فيهم بما ليس فيهم – كما فعل أبو لهب – أو بتصيد أخطائهم وتضخيمها ونشرها ، ولهذا أعقب الله تعالى الأمر بالتواصي بالحق بالأمر بالصبر عليه في سورة العصر .

٢ – أن الهداية بيد الله تعالى ينعم بها على من علم أنه أهل لها ، وليست بيد أحد من الخلق ، حتى أنبياء الله تعالى – وهم أفضل البشر – لا يستطيعون هداية أحد لم يرد الله هدايته ، كما قال تعالى :

©!$# £`Å3»s9ur |Mö6t7ômr& ô`tB ksEﷲ“Ï‰ Ÿw y7¯RÎ) } ær&ﷲãNn= uqèdur 4 âä!$t±o„ `tB ku‰ﷲ“Ï‰ ÇÎÏÈ šúïÏ‰tFôgßJø9$$Î/ { [القصص: ٥٦] .

ولهذا لم يستطع محمد … هداية عمه أبي لهب ولا عمه أبي طالب الذي نصره وحماه ، ولم يستطع نوح عليه السلام هداية ابنه وزوجته ، ولم يستطع لوط عليه السلام هداية زوجته .

٣ – أن نور الإيمان والطاعة يظهر على وجه صاحبه ، ولهذا كان أقوى البشر إيماناً – … – كأن وجهه قطعة قمر .

---

(١) رواه ابن أبي شيبه ١٤/٣٠٠ ، والنسائي (٢٥٣١) ، وابن ماجه (٢٧٦٠) ، والطبراني (٨١٧٥) ، والحاكم ٢/٦١٢ ، والدارقطني ٣/٤٥ وبعضهم اختصره . وإسناده صحيح ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وصححه أيضاً البوصيري في الزوائد .

٤ – أن للصادق علامات يعرف بها ، كما أن للكاذب علامات يعرف بها ، فينبغي أن يكون المسلم فطناً ، وأن لا يثق إلا بمن تظهر عليه أمارات الخير بعد التأكد من حسن تعامله ، وأن يحذر ممن تظهر عليه أمارات السوء .

٥ – في هذا الحديث دليل من دلائل نبوة رسول الله … .

٦ – أن المرأة قد تكون في بعض الأحيان أكثر فطنة من بعض الرجال .

الدرس السادس والسبعون

خبر إسلام وائل بن حجر ووفادته

١١٧ – عن وائل بن حجر الكندي الحضرمي – رضي الله عنه – قال : بلغني ظهور النبي ... فتركت ملكاً وطاعة عظيمة ، فهبطت إلى النبي ...[1] ، فلقيته ، فقرب مجلسي ، وأدناني ، وبسط لي رداءه ، وأجلسني معه ، وقبل إسلامي ، ثم هبط إلى منبره ، فصعد ، وأصعدني معه ، فقمت دونه ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبيين ، وقال : « هذا وائل بن حجر أتاكم من بلاد بعيدة ، من حضرموت ، طائعاً غير مكره ، راغباً في الله عز وجل وفي رسوله وفي دينه »، ثم أقطعني أرضاً[2] ، وأرسل معي معاوية بن أبي سفيان « أن أعطها إياه » – أو قال : « أعلمها إياه » – قال : فقال لي معاوية : أردفني خلفك . فقلت : لا تكون من أرداف الملوك . قال : فقال : أعطني نعلك . فقلت : انتعل ظل الناقة . قال : فلما استخلف معاوية أتيته ، فأقعدني معه على السرير ، فذكّرني الحديث[3] .

الفوائد والعبر :

(١) أي ذهبت إليه وقدمت عليه .
(٢) أي أعطاني أرضاً .
(٣) رواه الطبراني في الكبير ٤٦/٢٢ – ٤٨ ، وفي الصغير (١١٧٦) ، والبخاري في التاريخ الكبير ١٧٥/٨، ١٧٦ ، والبزار كما في كشف الأستار (٢٧٤٥) بإسناد فيه مقال . وينظر المجمع ٣٧٦/٩ .
ورواه ابن سعد ٣٤٨/١ – ٣٥١ بأسانيد مرسلة ، وبإسناد متصل ضعيف .
وروى شطره الأول الطبراني في الكبير ١٩/٢٢، ٢٠ بإسناد فيه ضعف .
وينظر : المجمع ٣٧٤/٩ .
= وروى شطره الثاني المتعلق بالإقطاع وقصة معاوية الإمام أحمد (٢٧٢٣٨) ؛ والترمذي (١٣٨١) ، وأبو داود (٣٠٥٨، ٣٠٥٩) وحسنه الترمذي ، وهو كما قال .
وبالجملة فالحديث حسن بشواهده .

١ – رجاحة عقل وائل بن حجر – رضي الله عنه – حيث آثر الإسلام الذي هو سبب لسعادة الدنيا وللفوز بالجنة والنجاة من النار على الملك والطاعة العظيمة ، فأين حاله من حال من آتاه الله جاهاً أو سلطة في الدنيا فسببا له الاعراض عن سبب سعادته في الدنيا والآخرة ، بل إنه استعمل ما آتاه الله من النعم في الظلم ومعصية الرحمن ، فمن استمر على هذا ولم يتب منه فعمله هذا أكبر دليل على سفاهته ونقص عقله ، ولو تصور حاله ومآله عند حضور الموت – وهو والله موعد قريب لكل حي من المخلوقات – وعندما يدخل في القبر ويدفن في التراب ، أو تفكر في حال من سبقه من أمثاله ممن هجم عليهم الموت وهم في غفلة لا رعوى عن كثير من غيه وضلاله ، ولكنها الغفلة وقسوة القلب وقلة التفكير والعقل – نسأل الله السلامة والعافية .

٢ – أنه ينبغي الاهتمام بحديثي الإسلام وبالأخص من لهم مكانة وتأثير في قومهم ، فينبغي أن يتعامل معهم بما فيه تأليف لهم ، وتقوية لإيمانهم ، لما يرجى من تأثيرهم في دعوة قومهم إلى الإسلام ونحو ذلك.

٣ – جواز إقطاع الوالي لبعض أفراد رعيته أرضاً أو نحوها إذا اقتضت المصلحة الشرعية ذلك .

٤ – أن حديث الإسلام لا يستغرب أن يصدر منه بعض التصرفات التي لا تصدر من المؤمن الذي استقر الإيمان في قلبه .

٥ – عفو وصفح معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – عمن أساء إليه ، حيث لم يعاقب وائل بن حجر على فعله السابق معه ، ولم يصدر منه تجاهه حتى مجرد المعاتبة على صنيعه ذلك مع ما فيه من الإساءة إليه بالفعل والقول .

*   *   *

الدرس السابع والسبعون

خبر إسلام الحكم بن حزن الكلفي
وجماعة من قومه بني كلفة ووفادتهم

١١٨ – عن الحكم بن حزن الكلفي – رضي الله عنه – قال : وفدت إلى رسول الله ... سابع سبعة ، أو تاسع تسعة ، فدخلنا عليه فقلنا : يا رسول الله ، زُرْنَاكَ فَادْعُ الله لنا بخير ، فأمر بنا ، أو أمر لنا بشيء من التمر ، والشأن إذ ذاك دون ، فأقمنا بها أياماً شهدنا فيها الجمعة مع رسول الله ... ، فقام مُتَوَكِّئاً على عصاً ، أو قوس ، فحمد الله وأثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات ، ثم قال : ‹‹ أيها الناس ، إنكم لن تطيقوا أو لن تفعلوا كل ما أُمِرْتُمْ به ، ولكن سَدِّدُوا وأبشروا ››[1] .

الفوائد والعبر :

١ – أنه ينبغي إكرام الضيف بما يتيسر لصاحب المنزل ، ولا ينبغي له أن يتكلف من أجل إكرامه ما يشق عليه ويثقل كاهله من دين أو غيره .

٢ – استحباب الاتكاء على عصا أو نحوها في الخطبة .

٣ – استحباب بدء الخطبة بحمد الله تعالى والثناء عليه .

٤ – يسر هذا الدين في جميع أحكامه وتشريعاته ، ومن يسره أن المسلم إذا سدد – أي أتى بما يستطيعه من التكاليف والأوامر الشرعية – وعجز عن الإتيان ببعض الواجبات بسبب بعض العوارض التي تعرض له من مرض أو فقر أو غيرهما أنه لا حرج عليه أو إثم ، كما قال تعالى :

{ 4 $ygyèó™ãr žwÎ) $²¡øÿtR ª!$# ß#Ïk=s3ãƒ Ÿw } [البقرة: ٢٨٦] .

وكما قال النبي ... : ‹‹ إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ››[2] ، ومن يسر هذا الدين أن جميع أحكامه مناسبة للبشر محققة الخير لهم ، ليس في شيء منها ما يسبب لهم العنت والمشقة

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٧٨٥٦، ١٧٨٥٧) ، وأبو داود (١٠٩٦) وسنده حسن .

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧) .

العظيمة ، كما قال الله تعالى عن نبي هذه الأمة :

¢ÓÉ<¨Z9$# tAqß™§•9$# šcqãèÎ7-Ftƒ tûïÏ%©!$# }
öNèdy‰YÏã $¹/qçGõ3tB ¼çmtRrß‰Ågs† “Ï%©!$# ¥'ÍhGW{$#
Nèdã•ãBù'tƒ È@‹ÅgUM}$#ur Ïp1u‘öq-G9$# ’Îû
‘@Ïtä†ur Í•x6YßJø9$# Ç`tã]tƒurÍöNßg8pk èyJø9$$Î/Å$rã•
ÞOÎgøŠn=tæ ãPÍh•utä†ur ÏM»t6Íh‹©Ü9$# ÞOßgs9
öNèduŽñÀÎ) ZtãöNßg ßìŸÒtƒur y]Í´¯»t6y‚ø9$#
4 óOÎgøŠn=tæ ôMtR%x. ÓÉL©9$# Ÿ@»n=øñF{$#ur
çnrã•|ÁtRur çnrâ‘¨“tãur ¾ÏmÎ/ (#qãZtB#uä šúïÏ%©!$$sù
ÿ¼çmyètB tAÍ“Ré& ü“Ï%©!$# u‘q‘Z9$# (#qãèt7¨?$#ur
ÇÊÎÐÈ šcqßsÎ=øÿßJø9$# ãNèd y7Í´¯»s9'ré& { [الأعراف: ١٥٧] .

وليس من يسر الدين أن يقوم المسلم بتتبع رخص الفقهاء ، وذلك بأن يتلقط من فتاوى الفقهاء عند اختلافهم في حكم مسألة ما تهواه نفسه، لأن هذا من اتباع الهوى وليس من اتباع شرع الله تعالى ، فتتبع رخص الفقهاء محرم ، بل إن المسلم إذا استكثر من تتبع رخص الفقهاء التي تناسب هواه يكون على خطر عظيم ، ولهذا قال بعض أهل العلم : « من تتبع الرخص تزندق » ، والواجب على المقلد في جميع المسائل التي اختلف فيها العلماء أن يأخذ بقول أفضل العلماء في الدين والعلم ممن يتيسر له معرفة أقواله(١) .

(١) ينظر إعلام الموقعين (الفتوى : الفائدة ٦٦) ٢٦١/٤ ، الأصول من علم الأصول : الاجتهاد : مواضع التقليد ص١٠٠ .

الدرس الثامن والسبعون

أخبار إسلام جماعة من النساء ومبايعتهن

١١٩ – عن أميمة بنت رقيقة القرشية – رضي الله عنها – أنها قالت : أتيت رسول الله ... في نسوة نبايعه ، فقلنا : يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا[١] ، ولا نعصيك في معروف[٢] . قال : ((فيما استطعتن وأطقتن)) ، قالت : فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا ، هلم نبايعك يا رسول الله . قال رسول الله ... : ((إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة))[٣] .

١٢٠ – وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تبايع الرسول ... فأخذ عليها :

} Ÿwur z`ø%ÎŽô£tƒ Ÿwur $Z«ø‹x© «!$$Î/ šÆø.ÎŽô³ç„ žw br& { “tƒtûüÏR الآية [الممتحنة:١٢].

فوضعت يدها على رأسها حياء ، فأعجَبَ رسول الله ... ما رأى منها ، فقالت عائشة : أقري أيتها المرأة[٤] ، فوالله ما بايَعْنا إلا على هذا . قالت : فنعم إذاً . فبايَعَها بالآية[٥] .

---

(١) أي أن لا تلحق بزوجها ولداً ليس من أولاده ، عن طريق التقاطه وزَعْمِ أنه ابنها ، أو عن طريق الزنى .

(٢) المعروف : ما عرف حسنه في الشرع ، وهو ما أمر ا÷ به .

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢/٩٨٢ ، والإمام أحمد (٢٧٠٠٨) وغيرهما ، وسنده صحيح ، رجاله رجال الصحيحين ، سوى الصحابية راوية الحديث ، وقد صححه الحافظ ابن كثير في تفسيره ، وله شواهد كثيرة تنظر في المسند (٦٨٥٠) ، (٢٠٧٩٦) ، (٢٧٠٦٢) ، (٢٧١٣٣) ؛ والمجمع : المغازي ، باب البيعة على الإسلام ٦/٣٦ – ٤٠ .

(٤) الظاهر أن مرادها : اهدئي ، وهوني على نفسكِ .

(٥) رواه عبدالرزاق (٩٨٢٧) ، وأحمد (٢٥١٧٥) ، وابن حبان (٤٥٥٤) وغيرهم . وسنده صحيح ، رجاله رجال الصحيحين وبيعة فاطمة المذكورة في هذا الحديث هي عند إسلامها . ينظر ترجمتها في الإصابة ٤/٣٧٢ ، أما بيعة عائشة فالظاهر =

الفوائد والعبر :

١ – أهمية مبايعة الرجال والنساء وأهمية أخذ العهد عليهم في البعد عن عظائم المعاصي كالشرك والزنى وغيرهما مع عدم إهمال عموم الطاعة في كل ما عرف حسنه في الشرع .

٢ – رحمة النبي ... بأمته وشفقته عليهم ، ولهذا لم يترك أمراً فيه خير لها إلا حذرها منه ، ولا أمراً فيه ضرر عليها إلا وحرمه عليها ، ولهذا فإنه أمرهم بكل حسن وطيب وحرم عليهم كل خبيث ومضر ، قال الله تعالى في شأنه ... :

¢ÓÉ<¨Z9$# tAqß™§•9$# šcqãèÎ7-Ftƒ tûïÏ%©!$# + öNèdy‰Yïã $¹/qçGõ3tB ¼çmtRrß‰Ågs† “Ï%©!$# ¥’ÍhGW{$# Nèdã•ãBù'tƒ È@‹ÅgUM}$#ur Ïp1u‘öq-G9$# ’Îû ‘@Ïtä†ur Í•x6YßJø9$# Ç`tã]tƒurﷲöNßg8pk èyJø9$$Î/ﷲÅ$rã• ÞOÎgøŠn=tæ ãPÍh•utä†ur ÏM»t6Íh‹©Ü9$# ÞOßgs9 öNèduŽñÀÎ) ZtãﷲöNßg ßìŸÒtƒur y]Í´¯»t6y‚ø9$# 4 óOÎgøŠn=tæ ôMtR%x. ÓÉL©9$# Ÿ@»n=øñF{$#ur çnrã•|ÁtRur çnrâ‘¨“tãur ¾ÏmÎ/ (#qãZtB#uä šúïÏ%©!$$sù ÿ¼çmyètB tAÍ“Ré& ü“Ï%©!$# u‘q‘Z9$# (#qãèt7¨?$#ur šcqßsÏ=øÿßJø9$# ãNèd y7Í´¯»s9'ré& " [الأعراف: ١٥٧] .

٣ – تحريم مصافحة النساء ، فهذا النبي ... في أعظم موقف له مع النساء – وهو مبايعتهنَّ على الإسلام – يرفض مصافحة النساء اللاتي ليس محرماً لهن ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ﴿ لأن يطعن أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له ﴾[1] .

٤ – أهمية خلق الحياء ، للرجال والنساء ، وإن كان ينبغي أن يكون نصيب النساء منه أكثر من غيرهن .

* * *

أنها مما يأخذه الإمام على رعيته من المسلمين .

(١) رواه الطبراني ٢٠/٢١١، ٢١٢ ، والروياني في مسنده كما في السلسلة الصحيحة (٢٢٦) بإسناد حسن .

الدرس التاسع والسبعون

قصة إسلام أم أبي هريرة

١٢١ – عن أبي هريرة ، قال : كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة ، فدعوتها يوماً ، فأسمَعَتني في رسول الله ... ما أكره ، فأتيت رسول الله ... وأنا أبكي ، فقلت : يا رسول الله ! إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ(١) ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة ، فقال رسول الله ... : « اللهم اهد أم أبي هريرة » . فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ... ، فلما جئت فصرت إلى الباب(٢) ، فإذا هو مجاف(٣) ، فسمعت أمي خشف قدمي(٤) ، فقالت : مكانك يا أبا هريرة(٥) ! وسمعت خضخضة الماء(٦) . قال : فاغتسلت ، ولبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، ففتحت الباب(٧) ، ثم قالت : يا أبا هريرة ! أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال : فرجعت إلى رسول الله ... ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح ، قلت : يا رسول الله ! أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة . فحمد الله ، وقال خيراً . قال : قلت : يا رسول الله ! ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ، ويحببهم إلينا . قال : فقال رسول الله ... : « اللهم حبب عبيدك هذا – يعني أبا هريرة – وأمه إلى عبادك المؤمنين ، وحبب إليهم المؤمنين » . فما خلق مؤمن يسمع بي ، ولا يراني إلا أحبني . رواه مسلم(٨) .

---

(١) أي تمتنع عن الدخول في الإسلام .
(٢) أي وصل إلى باب بيته الذي فيه أمه .
(٣) أي مغلق .
(٤) أي صوت وحركة مشيه على الأرض .
(٥) أي انتظر في مكانك خارج البيت .
(٦) أي صوت تحريك الماء ، لأن أمه كانت تغتسل من أجل الدخول في الإسلام .
(٧) أي أن أمه – رضي ÷ عنها – بعد أن اغتسلت لبست درعها – وهو الثوب – واستعجلت ففتحت الباب قبل أن تلبس الخمار الذي تغطي به رأسها .
(٨) صحيح مسلم : الفضائل (٢٤٩١) .

الفوائد والعبر :

١ – أنه ينبغي للمسلم الحرص على الدعوة إلى الله تعالى ، وبالأخص دعوة الأقربين .

٢ – أن المؤمن يحزن ويغضب إذا انتهكت حرمات الله أكثر مما يحزن ويغضب من أجل أموره ومصالحه الخاصة ، وأيضاً يفرح إذا رأى أو سمع ما فيه طاعة الله وانقياد لشرعه أكثر من ما يفرح من أجل مصالحه الخاصة.

٣ – في هذا الحديث دليل من دلائل نبوة نبينا محمد ... ومعجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام حيث استجاب الله تعالى دعاءه ... على الفور وبعين ما سأل .

٤ – أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على هذا السلاح الذي عطله كثير من المسلمين – وهو سلاح دعاء الله تعالى والالتجاء إليه – .

٥ – أن من التوسل المشروع في الدعاء أن يطلب المسلم من عبد صالح أن يدعو الله له .

٦ – استحباب حمد الله تعالى عند حصول النعم ، وإن سجد المسلم شكراً عند حصولها فحسن ، كما ثبت عن النبي ... في مواقف أخرى .

٧ – أن حب أبي هريرة وأمه ، وكذلك جميع أصحاب النبي ... من علامات الإيمان ، وبغضهم أو سبهم – كما هو عمل الرافضة – من علامات الضلال وضعف الإيمان أو انعدامه والعياذ بالله[١] .

* * *

(١) ينظر في شرح عبارات هذا الحديث وبيان فوائده : شرح مسلم للنووي ٦٥٢/١٦ ، إكمال المعلم لعياض ٥٣٣/٧ ، جامع الأصول ٣٧٥/١١ .

الدرس الثمانون

خبر إسلام ضرار بن الأزور – رضي الله عنه –

١٢٢ – عن أبي الحصين بن الزبرقان قال : أقبل ضرار بن الأزور إلى النبي ... ، وقد خلف ألف بعير برعاتها ، فأخبره بما خلف وببغضه للإسلام ، ثم إن الله هداه ، وحبب إليه الإسلام ، وقال : يا رسول الله إني قلت شعراً ، فاسمَعْهُ ، فقال النبي ... : ‹‹ هيه ››[١] : قال : قلت :

تركت القداح وعزف القيان ... والخمر أشربها والثمالا[٢]

وشدي المحبَّر في غمرة و ... كَرِّي على المسلمين القتالا[٣]

وقالت جميلة شتَّتَّنا وبعدت ... أهلك شتى شلالا[٤]

فيا رب لقني به جنتي فقد ... بعت أهلي ومالي ابتدالا[٥]

فقال رسول الله ... : ‹‹ ربح البيع ، ربح البيع ، ربح البيع ››[٦] .

---

(١) أي أسمعني ما قلته .

(٢) القداح : السهام التي كانوا يلجئون إليها في الجاهلية إذا أرادوا فعل شيء ، وقد كتب على أحدها : افعل . وكتب على الثاني : لا تفعل . والثالث ليس عليه شيء . فما خرج منها عملوا بمقتضاه ، وإن خرج الغفل أعادوا ضرب القداح . وعزف القيان : صوت المغنيات من الجواري . والثمال : السكر .

(٣) المحبر : اسم لفرس ضرار ، والشدو : يقال : شدوت الإبل : سقتها كما في الصحاح (مادة : شدا) ، والغمرة : الشدة . ومعنى البيت فيما يظهر : أنه ترك ركوب فرسه وسوقها لحرب المسلمين وترك قتالهم .

(٤) أي أن جميله – وهي زوجته أو إحدى قريباته – قالت له لما ذهب ليسلم : إنك شتَّتَّ أهلك وبددتهم . وقوله : شتى شلالا : أي فرقتهم أيما تفريق . أي تفريقاً كبيراً .

(٥) أي أنه باع أهله وماله بتركه لهما ومجيئه ليسلم ، طالباً البدل من ا÷ تعالى ، وهو الجنة .

(٦) رواه عبدا÷ بن أحمد في زوائد المسند (١٦٧٠٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٨٨٩ – ٣٨٩٢) ، وبحشل ص١٧٤ وغيرهم بأسانيد كثيرة ، في كل منها =

الفوائد والعبر :

١ – فضل ضرار بن الأزور – رضي الله عنه – ورجاحة عقله حيث آثر الإسلام الذي هو سبب لسعادته في الدنيا والآخرة على البقاء عند أمواله الكثيرة وعنده أهله وأولاده مشركا ، فأين حاله من حال من آتاه الله مالاً فاستعمل هذه النعمة في معصية الله وحربه ، باستعماله هذا المال في الربا ، وصرفه في الأوجه المحرمة من شراء لآلات اللهو التي يفسد بها قلبه وقلوب أولاده وأهله الذين أمر بوقايتهم من النار ، أو بصرفه في غير ذلك من الأوجه المحرمة ، وتسبب هذا المال في غفلته وطول أمله ، كما قال تعالى :

﴿ “Ï%©!$# ÇÊÈ >ou“yJ—9 ;ou“yJèd È≅e@à6Ïj9 ×≅÷ƒur ÿ¼ã&s!$tB ¨br& Ü=|¡øts† ÇËÈ ¼çny‰£‰tãur Zw$tB yìuHsd !$tBur ÇÍÈ ÏpyJsÜçtù:$# ’Îû ¨bx‹t6.^ãŠs9 (žxx. ÇÌÈ zr&#¼çnt$s# ÇÏÈ äoy‰s%qßJø9$# «!$# â‘$tR ÇÎÈ èpyJsÜçtù:$# $tB y71u‘ôŠr& $pk®XÎ) ÇÑÈ Ïoy‰Ï«øùF{$# ’n?tã ßìÎ=©Üs? ÓÉL©9$# ÇÒÈ s–B×oy‰|¹ NÎköŽn=tã ﴾ [الهمزة] .

فالمال والولد اختبار للعبد ، وكلما كثر المال كانت الفتنة أعظم ، قال الله تعالى :

﴿ 4 GÏù×puZ rr&urö/ä.ß‰»s9 öNä3ä9¨uqøBr& !$yJ¯RÎ) ÇÊÎÈ ÒOŠÏàtã í•ô_r& ÿ¼çny‰YÏã ª!$#ur ﴾ [التغابن: ١٥] .

٢ – أن القرابة الذين فرق بينهم الإسلام ، فأسلم بعضهم ، ولم يسلم بعضهم ، يعتبر تفرقهم هذا محموداً في حق المسلم ، لأنه ابتعد عن ما هو سبب لشقائه في الدنيا والآخرة ، ودخل فيما هو سبب لسعادته في الدنيا والآخرة ، ولا يضره بعده عن قرابته من المشركين ، بل إن بعده عن من يخشى من ضرره عليه منهم في دينه أمر مطلوب ، ومثله من يترك مجالسة أقاربه الذين لا يؤدون الصلاة ويهجرهم ، وقريب منه من لا يكثر من مجالسة أقاربه الذين يكثر في مجالسهم القيل والقال ، فكل هذا من الأمور المطلوبة شرعاً .

ضعف ، فهو بمجموعها حسن أو قريب منه . وينظر المجمع ٩/٣٩٠، ٣٩١ .
وينظر في شرح أبيات هذه القصيدة : كتب اللغة كالصحاح ، ولسان العرب ، وحاشية السندي المطبوعة مع المسند ٢٧/٢٥٧ ، ٢٥٨ .

٣ – أن من ترك حطام الدنيا من أجل الله ، كمن أسلم وترك أمواله التي لم يستطع الإسلام إلا بتركها ، كحال ضرار ، وكمن لم يستطع عبادة ربه إلا بتركها ، كحال صهيب عند هجرته[١] قد ربح أعظم ربح .

* * *

(١)

الدرس الحادي والثمانون

قصة إسلام الأعرابي الذي بايع ثم طلب الاقالة من بيعته

١٢٣ – عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – أن أعرابياً جاء إلى النبي ... فقال : بايعني على الإسلام ، فبايعه على الإسلام ، فأصاب الأعرابي وَعْك[١] بالمدينة ، فأتى إلى النبي ... ، فقال : يا محمد أقلني بيعتي[٢] . فأبى النبي ... ، ثم جاء ، فقال : أقلني بيعتي ، فأبى النبي ... ، ثم جاء ، فقال : أقلني بيعتي ، فأبى النبي ... ، فخرج الأعرابي ، فقال النبي ... : « إنما المدينة كالكير ، تنفي خبثها ، وتنصَعُ طيِّبَها »[٣] رواه البخاري ومسلم[٤] .

الفوائد والعبر :

١ – أن الله تعالى يختبر عباده بالضراء والسراء ، لينظر من يصبر ويحتسب ويثبت على الحق عند إصابته بالضراء ممن لا يصبر ، فتزل به القدم ، وينظر من يشكر عند السراء ويستعين بها على الطاعة ممن يطغى ويستعمل هذه النعمة في معصية الله ، كما قال تعالى :

¼çmš/u‘ çm8n=tGö/$# $tB #sŒÎ) ß`»|¡RM}$# $¨Br'sù }
Ç`tBu•ø.r& ú†Ïn1u‘ ãAqà)uŠsù ¼çmyJ¨ètRur ¼çmtBu•ø.r'sù
Ïmø‹n=tã u‘y‰s)sù çm8n=tGö/$# $tB #sŒÎ) !$¨Br&ur ÇÊÎÈ
¼çms%ø—Í‘ ãAqà)uŠsù þ’Ïn1u‘ Ç`sY»ydr& ÇÊÏÈ { [الفجر: ١٥،

---

(١) أي حمى كما في رواية البخاري الأخرى (٧٢١٦) .

(٢) ظاهر الحديث : أنه أراد إقالة بيعته على الإسلام ، ويحتمل أنه أراد الإقالة من بعض عوارضه كالهجرة . ينظر : الفتح ٩٧/٤ ، و٢٠٠/١٣ .

(٣) معنى « ينصع » يصفو ويطهر ، والمراد أنه يخرج منها من لم يخلص إيمانه ممن لا خير فيه ، ويبقى فيها الطيبون . ينظر : المفهم ٤٩٩/٤ ، وإكمال المعلم ٥٠١/٤ ، ٥٠٢ .

(٤) صحيح البخاري (١٨٨٣) ، وصحيح مسلم (١٣٨٣) .

١٦] .

٢ – أن التشاؤم من اعتقادات الجهال الذين لا علم عندهم ولا رأي سديد لديهم ، فهذا الأعرابي الجاهل قد اعتقد أن هذه الحمى التي أصابته إنما هي بشؤم هذه البيعة(١) ، وهذا جهل وضلال كبير ، إذ كيف تكون الطاعة سبباً للمرض ، فهذا مخالف للواقع وعكس للحقائق ، لأن الشؤم في الحقيقة إنما يكون في معصية الله تعالى ، وذلك أن المعصية سبب للعقوبات في الحياة الدنيا وفي القبر وفي نار جهنم(٢) .

أما الشؤم بمعنى أن بعض الأماكن أو الحيوانات أو الألوان أو الأرقام أو غيرها من المخلوقات سبب لحدوث المصائب فهذا لا حقيقة له ، وهو من اعتقادات الجاهلية ، ومع الأسف أن هذا التشاؤم موجود عند بعض المسلمين اليوم ، فتجد بعضهم إذا فتح متجره في الصباح فجاءه مشتر فيه عيب خلقي تشاءم وأغلق متجره ، وبعض التجار والمهندسين يتشاءمون من رقم ١٣ فلا يضعون هذا الرقم في المصاعد الكهربائية ولا في أدوار العمارات ، وهذا تقليد منهم للجاهلية الغربية المعاصرة .

---

(١) حاشية السندي على سنن النسائي ١٧٠/٧ .
(٢) لطائف المعارف (وظيفة صفر) .

الدرس الثاني والثمانون

خبر إسلام رجلين من مذحج

١٢٤ – عن أبي عبدالرحمن الجهني ، قال : بينا نحن عند رسول الله ... طلع راكبان ، فلما رآهما قال : « كِنْدِيَّانِ مَذْحِجِيَّانِ » حتى أتياه ، فإذا رجلان من مذحج ، قال : فدنا إليه أحدهما ليبايعه ، قال : فلما أخذ بيده ، قال : يا رسول الله ، أرأيت من رآك فآمن بك وصدقك واتَّبَعَكَ ، ماذا له ؟ قال : « طُوبَى له »[1] قال : فَمَسَحَ على يده فانصرف ، ثم أقبل الآخر حتى أخذ بيده ليبايعه ، قال : يا رسول الله ، أرأيت من آمن بك وصدقك واتبعك ولم يرك ؟ قال : « طوبى له ، ثم طوبى له ، ثم طوبى له » قال : فمسح على يده ، فانصرف[2] .

الفوائد والعبر :

١ – في هذا الحديث معجزة من معجزات نبينا محمد ... حيث أخبر عليه الصلاة والسلام عن قبيلة وفخذ هذين الرجلين قبل وصولهما ، فكانا كما أخبر صلوات ربي وسلامه عليه .

٢ – مشروعية التبرك بجسد النبي ... ، ولهذا مسح كل واحد من هذين الرجلين يد النبي ... ، وأقرهما النبي عليه السلام على ذلك ، حيث لم ينكر عليهما عملهما ذلك ، فهذا التبرك خاص بالنبي ... ، فهو أفضل البشر عليه الصلاة والسلام ، فهو القائل عن نفسه : « أنا سيد ولد آدم ولا

---

(١) قيل : إن معنى « طوبى » : أصاب خيراً ، وقيل إن « طوبى » اسم للجنة . ينظر : تفسير الآية (٢٩) من سورة الرعد في تفسير ابن كثير .

(٢) رواه الإمام أحمد (١٧٣٨٨) ، وابن أبي شيبة في مسنده (٧٣٠) وسنده حسن ، وقد حسنه الهيثمي ١٨/١٠ ، والحافظ ابن حجر . وينظر المطالب (٤١٧٨) ، وتنظر شواهد هذا الحديث في المسند (١٦٩٧٦) ، وصحيح ابن حبان (٧٢٣٠) .

فخر »[1] .

فلا يجوز أن يجعل أحد من البشر في منزلة النبي ... الخاصة به ، ولا يجوز أن تجعل الأمور الخاصة به عليه الصلاة والسلام لغيره ، فهذا هضم لحقه ... وانتقاص له وإنكار لخصائصه التي تميز بها .

ولذلك لم يثبت أن أحداً من الصحابة أو التابعين أو أحداً من سلف هذه الأمة تبرك بجسد أحد من الصالحين ، ولا من العشرة المبشرين بالجنة ، ولا من آل البيت ، ولا من غيرهم ، وهذا إجماع منهم على تحريم التبرك بجسد غيره ... من البشر ، إذ لو كان جائزاً لبادروا إليه ، لحرصهم على الخير .

٣ – بيان كثرة أجور من آمن بالنبي ... ولم يره ، ولم ير أكثر دلائل نبوته ، لأن هذا دليل على قوة إيمانه ، فجانب الإيمان بالغيب بالنسبة إليه في باب الإيمان بنبوة محمد ... أكثر منه في حق من رآه عليه الصلاة والسلام[2] ، ولا يعني هذا تفضيله تفضيلاً مطلقاً على من شاهد النبي ... ، فإن أفراد الصحابة أفضل من كل من جاء بعدهم ، قال الحافظ ابن حجر : « مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة ، وأيضاً فالأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل ، فأما ما فاز به من شاهد النبي ... من زيادة فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها أحد »[3] .

* * *

(١) رواه أحمد (١٠٩٧٢) ، وأبو داود (٤٦٧٣) من طريقين رجالهما ثقات . وهو في السلسلة الصحيحة (١٥١٧) ، ورواه مسلم (٢٢٧٨) بزيادة « يوم القيامة » .

(٢) فكل منهما في إيمانه في هذه المسألة مؤمن بمسألة غيبيه، وهي أن ا÷ أرسله عليه

= الصلاة والسلام ، بل إن الإيمان بجميع مسائل العقيدة إنما هو إيمان بالغيب ، كما هو مقرر في موضعه ، لكن مقدار هذا الغيب قد يختلف من شخص لآخر في بعض المسائل .

(٣) ينظر الفتح : أول كتاب فضائل الصحابة ٦/٧، ٧ ، وينظر : شرح مشكل الآثار ٢٥٤/٦ – ٢٦٦ ، مجموع الفتاوى ٤٦١/٤ – ٤٦٤ ، ٥٢٧ .

الدرس الثالث والثمانون

أخبار إسلام جرير بن عبدالله البجلي – رضي الله عنه –

١٢٥ – عن جرير بن عبدالله – رضي الله عنه – قال : ما رآني النبي … منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي ، وقال رسول الله … : « يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن[١] ، على وجهه مسحة ملَك »[٢] ، ثم دخل جرير بن عبدالله[٣] .

١٢٦ – وعن زياد بن علاقة ، قال : سمعت جرير بن عبدالله قام يخطب يوم توفي المغيرة بن شعبة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له ، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير ، فإنما يأتيكم الآن .

ثم قال : استعفوا لأميركم ، فإنه كان يحب العفو ، ثم قال : أما بعد ، فإني أتيت رسول الله … فقلت : يا رسول الله أبايعك على الإسلام فشرط عليَّ : « والنصح لكل مسلم » فبايعته على هذا ، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم . ثم استغفر ونزل . رواه البخاري[٤] .

١٢٧ – وعن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، قال : قال جرير : بايعت رسول الله … على السمع والطاعة ، وعلى أن أنصح لكل مسلم .

---

(١) قال السندي كما في حاشيته على المسند ٥١٨/٣١ : « الظاهر أنه بضم الياء ، بمعنى التيمن والبركة . أو هو بفتحتين ، بمعنى البلاد المعروفة ، فإن بجيلة بناحية اليمن » .

(٢) قال في النهاية (مادة : ملك) : « أي أثر من الجمال ، لأنهم أبداً يصفون الملائكة بالجمال » ، وقال الذهبي في سير النبلاء ٥٣١/٢ : « قلت : كان بديع الحسن ، كامل الجمال » ، ويقارن الفتح الرباني ٢١٦/٢١ .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٥٠) ، والطبراني (٢٢٥٨) وسنده صحيح ، وهو في صحيح الأدب المفرد ص١١١ ، ورواه الإمام أحمد (١٩١٧٩) مطولاً .

(٤) صحيح البخاري (٥٨) .

قال : وكان جرير إذا اشترى الشيء وكان أعجب إليه من ثمنه ، قال لصاحبه : تعلمن والله لما أخذنا أحب إلينا مما أعطيناك ، كأنه يريد بذلك الوفاء[١] .

وعن جرير ، قال : قلت يا رسول الله اشترط علي : فقال : « تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتنصح للمسلم ، وتبرأ من الكافر »[٢] .

الفوائد والعبر :

١ – أنه يجب على المسلم أن ينصح لأخيه المسلم في أي بلد ومن أي قبيلة ، فيجب عليه أن يحب له الخير وأن يكره أن يصيبه شر ، وأن يعمل على إبعاد ما يضره عنه ، فإذا رأى ضرراً سيقع عليه في بدنه أو ماله أو عرضه وجب عليه أن يعمل على إبعاده عنه ، فإن لم يستطع دفعه ووقع هذا الضرر على المسلم كرهه ، وتمنى له الخير ، وهذا من الولاء الواجب للمسلم ، لحديث : « الدين النصيحة ... » رواه مسلم[٣] ، ولحديث : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري ومسلم[٤] ، أي لا يؤمن الإيمان الواجب إلا بذلك[٥] ، ولحديث : « المسلم أخو المسلم ،

---

(١) أي أنه إذا اشترى سلعة ورأى أن سعرها أقل من السعر الذي تستحقه هذه السلعة قال للبائع : إن السلعة التي اشتريناها منك أحب إليَّ من ثمنها الذي أعطيتك إياه ، وهذا إنما كان يفعله جرير – رضي ﷲ عنه – من باب الوفاء بما بايع النبي ... عليه من النصح لكل مسلم ، فيكون حينئذ قد نصح لهذا البائع المسلم . والحديث رواه الإمام أحمد (١٩٢٢٩) وسنده صحيح ، رجاله رجال مسلم .

(٢) رواه الإمام أحمد (١٩١٥٣) وسنده حسن ، ورواه الإمام أحمد (١٩١٨٢) ، والنسائي (٤١٨٦) بنحوه ، إلا أنه قال : « وعلى فراق المشرك » بدل « وتبرأ من الكافر » . وسنده صحيح .

(٣) صحيح مسلم (٥٥) .

(٤) صحيح البخاري (١٣) ، وصحيح مسلم (٤٥) .

(٥) الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٥ – ٣٦ ، جامع العلوم : شرح الحديث الثالث عشر ٣٠٢/١، ٣٠٣ .

لا يظلمه ، ولا يسلمه » رواه البخاري ومسلم[١] ، ولأحاديث أخرى[٢].

٢ – أن عفو المسلم عن أخطاء أخيه المسلم أو ما قصر فيه تجاهه خلق عظيم، ندبنا إليه ربنا جل وعلا، ووعد على ذلك بالأجر ، قال تعالى:

{ 4 «!$# 'n?tã ¼çnã•ô_r'sù yxn=ô¹r&ur $xÿtã ô`yJsù } [الشورى: ٤٠] .

٣ – حرص الصحابة على الخير ، وعلى الوفاء بما التزموه وبايعوا النبي ... عليه .

٤ – وجوب البراء من الكفار ، وذلك ببغضهم ، ومعاداتهم ، والبعد عنهم ، وجهاد المحاربين منهم بحسب القدرة[٣] .

* * *

(١) صحيح البخاري (٢٤٤٢) ، وصحيح مسلم (٢٥٨٠) .

(٢) ينظر جامع العلوم والحكم : شرح الحديث السابع ، ٢٢٢/١ – ٢٢٥ ، وشرح الحديث ٣٥، ٢٧٣/٢، ٢٧٤ .

(٣) ينظر تفصيل مسألتي الولاء والبراء في رسالة « تسهيل العقيدة الإسلامية » لكاتب هذه الأسطر : الباب الرابع .

الدرس الرابع والثمانون
خبر إسلام قبيلة (همدان)

١٢٨ – عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : بعث النبي ... خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، ثم إن النبي ... بعث علي بن أبي طالب ، وأمره أن يُقْفِلَ خالداً ومن كان معه[١] إلا رجل ممن كان مع خالد أحب أن يُعقِب مع علي رضي الله عنه ، فليُعقِب معه[٢] ، قال البراء : فكنت ممن عقب معه ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا ، فصلى بنا عليٌ – رضي الله عنه – وصفنا صفاً واحداً ، ثم تقدم بين أيدينا ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ... ، فأسلمت همدان جميعاً ، فكتب عليٌّ – رضي الله عنه – إلى رسول الله ... بإسلامهم ، فلما قرأ رسول الله ... الكتاب خر ساجداً ، ثم رفع رأسه ، فقال : ‹‹ السلام على همدان ، السلام على همدان ››[٣] .

الفوائد والعبر :

١ – أنه ينبغي للداعية أن يواصل في دعوته للكفار والعصاة وأن يكررها ، وأن لا ييأس من هدايتهم إذا رفضوا قبول الدعوة في أول الأمر .

٢ – يجب على ولي الأمر إرسال الدعاة إلى المناطق والبلدان لدعوة

---

(١) أي أمره أن يقول لخالد بن الوليد – رضي ا÷ عنه – ومن معه من المسلمين أن يرجعوا إلى النبي ... .

(٢) أي من أراد من المسلمين الذين ذهبوا إلى اليمن مع خالد – رضي ا÷ عنه – أن يبقى مع علي – رضي ا÷ عنه – باليمن فله ذلك .

(٣) رواه البيهقي في سننه في الصلاة ٢/٣٦٩ ، وفي معرفة السنن ٣/٣١٦ بإسناد حسن على شرط البخاري ، وقد ذكر البيهقي وابن القيم في زاد المعاد ١/٣٦٠ أن إسناده صحيح على شرط البخاري ، وصححه أيضاً المنذري في مختصر السنن ٤/٨٦ ، وقد أخرج البخاري صدر هذا الحديث في صحيحه (٤٣٤٩) بنفس إسناد البيهقي .

الكفار إلى الإسلام ، ولدعوة المسلمين إلى التمسك بتعاليم الإسلام ، والبعد عن معصية الله ، وتعليمهم أمور دينهم .

٣ – أن عدم استجابة المدعوين للداعية ليس عيباً فيه ولا في دعوته ، فكثير من أنبياء الله تعالى لم يستجب لدعوتهم إلا القليل ، وبعضهم لم يستجب لدعوته أحد ، وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ... : ﴿ عرضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي معه الرجل والرجلان ، والنبي ليس معه أحد ... ﴾[1] .

٤ – أن من هدى الله على يديه شخصاً أو قبيلة فقد حصل له خير كثير ، ينبغي له أن يشكر الله تعالى عليه ، وهو خير له من أن يحصل له مكاسب مادية كثيرة .

٥ – مشروعية سجود الشكر عند حدوث نعمة أو اندفاع نقمة ، أما ما يفعله بعض الناس من صلاة ركعتين شكراً فهذا لم يثبت عن النبي ... ولا عن أحد من أصحابه – رضي الله عنهم –[2] .

٦ – أن من أسلم وتمسك بأحكام الإسلام يستحق أن يدعى له بالسلامة ، وهو حري أن يسلمه الله من شرور الدنيا والآخرة ، وبالعكس من بقي على الكفر واستمر عليه أو استمر على معصية الله تعالى ولم يتب منها فهو حري أن يشقى في الدنيا بأنواع المنغصات وبضيق الصدر والقلق المستمر ، كما قال تعالى :

Zpt±ŠÏètB ¼ã&s! ¨bÎ*sù “Í•ò2ÏŒ `tã uÚu•ôãr& ô`tBur } 4‘yJôãr& ÏpyJ»uŠÉ)ø9$# uQöqtƒ ¼çnã•à±øtwUur %Z3Y|Ê ô‰s%ur 4‘yJôãr& ûÓÉ_s?öŽ|³xm zOÏ9 Éb>u‘ tA$s% ÇÊËÍÈ Gs?r&ﷲy7 y7Ï9¨x‹x. tA$s% ÇÊËÎÈ #[Ž•ÅÁt/ àMZä. 4Ó|¤Yè? tPöqu‹ø9$# y7Ï9¨x‹x.ur ($pkyJŠÅ¡uZsù $uZçF»tƒ#uä ÇÊËÏÈ { [طه: ١٢٤، ١٢٦] .

وحري أيضاً أن يشقى في قبره وفي يوم القيامة وفي نار جهنم – نسأل الله السلامة والعافية – .

* * *

(١) صحيح البخاري (٥٧٥٢) ، وصحيح مسلم (٢٢٠) .

(٢) تنظر : رسالة (سجود الشكر) لكاتب هذه الأسطر .

الدرس الخامس والثمانون

أخبار إسلام بجيلة ووفادتها وإسلام المستقسم بالأزلام باليمن

١٢٩ – عن طارق بن شهاب البجلي الأحمسي – رضي الله عنه – قال : قدم وفد بجيلة على النبي ... فقال : « اكسوا البجليين ، وابدؤا بالأحمسيين »[١] ، قال : فتخلف رجل من قيس ، قال : حتى أنظر ما يقول لهم رسول الله ... ، قال : فدعا لهم رسول الله ... خمس مرات : « اللهم صل عليهم » ، أو « اللهم بارك فيهم »[٢] .

١٣٠ – وعن قيس ، عن جرير بن عبدالله البجلي – رضي الله عنه – قال : قال لي رسول الله ... : « ألا تريحني من ذي الخلصة ؟ » ، فقلت : بلى ، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أَحْمَسْ ، وكانوا أصحاب خيل ، وكنت لا أثبُتُ على الخيل ، فذكرت ذلك للنبي ... ، فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري ، وقال : اللهم ثَبِّتْه ، واجعله هادياً مهدياً . قال : فما وقعت عن فرس بعد . قال : وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم وبجيلة[٣] فيه نُصُبٌ تُعبَد[٤] ، يقال له الكعبة .

---

(١) أحمس : قبيلة باليمن ، قيل : إن أباهم « أحمس » هو ابن أخي بجيله وأن كلا منهما ينتسب إلى « أنمار » ، وقيل : إن بجيلة اسم امرأة ، وأن لها أخت اسمها باهلة ، وأنها تنسب إليهما القبيلتان المشهورتان . وقيل : إن أحمس من بجيلة ، وهذا أقرب لظاهر هذه الرواية . ينظر : الأنساب ٩١/١، ٢٨٤، ٢٨٥، الفتح ٧٢/٨ .

(٢) رواه الطيالسي (١٢٨١) ، وأحمد (١٨٨٣٣، ١٨٨٣٤) وإسناده صحيح ، رجاله رجال البخاري . وقد صححه العراقي والبوصيري . ينظر : التعليق على المطالب العالية (٤١٥٢) .

(٣) وهو بيت لعبادة المشركين ، يسمونه « الكعبة اليمانية » مضاهاة للكعبة المشرفة بمكة ، وخص النبي ... جريراً لأنها في بلاده ، وكان من أشراف بجيلة .

(٤) النصب : أصنام من حجارة يتقربون إليها بالذبح وغيره . ينظر : النهاية (مادة : نصب) ، عمدة القاري ٢٦٣/١٩ ، القول المفيد ٣٦٨/١ .

قال : فأتاها فحرَّقَها بالنارِ وكسَرَها . قال : ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام[١] ، فقيل له : إن رسول رسولِ الله ... هاهنا ، فإن قدر عليك ضرب عنقك . قال : فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال : لتكسرنها ولتشهدن أن لا إله إلا الله ، أو لأضربن عنقك . قال : فكسرها ، وشهد . ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا أرطاة إلى النبي ... يبشره بذلك . فلما أتى النبي ... قال : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركها كأنها جمل أجرب ، قال فبرَّك النبيُّ ... على خيل أحمس ورجالها خمس مرّات »[٢] رواه البخاري[٣] .

الفوائد والعبر :

١ – في هذا الحديث ذكر لكرامة نبينا محمد ... ، حيث استجاب الله لدعائه ... مباشرة .

٢ – أنه يجب على ولي الأمر إزالة أماكن الشرك ومظاهره كالأصنام والمساجد والغرف المبنية على القبور ، ونحو ذلك .

٣ – أن ادعاء معرفة ما سيكون في المستقبل من ربح أو خسارة أو أي أمر آخر حسن أو سيء في سفر أو زواج أو سلوك طريق معين أو غير ذلك عن طريق الاستقسام بالأزلام – وهي الضرب بالسهام أو الحصى المكتوب عليها الأمر بالفعل والأمر بالترك – فيفعل ما يخرج منها ، أو عن طريق الطرق بالحصى أو الخشب أو الشعير أو عن طريق النظر في الكف أو الفنجال أو نحو ذلك هذا كله من الشرك الأصغر ، لأنه يعتقد أن الله قد جعل هذه الأشياء أسباباً لمعرفة ما سيكون في المستقبل ،

(١) الأزلام : قداح مثل السهام أو الحصى ، كتب على أحدها علامة الخير ، وكتب على الثاني علامة الشر ، والثالث غفل لا شيء عليه ، فإذا خرج الأول فعلوا ، وإذا خرج الثاني تركوا ، وإذا خرج الثالث أعادوا الاستقسام ، وهم يزعمون أنهم يستخرجون غيب ما يريد أحدهم فعله . ينظر : الفتاوى الكبرى ٢٠٩/١ ، الفتح ٧٣/٨ .

(٢) أي دعا لها بالبركة خمس مرات ، وفي رواية : « فدعا لنا ولأحمس » .

(٣) صحيح البخاري : المغازي (٤٣٥٧) .

وهذا غير صحيح ، لأن الله تعالى لم يجعل هذه الأشياء سبباً في معرفة ذلك ، وإنما هذا من خرافات الجاهلية التي يروجها الكهان والمشعوذون والدجاجلة .

* * *

الدرس السادس والثمانون

خبر إسلام آل الديلم من أبناء ملوك اليمن وقدوم وفدهم

١٣١ – عن فيروز الديلمي – رضي الله عنه – أنهم أسلموا ، وكان هو فيمن أسلم ، فبعثوا وفدهم إلى رسول الله … ببيعتهم وإسلامهم ، فقبل ذلك رسول الله … منهم ، فقالوا : يا رسول الله نحن من قد عرفت ، وجئنا من حيث قد علمت ، وأسلمنا ، فمن وليُّنا ؟ قال : « الله ورسوله » ، قالوا : حسبنا رضينا[1] .

١٣٢ – وعن فيروز الديلمي أيضاً – رضي الله عنه – قال : وفدت على رسول الله … ، فقلت : إنا نصنع شراباً فنطعمه بني عمِّنا ، فقال : « هل يسكر ؟ » قلت : نعم . قال : « حرام » ، فلما كان عند توديعي إياه ذكرته له ، فقلت يا نبي الله إنهم لن يصبروا عنه ؟ قال : « فمن لم يصبر عنه فاضربوا عنقه » ، قلت : يا نبي الله إن تحتي أختين ؟ ، قال : « طلق أيهما شئت »[2] .

الفوائد والعبر :

١ – أن الهداية بيد الله تعالى ، ينعم بها على من يشاء من خلقه ، وعلى من يعلم أنه أهل لها ، فقد وهبها لأهل البلاد البعيده من العرب ومن العجم ، فهؤلاء آل الديلم من اليمن ومن أبناء فارس وقد هداهم الله للإسلام ، وحرم منها أناساً من أهل مكة ، بل من قريش ، بل لم ينعم بها

(١) رواه الإمام أحمد (١٨٠٣٧، ١٨٠٤٢) ، وأبو داود (٣٧١٠) وسنده صحيح .
(٢) رواه الطبراني في الكبير ٣٣٠/١٨، ٣٣١ ، وفي سنده ابن أبي فروه ، وهو ضعيف جداً . لكن المتن صحيح ، فقد روى جزأه الأول الإمام أحمد (١٨٠٣٤ – ١٨٠٣٦) ، وأبو داود (٣٦٨٣) من حديث الديلم الحميري ، وسنده صحيح . وروى جزأه الأخير الإمام أحمد (١٨٠٤٠، ١٨٠٤١) ، والترمذي (١١٢٩، ١١٣٠) ، وابن حبان (٤١٥٥) وحسنه الترمذي . وقد قال تعالى : } br&ur { 3 y#n=y™ ô‰s% $tB žwÎ) Èû÷ütG÷zW{$# šú÷üt/ (#qãèyJôfs? [النساء: ٢٣] .

على بعض أعمام خير البشر ... ، الذي عادى النبي ... وآذاه وحارب دعوته حتى مات على الكفر – وهو أبو لهب – وقد أنزل الله تعالى في التشنيع عليه سورة تتلى إلى يوم القيامة ، فسبحانه من إله عليم حكيم .

٢ – أن من تكرر منه شرب الخمر مع إقامة الحد عليه في كل مرة يدل على تمرده واستيلاء الشيطان عليه فينبغي تعزيره تعزيراً بليغاً ، وقد جاء في بعض الأحاديث أنه يقتل كما في الحديث الثاني هنا ، وورد في أحاديث أخرى أنه يقتل بعد الرابعة ، لكن ذهب بعض أهل العلم إلى أن القتل منسوخ وإلى أن من تكرر منه شرب الخمر يعزر بتعزير رادع .

٣ – أنه لا يجوز أن يجمع الرجل بين زوجتين أختين ، كما قال تعالى :

} br&ur (#qãèyJôfs? üt/ûšú zW{$#ûütGûÈû žwÎ) $tB ô‰s% y#n=y™ 3 { [النساء: ٢٣] .

* * *

الدرس السابع والثمانون

قصة إسلام رجل توفي بعد إسلامه مباشرة

١٣٣ – عن جرير بن عبدالله – رضي الله عنه – قال : خرجنا مع رسول الله ... فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا ، فقال رسول الله ... : كأن هذا الراكب إياكم يريد . قال : فانتهى الرجل إلينا فسلم فرددنا عليه، فقال له النبي ... : من أين أقبلت ؟ قال من أهلي وولدي وعشيرتي . قال : فأين تريد ؟ قال أريد رسول الله ... . قال : فقد أصبته[١] . قال : يا رسول الله علمني ما الإيمان . قال : تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت . قال : قد أقررت ، قال: ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جرذان[٢]، فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات ، فقال رسول الله ... : علي بالرجل . قال فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة ، فاقعداه ، فقالا : يا رسول الله قبض الرجل . قال فاعرض عنهما رسول الله ... ، ثم قال لهما رسول الله ... : أما رأيتما إعراضي عن الرجل ؟ فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة ، فعلمت أنه مات جائعاً . ثم قال رسول الله ... هذا والله من الذين قال الله عز وجل :

{ (#ûqÝ¡Î6ù=tƒ óOs9ur (#qãZtB#uä tûïÏ%©!$# Nèdur ß`øBF{$# ãNßgs9 y7Í´¯»s9'ré& AOù=Ýàß/ OßguZ»yJƒÎ) ÇÑËÈ tbrß‰tGôg–B } [الأنعام: ٨٢] .

قال : ثم قال : ﴿ دونكم أخاكم ﴾ قال : فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر قال فجاء رسول الله ... حتى جلس على شفير القبر. قال فقال: ﴿ ألحدوا ولا تشقوا فإن اللحد لنا والشق لغيرنا ﴾[٣].

---

(١) أي أنك وجدت الذي تريد ، وهو النبي ... .

(٢) أي في جحر جرذان .

(٣) رواه ابن إسحاق في السيرة ص٢٧١، ٢٧٢ ، والإمام أحمد ٣٥٩/٤ من طريقين في كل منهما ضعف عن زاذان ، عن جرير ، فهو حسن لغيره .

الفوائد والعبر :

١ – أن التوحيد هو أفضل الأعمال ، وهو مفتاح الجنة .
٢ – عظم كرم الله تعالى ، ومن ذلك أنه يثيب على العمل اليسير بالجزاء العظيم .
٣ – أن الأعمال بالخواتيم .
٤ – أن الواجب على العبد البحث عن الخير وأسباب النجاة وفعل الأسباب الموصلة إليها ، لأن حجة الله على عباده قائمة بإرسال الرسل .
٥ – أن الأخوة الإيمانية تحصل بمجرد الدخول في الإسلام ، دون نظر إلى نسب أو بلد .
٦ – أنه ليس بين الإنسان وبين أن يلاقي نتيجة عمله إلا أن تخرج روحه من جسده .
٧ – أنه يحرم التشبه بالكفار وتقليدهم في أي شيء من عاداتهم التي اختصوا بها ، ومن ذلك ما يتعلق بتشييع الجنائز ودفنها .

* * *

الدرس الثامن والثمانون
خبر إسلام قبيلة من قبائل المشركين

١٣٤ – عن عمران بن حصين – رضي الله عنهما – قال: كنا في سفر مع النبي ... ، وإنا أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ، ولا وقعة أحلى عند المسافر منها ، فما أيقظنا إلا حر الشمس، وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان ثم عمر بن الخطاب الرابع ، وكان النبي ... إذا نام لا يوقَظ حتى يستيقظ لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه[١] .
فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس – وكان رجلاً جليداً[٢] – كبَّر ورفع صوته بالتكبير، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي ...، فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم ، قال : « لا ضير – أو لا يضير[٣] – ارتحلوا » . فارتحل ، فسار غير بعيد ، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ، ونودي بالصلاة[٤] فصلى بالناس ، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم ، فقال : ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم ؟ قال : أصابتني جنابة ولا ماء . قال : عليك بالصعيد فإنه يكفيك.
فسار النبي ... فاشتكى إليه الناس من العطش ، فنزل فدعا فلاناً ، ودعا علياً ، فقال : « اذهبا فابتغيا الماء » ، فانطلقا فتلقَّيا امرأة بين مزادتين – أو سطيحتين[٥] – من ماء على بعير لها فقالا لها : أين الماء ؟ قالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خلوف[٦] قالا لها : انطلقي إذاً . قالت إلى

---

(١) أي لا يدرون ما يحدث له من الوحي ، كانوا يخشون أنه ... يوحى إليه في هذا الوقت ، فيقطعون الوحي .
(٢) أي صلباً .
(٣) المعنى لا يضر .
(٤) أي أُذّن لها .
(٥) المزادة قربة كبيرة وهي من جلد ، يزاد فيها جلد من غيرها ، وهي السطحية ، وتسمى أيضاً : الراوية . و « أو » هنا شك من أحد الرواة في لفظة الرواية .
(٦) المعنى : أن رجال قومها تخلفوا لطلب الماء .

أين ؟ قالا : إلى رسول الله ... . قالت : الذي يقال له الصابئ[١] . قالا : هو الذي تعنين ، فانطلقي . فجاءا بها إلى النبي ... وحدثاه الحديث . قال : فاستنزلوها عن بعيرها، ودعا النبي ... بإناء ففرغ فيه من أفواه المزادتين – أو السطيحتين – وأوكأ أفواههما وأطلق العزالى ، ونودي في الناس : اسقوا واستقوا[٢]. فسقى من شاء واستقى من شاء ، وكان آخر ذاك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء قال : « اذهب فأفرغه عليك » ، وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها . وأيم الله لقد أقلع عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملاة منها حين ابتدأ فيها. فقال ...: « اجمعوا لها »، فجمعوا لها – من بين عجوة[٣] ودقيقة وسويقة – حتى جمعوا لها طعاماً، فجعلوها في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها ، قال لها : « تعلمين ما رزئنا من مائك شيئاً[٤] ، ولكن الله هو الذي أسقانا » فأتت أهلها وقد احتبست عنهم[٥] . قالوا : ما حبسك يا فلانة ؟ قالت العجب، لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابئ ، ففعل كذا وكذا ، فوالله إنه لأسحر الناس من بين هذه وهذه – وقالت بإصبعيها الوسطى والسبابة فرفعتهما إلى السماء – تعني السماء والأرض – أو إنه لرسول الله حقاً . فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذي هي منه[٦] ، فقالت يوماً لقومها : ما أرى أن هؤلاء القوم يدَعونكم عمداً ، فهل لكم في الإسلام ؟ فأطاعوها ، فدخلوا في

---

(١) أي المائل الذي خرج من دين إلى غيره .
(٢) المعنى : أنه أفرغ في الإناء من ماء المزادتين ، ثم تمضمض فيه النبي ... ، وفي الرواية الأخرى ثم أعيد الماء في المزادتين . ثم ربط أفواههما وفتحت الفتحتين الكبيرتين في أسفل المزادتين ، واللتان تسميان « العزلاوين » ، وأمر المسلمين بالاستقاء ، وذلك بأن يشربوا هم ويسقوا ما معهم من الدواب .
(٣) العجوة : نوع من التمر .
(٤) أي ما نقصناه .
(٥) أي تأخرت عليهم .
(٦) الصرم : الأبياتِ المجتمعة وينظر شرح عبارات وألفاظ هذا الحديث السابقة في شرح مسلم للنووي ١٩٠/٥ – ١٩٢ ، فتح الباري لابن حجر ٤٤٩/١ – ٤٥٣ .

الإسلام . رواه البخاري ومسلم[1] .

الفوائد والعبر :

١ – أن القلم مرفوع عن النائم حتى يستيقظ .
٢ – أن التيمم يطهر من الحدث الأكبر عند فقد المسلم الماء أو عدم قدرته على استعماله ، فيشرع له أن يتيمم كما يتيمم المحدث حدثاً أصغر، فيضرب الأرض بكفيه ، ثم يمسح بهما وجهه وظهور كفيه .
٣ – من أساليب الكفار والمنافقين في الصد عن الإسلام وعن الاستقامة عليه عيب المؤمنين ، فهذا خير الخلق ... لقِّب « الصابئ » ، ولقب بغير ذلك كالساحر والكاهن وغيرهما .
٤ – أن المتطهر بالتيمم تنتقض طهارته بوجود الماء وقدرته على استعماله ، فيجب عليه أن يتطهر بالماء .
٥ – في هذا الحديث بيان لمعجزة من معجزات نبينا محمد ... ودليل من دلائل نبوته .
٦ – أن حسن التعامل وحسن الخلق من أعظم وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، ومن أسباب دخول الكفار في الإسلام ، وفي المقابل فإن سوء التعامل وسوء الخلق من بعض المسلمين من أسباب الصد عن دين الله تعالى ، ولهذا فإنه يخشى على بعض المسلمين الذين يذهبون إلى بلاد الكفار لمعصية الله فيها ويصدر منهم أعمال لا تليق بالمسلمين يخشى أن يكون عليهم مثل أوزار من صدوهم عن دخول الإسلام بسوء أعمالهم وأخلاقهم .

* * *

(١) صحيح البخاري (٣٤٤) ، وصحيح مسلم (٦٨٢) ، واللفظ للبخاري .

الدرس التاسع والثمانون

أخبار إسلام بني جذيمة وعبادة الضبي

١٣٥ – عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : بعث النبي ... خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا[١] ، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره . فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره ، حتى قدمنا على النبي ... فذكرناه له ، فرفع النبي ... يديه ، فقال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » ، مرتين . رواه البخاري[٢] .

١٣٦ – وعن حميد بن هلال ، عن عبادة بن قرض الضبي – رضي الله عنه – أنه جاء يغزو حتى بلغ قريباً من الأهواز فسمع أذاناً فلما جاء إليهم فرأوه ، قالوا : ما جاء بك يا عدو الله ؟ قال : ما أنتم بإخوتي[٣] ؟ قالوا : أنت أخو الشيطان ، قالوا : لنقتلنك . قال : أما ترضون مني ما رضي به مني رسول الله ... ؟ قالوا : وما رضي منك ؟ قال : أتيته وأنا كافر ، فشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فخلى سبيلي . فقتلوه[٤] .

الفوائد والعبر :

(١) الصابئ في الأصل هو من ترك دينه وتحول إلى دين آخر ، ولذلك كان المشركون يسمون النبي ... « صابئاً » يلمزونه بذلك ، لأنه ترك دين قريش إلى دين الإسلام .

(٢) صحيح البخاري (٤٣٣٩) .

(٣) أي ألستم بأخوتي في ا÷ ، لأنه مسلم ، وهم مسلمون . وكانوا من فرقة الخوارج الذين يقتلون من لم يكن على طريقتهم ، ويعتبرونه كافراً .

(٤) رواه ابن قانع (١١٩٣) وإسناده صحيح .

١ – أن خطأ الأمير والقائد معفو عنه ، فلا يقتص منه إذا أخطأ في اجتهاده .

٢ – ضلال الخوارج ، حيث أنهم يحاربون كل من لم يكن على طريقتهم الخاطئة ، ويكفرونهم ، ويقتلون من استطاعوا قتله منهم ، ومن أعظم أسباب ضلالهم الاعتداد بالرأي مع قلة العلم ، ولهذا يحرم على الناشئة وصغار طلاب العلم أن يخوضوا في مسائل الاجتهاد ، كمسائل التكفير ، وغيرها ، ولا يجوز أن يتكلم في هذه المسائل إلا العلماء الذين بلغوا رتبة الاجتهاد .

٣ – أن من شهد شهادة الحق فقد عصم ماله ودمه إلا بحق الإسلام ، فلا يجوز قتله ولا التعرض له بأي أذى في جسده أو عرضه أو ماله .

* * *

الدرس التسعون

قصة إسلام أحد المشركين في المعركة لما علاه المسلم بالسيف

١٣٧ – عن صفوان بن محرز ؛ أنه حدث ؛ أن جندب بن عبدالله البجلي – رضي الله عنه – بعث إلى عسعس بن سلامة ، زمن فتنة ابن الزبير ، فقال : اجمع لي نفراً من إخوانك حتى أحدثهم[١] ، فبعث رسولاً إليهم . فلما اجتمعوا جاء جندب وعليه برنس أصفر . فقال : تحدثوا بما كنتم تحدثون به . حتى دار الحديث . فلما دار الحديث إليه حسر البرنس[٢] عن رأسه . فقال : إني أتيتكم ولا أريد أن أخبركم عن نبيكم[٣] . إن رسول الله ... بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين . وإنهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله . وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته . قال وكنا نحَدَّث أنه أسامة بن زيد . فلما رفع عليه السيف قال : لا إله إلا الله ، فقتله . فجاء البشير إلى النبي ... فسأله ، فأخبره . حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع . فدعاه . فسأله . فقال « لم قتلته ؟ » قال : يا رسول الله أوجع في المسلمين . وقتل فلاناً وفلاناً . وسمى له نفراً . وإني حملت عليه . فلما رأى السيف قال : لا إله إلا الله . قال رسول الله ... « أقتلته ؟ » قال : نعم قال « فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ »[٤] قال : يا رسول الله ! استغفر لي. قال « وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ » قال فجعل لا يزيده على أن يقول « كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ » رواه

---

(١) فجندب – رضي ا÷ عنه – أرسل في وقت الخلاف بين ابن الزبير وبني أمية إلى هؤلاء الشباب ليعظهم ويحذرهم مما يخشى عليهم الوقوع فيه .

(٢) حسر : كشف . والبرنس : كل ثوب رأسه ملتصق به ، سواء أكان دراعة أم جبة أم غيرهما .

(٣) « لا » في هذه الجملة زائدة . أو المعنى : كنت أتيت وأنا لا أريد أن أحدثكم بحديث مرفوع ، ثم بدا لي أن أحدثكم بذلك . شرح مسلم للنووي ١٠٥/٢ .

(٤) أي بماذا تحتج إذا قيل لك : كيف قتلت من قال : لا إله إلا ا÷ ، وقد حصلت لدمه حرمة الإسلام ؟ . المفهم ٢٩٧/١ .

مسلم[١] .

الفوائد والعبر :

١ – أنه ينبغي تحذير الناس من الوقوع في الشرور التي يخشى من وقوعهم فيها ، كل بحسبه ، ولا ينبغي أن ينتظر حتى يقعوا فيها ثم يناصحوا ، فالوقاية خير من العلاج .

٢ – حرص الصحابة على الدعوة إلى الله تعالى ، ومناصحة من يخشى عليه أن يقع في شيء من المخالفات في الاعتقاد أو في العمل ، ولهذا حرص جندب – رضي الله عنه – على مناصحة هؤلاء الشباب ، كأنه خشي أن يذهبوا إلى رأي الخوارج وعقيدتهم ، أو خشي أن يشتركوا في القتال بين المسلمين في هذه الفتنة التي وقعت بين ابن الزبير وبين بني أميه .

٣ – أن من أظهر علانية حسنة وجب قبولها، وتوكل سريرته إلى الذي يعلم السرائر – جل وعلا – حتى ولو كانت هناك قرائن تخالف ما أظهره .

٤ – غلظ تحريم قتل النفس المسلمة بغير حق ، ولو كان القاتل متأولاً ، ويظن أنه على حق .

---

(١) صحيح مسلم (٩٧) . وله شاهد من حديث أسامة عند البخاري (٤٢٦٩) ، ومسلم (٩٦) .

الدرس الحادي والتسعون

خبر إسلام تميم الداري وقصة الجساسة

١٣٨ – عن عامر بن شراحيل الشعبي ، شعب همدان ؛ أنه سأل فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس . وكانت من المهاجرات الأول . فقال : حدثيني حديثاً سمعتيه من رسول الله ... . لا تسنديه إلى أحد غيره . فقالت : لئن شئت لأفعلن . فقال لها : أجل . حدثيني . فقالت : نكحت ابن المغيرة. وهو من خيار شباب قريش يومئذ . فأصيب في أول الجهاد[١] مع رسول الله ... . فلما تأيمتُ[٢] خطبني عبدالرحمن بن عوف ، في نفر من أصحاب رسول الله .... وخطبني رسول الله ... على مولاه أسامة بن زيد. وكنت قد حدثت ؛ أن رسول الله ... قال « من أحبني فليحب أسامة » ، فلما كلمني رسول الله ... قلت : أمري بيدك . فأنكحني من شئت . فقال « انتقلي إلى أم شريك »[٣] وأم شريك امرأة غنية ، من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ، ينزل عليها الضيفان . فقلت : سأفعل . فقال « لا تفعلي . إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان . فإني أكره أن يسقط عنك خمارك ، أو ينكشف الثوب عن ساقيك ، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين . ولكن انتقلي إلى ابن عمك ، عبدالله بن عمرو ابن أم مكتوم » ، فانتقلت إليه. فلما انقضت عدتي سمعتُ نداء المنادي، منادي رسول الله ... ، ينادي : الصلاة جامعة . فخرجت إلى المسجد . فصليت مع رسول الله ... . فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم . فلما قضى رسول الله ... صلاته ، جلس على المنبر وهو يضحك . فقال « ليلزم كل إنسان مصلاه ». ثم قال « أتدرون لم جمعتكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم .

---

(١) أي أصيب بجراحة ، وأرادت بهذا ذكر بعض مناقبه – رضي ا÷ عنه – .
(٢) الأيِّم : من لا زوج لها ، وكان ذلك بعد طلاق أبي عمرو بن حفص بن المغيرة لها .
(٣) وكان قوله ... هذا لها بعد طلاقها في وقت عدتها قبل أن يتقدم إليها الخطاب ، ففي الكلام تقديم وتأخير ، وكان رسول ا÷ ... قال لها في وقت عدتها « لا تسبقيني بنفسك » كما هو مبين في رواية مسلم الأخرى (١٤٨٠) .

قال « إني ، والله ! ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة . ولكن جمعتكم ، لأن تميماً الداري ، كان رجلاً نصرانيًّا، فجاء فبايع وأسلم . وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال . حدثني ؛ أنه ركب في سفينة بحرية ، مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام . فلعب بهم الموج شهراً في البحر . ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر[١] حتى مغرب الشمس . فجلسوا في أقرب السفينة[٢] . فدخلوا الجزيرة. فلقيتهم دابة أهلب[٣] كثير الشعر. لا يدرون ما قبله من دبره . من كثرة الشعر . فقالوا : ويلك ! ما أنت ؟ قالت : أنا الجساسة . قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم ! انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير[٤] . فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال : لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها[٥] أن تكون شيطانة . قال فانطلقنا سراعاً . حتى دخلنا الدير . فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً . وأشده وثاقاً . مجموعة يداه إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه ، بالحديد . قلنا : ويلك ! ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبري[٦] . فأخبروني ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب – وأخبروه بخبرهم – فقال : أخبروني عن نخل بيسان[٧] . قلنا :

---

(١) أي التجؤا إليها ، فقربوا السفينة إلى مرفأ الجزيرة ، وهي الميناء .
(٢) وهو سفينة صغيرة تكون بجانب السفينة الكبيرة ، يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حاجياتهم ، كارتواء الماء والوصول إلى البر ونحو ذلك .
(٣) الأهلب : غليظ الشعر وكثيره .
(٤) الدير : أصله لغة في الدَّار ، ثم اشتهر إطلاقه بعد ذلك على الدار التي يتعبد فيها رهبان اليهود والنصارى ، وبالأخص إذا كانت في الصحاري والجبال ، كما في معجم البلدان (مادة : دير) ، والظاهر أن المراد هنا : الدار .
(٥) أي خفنا منها .
(٦) أي أنكم ستعرفون خبري .
(٧) بيسان : مدينه من مدن فلسطين ، تبعد عن بيت المقدس ١٢٧ كم ، وتبعد عن نابلس ٣٦ كم ، وعن جنين ٣٣ كم ، وقد احتلها اليهود عام ١٩٤٨م وطردوا سكانها العرب ، وهدموها ، ثم أعادوا بناءها ، ووطنوا مئات العائلات اليهودية فيها . ينظر : معجم بلدان فلسطين لمحمد شراب ص٢١٧، ٢١٨ ، وقال في معجم البلدان ٥٢٧/١ : « بَيْسان : مدينة بالأردن بالغور الشامي ، بين حوران وفلسطين ، وتوصف بكثرة النخل ، وقد رأيتها مراراً فلم أر فيها غير نخلتين حائلتين ، وهو من علامات خروج الدجال ، وهي بلدة وبئة حارة ، أهلها سمر
=

عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها ، هل يثمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما إنه يوشك أن لا تثمر . قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية[١] . قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هي كثيرة الماء . قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب . قال : أخبروني عن عين زغر[٢] . قالوا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم . هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها . قال : أخبروني عن نبي الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب . قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم . قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه . قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم . قال : أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه . وإني مخبركم عني : إني أنا المسيح ، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج ، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان علي كلتاهما . كلما أردت أن أدخل واحدة ، أو واحداً منهما ، استقبلني ملك بيده السيف صلتاً[٣] ، يصدني عنها ؛ وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها[٤] . قالت : قال رسول الله ... ، وطعن بمخصرته[٥] في المنبر : « هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة »

الألوان جعد الشعور لشدة الحر الذي عندهم » .

(١) هذه البحيرة جزء من مجرى نهر الأردن ، وهي قريبة جداً من جبال الجولان التي احتلها اليهود عام ١٣٨٧هـ ، وقيل : إن هذه البحيرة هي مكان قرية قوم لوط ، ويقع بقرب هذه البحيرة مدينة طبرية التي ينسب إليها الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة ، وغيره ، وتبعد هذه المدينة ٢٠ كم عن مصب نهر الأردن في بحيرة

= طبرية ، وقد احتلها اليهود عام ١٩٤٨م ، وأجلوا سكانها من المسلمين . ينظر : الأنساب للسمعاني ٤٢/٤ ، معجم بلدان فلسطين ص٤٩٩ .

(٢) وهي عين تقع على شاطئ البحر الميت الجنوبي الشرقي . ينظر : معجم بلدان فلسطين ص٤٣١ .

(٣) أي مسلولا .

(٤) النقب الطريق .

(٥) المخصرة : ما يمسكه الإنسان بيده من عصا أو عكازة أو مقرعة أو قضيب ، =

يعني المدينة « ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ » فقال الناس : نعم . قال : « فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن . لا بل من قبل المشرق ، ما هو من قبل المشرق ، ما هو . من قبل المشرق ، ماهو »[١] ، وأومأ بيده إلى المشرق . قالت : فحفظت هذا من رسول الله ... . رواه مسلم[٢] .

الفوائد والعبر :

١ – محبة نساء الصحابة لرسول الله ... ، وتقديمهن لمحبوباته على محبوباتهن .
٢ – كرم نساء الصحابة – رضي الله عنهن – .
٣ – أنه يجب على المرأة أن تستر جميع جسدها عن الرجال الأجانب منها ، بما في ذلك الوجه والساقين .
٤ – حرص النبي ... على مصلحة أمته ، حيث حذرها من كل ما فيه ضرر عليها ، ومن ذلك أنه حذرها المسيح الدجال ، وبين لها أوصافه لتعرفه فتحذره .
٥ – بيان ضعف المسيح الدجال ، وأنه الآن موجود موثق ، وأن له وقتاً محدداً سيخرج فيه ، وأن الله يمتحن به الناس .
٦ – حماية الله لمكة والمدينة .
٧ – أنه ينبغي للداعية استغلال كل أمر أو حدث يؤيد أو يصدق ما يدعو إليه من الحق ، ولو كان الحق الذي يدعو إليه واضحاً ، لما يرجى في ذلك من سرعة استجابة المدعوِّين وتقوية إيمانهم .

*   *   *

وقد يتكئ عليها .
(١) قال القاضي عياض : « ليس (ما) هنا للنفي ، لأنه ... إنما يريد إثبات كونه من جهة الشرق ، و(ما) هنا زائدة لصلة الكلام » .
(٢) صحيح مسلم : الفتن (٢٩٤٢) . وينظر في شرح هذا الحديث : إكمال المعلم ٤٩٧/٨ – ٥٠٢ ، المفهم ٢٩٤/٧ – ٣٠٠ ، شرح النووي ٧٨/١٨ – ٨٤ .

الدرس الثاني والتسعون

قصة إسلام المرأة السوداء صاحبة الوشاح[١]

١٤١ – عن عائشة – رضي الله عنها – أن امرأة سوداء كان لها حفش في المسجد[٢] ، قالت عائشة : فكانت تأتينا فتحدث عندنا ، فإذا فرغت من حديثها قالت :

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا   أَلاَ إنه من بلدة الكفر أنجاني

فلما أكثَرَتْ قالت لها عائشة : وما يوم الوشاح ؟ . قالت : كنتُ مملوكة لحي من العرب ، فأعتقوني ، فخرجت جويرية لبعض أهلي ، وعليها وشاح من أدم ، فسقط منها ، فانحطت عليها الحُدَيَّا ، وهي تحسبه لحماً[٣] ، فأخذته ، فاتهموني به ، فعذبوني ، حتى بلغ من أمري أنهم طلبوا في قبلي[٤] ، فبيناهم حولي ، وأنا في كربي[٥] ، إذ أقبلت الحديا حتى وازت برؤوسنا ، ثم ألقته ، فأخذوه ، فقلت لهم : هذا الذي اتهمتموني به ، وأنا منه بريئة . قالت عائشة : فجاءت إلى رسول الله ... فأسلمت . رواه البخاري[٦] .

الفوائد والعبر :

١ – جواز المبيت والمقيل في المسجد عند الحاجة للرجال ، وكذلك

---

(١) الوشاح بكسر الواو ، ويجوز ضمها : خيط من لؤلؤ ، وكانت خيوط الوشاح المذكور هنا من جلد أحمر .
(٢) الحفش: البيت الصغير ، والمراد به هنا خيمة صغيرة . ينظر : الفتح ١/٥٣٤ ، ٥٣٥ .
(٣) أي أن الحديا – وهي طائر معروف – نزلت إلى هذا الوشاح تحسبه لحماً ، فأمسكته ، وطارت به .
(٤) القبل : الفرج .
(٥) أي أنها لا تزال في شدة وهم وغم بسبب هذه التهمة .
(٦) صحيح البخاري (٤٣٩) ، و (٣٦٢٣) .

للنساء إذا أمنت الفتنة ، وأمن تلويث المسجد ، وقد أخذ بعض العلماء من هذا الحديث جواز دخول الحائض المسجد إذا أمنت تلويثه[(١)] .

٢ – في هذا الخبر ذكر لحادثة من الحوادث الكثيرة التي ظهر فيها ظلم أهل الجاهلية للمستضعفين .

٣ – أنه لا يجوز اتهام أو تعزير من لا شبهة حوله عند وقوع جريمة لا يعرف صاحبها .

واتهام من لا شبهة حوله من الضعفاء من أعمال الجاهلية التي حرمها الإسلام ، وكثير من الفساق يقوم باتهام بعض أهل الخير والصلاح بما هم برآء منه إما ليبرِّأ نفسه من التهمة ، أو لكره وحقد في نفسه عليهم ، كما يحصل في كثير من الأحيان من اتهامهم للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وكثيراً ما يتناقل بعض العامة الجهال المغَرَّر بهم أو بعض الحاقدين هذه التهم وقد يقومون بإيذاء من اتهم بها من أهل الخير والصلاح . وقريب من هذا ما حصل لجريج العابد، فقد روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ... قال : كان من بني إسرائيل رجل عابد يقال له جريج ، فابتنى صومعه[(٢)] ، وتعبَّد فيها ، قال : فذكر بنو إسرائيل يوماً عبادة جريج ، فقالت بغي[(٣)] منهم : لئن شئتم لأصيبنه[(٤)] ، قالوا : قد شئنا[(٥)] ، قال : فأتته فتعرضت له ، فلم يلتفت إليها ، فأمكنت نفسها من راع كان يؤوي غنمه إلى أصل صومعة جريج[(٦)] ، فحملت فولدت غلاماً ، فقالوا ممن ؟ قالت : من جريج[(٧)] ، فأتوه

(١) ينظر : المحلى ١٨٦/٢ ، الفتح ٥٣٥/١ .
(٢) الصومعة : بناية كالمنارة ينقطع فيها عباد النصارى للعبادة ، وكانت عادة بعيدة من العمران ، لينقطعوا عن الناس ، وتسمى : الدير .
(٣) وهي المرأة المشهورة بالزنا . وفي رواية : « وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها » ، أي يُضرب المثل بجمالها ، لانفرادها به .
(٤) وفي رواية : « لأفتننه » ، والمراد : أن تجعله يقع في المعصية .
(٥) وهذا يدل على خبثهم .
(٦) أي أنها جعلت هذا الراعي يزني بها .
(٧) المعنى أنها اتهمت جريجاً بأنه الذي زنا بها حتى حملت .

فاستنزلوه[١] فشتموه وضربوه وهدموا صومعته ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : إنك زنيت بهذه البغي فولدت غلاماً ، قال : وأين هو ؟ قالوا : ها هو ذا . قال : فقام فصلى ودعا ثم انصرف إلى الغلام فطعنه بإصبعه وقال : بالله يا غلام مَن أبوك ؟[٢] ، قال : أنا ابن الراعي . فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه ، وقالوا : نبني صومعتك من ذهب ، قال : لا حاجة لي في ذلك ، ابنوها من طين كما كانت[٣] .

٤ – أن من أهم القواعد والأحكام الشرعية : وجوب العدل وتحريم الظلم ، فالناس قويهم وضعيفهم غنيهم وفقيرهم سواسية ، يجب العدل بينهم ، ويحرم أذى أي منهم بغير وجه حق .

وهذه الميزة العظيمة والقاعدة الشرعية الكبرى التي تميز بها دين الله الحق عن الأديان المحرفة والأنظمة الوضعية جعلت كثيراً من الناس يدخلون في دين الإسلام ، كما في قصة هذه المرأة ، وقد دخل أناس كثيرون بل قرى بأكملها في الهند وغيرها في الإسلام في هذا العصر لما رأوا من عدل الإسلام وظلم الأديان المحرفة والأنظمة البشرية ، كالبوذية والرأسمالية وغيرهما .

٥ – أن الله تعالى قد يظهر براءة المظلوم ولو كان كافراً ، كما حصل لهذه المرأة ، وقد سبق ذكر قصة جريج العابد ، وما حصل من نطق الطفل الرضيع ببراءته .

٦ – أن بعض المشاكل والمصائب التي تقع على بعض الناس قد تكون سبب حصول خير كثير لهم ، كما حصل لهذه المرأة ، وقد قال الله تعالى :

ª!$# Ÿ@yèøgs†ur $Z«ø‹x© (#qèdu•õ3s? br& #Ó|¤yèsù }
. [النساء : ١٩] { ÇÊÒÈ #[Ž•ÏWŸ2 #[Žö•yz ÏmŠÏù

---

(١) أي طلبوا منه أن ينزل من صومعته ، وكانت صومعة مرتفعة لا ينزل منها إلا بحبل .

(٢) سماه أبا مجازاً ، لأن الزاني ليس بأب للولد حقيقة ، ولعله كان في شرعهم يلحق به .

(٣) رواه – كما سبق – الإمام أحمد ٣٠٧/٢ ، ٣٠٨ ، واللفظ له ، والبخاري (٣٤٣٦) ، ومسلم (٢٥٥٠) ، وإسناد الإمام أحمد صحيح .

الدرس الثالث والتسعون

قصة إسلام الهرمزان[١] – أحد أمراء الفرس –

١٣٩ – عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : بعث معي أبو موسى بالهرمزان إلى عمر بن الخطاب ، وكان نزل على حكمه[٢] ، قال : فلما قدمت به ، قال : فجعل عمر يكلمه ، فجعل لا يرجع إليه الهرمزان الكلام[٣] ، قال : فقال له : تكلم . فقال : أكلام حي أم كلام ميت ؟ قال : تكلم ، لا بأس ، قال : كنا وأنتم يا معشر العرب – ما خلاَّ الله بيننا وبينكم – نستعبدكم ، ونقصيكم ، فلما كان الله معكم لم يكن لنا بكم تدان . قال : فقال عمر : ما تقول يا أنس ؟ قلت : يا أمير المؤمنين تركت خلفي شوكه شديدة وعدداً كثيراً إن قتلته أيس القوم من الحياة وكان أشد لشوكتهم ، وإن استحييته طمع القوم[٤] ، فقال عمر : يا أنس أَستحيي قاتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور ، قال أنس : ثم كأن عمر أراد قتله ، قال : فقلت : ليس إلى قتله سبيل ، قد قلتَ له : (تكلم ، فلا بأس) ، فقال : لَتَأْتِيَنَّ معك بشاهد آخر أو لأبدأنَّ بعقوبتك . قال : فخرجت من عنده ، فلقيت الزبير بن العوام ، فوجدته قد حفظ مثل ما حفظت . قال : فأتاه ، فشهد عَلَى مثل الذي شهدت به ، فتركه ، فأسلم ، وفَرَضَ له[٥] .

---

(١) الهرمزان وإن لم يكن صحابياً لكن أصحاب الكتب المؤلفة في الصحابة يذكرون المخضرمين ضمن كتب الصحابة فتبعتهم في ذلك .

(٢) وذلك أن المسلمين لما حاصروا الهرمزان بمدينة تستر لم يستلسم حتى صالحهم على أن عمر هو الذي يحكم في أمره كما في رواية مطولة عند ابن أبي شيبة (١٥٦٦٠) .

(٣) أي أن الهرمزان لم يكلم عمر لما كلمه .

(٤) أي أن بقية جيوش الفرس إن علموا أن الهرمزان لم يقتل طمعوا في عفو المسلمين فاستسلموا ، وإن علموا أنه قتل قاتلوا لئلا يقتلوا مثله .

(٥) أي أعطاه مالاً من بيت مال المسلمين ، وجعله مستمراً له في كل عام .

والأثر أخرجه الشافعي في مسنده ص٣١٧ ، وابن أبي شيبة في الجهاد (١٥٢٤٩) ، وفي التاريخ (١٥٦٦١) ، وأبو عبيد في الأموال (٣٠٤، ٣٠٥) ، وسعيد بن منصور في باب قتل الأسارى (٢٦٧٠) ، والقاضي إسماعيل بن

=

١٤٠ – وعن جبير بن حية – رحمه الله – قال : بعث عمر الناس في أفناء الأمصار[١] يقاتلون المشركين ، فأسلم الهرمزان ، فقال : إني مستشيرك في مغازي[٢] هذه . قال : نعم ، مثلها ومثل من فيها من الناس من عدوٍّ للمسلمين مثل طائر له رأس وله جناحان وله رجلان ، فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس فإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس . وإن شدخ الرأس ذهبت الرجلان والجناحان والرأس . فالرأس كسرى والجناح قيصر والجناح الآخر فارس[٣] . فمُرِ المسلمين فلينفروا إلى كسرى . وقال جبير بن حية : فندبنا عمر . واستعمل علينا النعمان بن مقرن . حتى إذا كنا بأرض العدو ، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً، فقام ترجمان ، فقال : ليكلمني رجل منكم . فقال المغيرة : سل عما شئت . قال : ما أنتم ؟ قال : نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد . نمص الجلد والنوى من الجوع . ونلبس الوبر[٤] والشعر . ونعبد الشجر والحجر . فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين – تعالى ذكره وجلت عظمته – إلينا نبياً من

إسحاق ، وإسماعيل بن جعفر في فوائده كما في الفتح ٢٧٥/٦ ، والإصابة ٥٨٤/٣ ، ومن طريقهما الحافظ في التغليق ٤٨٤/٣ وإسناده صحيح . وقد صححه الحافظ في الفتح .

ورواه البخاري في صحيحه مختصراً في الجزية باب ١١ تعليقاً مجزوماً به .

(١) أي في مجموع البلاد الكبار ، والأفناء هو من الناس من لم تعين قبيلته ، والمصر : المدينة العظيمة .

(٢) في رواية ابن أبي شيبة كما في الفتح ٢٦٤/٦ « أن عمر شاور الهرمزان في فارس وأصبهان وأذربيجان » ، قال في الفتح : « أي بأيها يبدأ ، وهذا يشعر بأن المراد أنه استشاره في جهات مخصوصة ، والهرمزان كان من أهل تلك البلاد ، وكان أعلم بأحوالها من غيره ، وعلى هذا ففي قوله في حديث الباب : (فالرأس كسرى ، والجناج قيصر ، والجناح الآخر فارس) نظر ، وقد وقع عند الطبري : (فإن فارس اليوم رأس وجناحان) وهذا موافق لرواية ابن أبي شيبة ، وهو أولى ... » .

(٣) ينظر التعليق السابق .

(٤) الوبر : صوف الإبل .

أنفسنا نعرف أباه وأمه ، فأمرنا نبينا رسول ربنا ... أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده . أو تؤدوا الجزية . وأخبرنا نبينا ... عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط . ومن بقى منا ملك رقابكم . رواه البخاري[1] .

الفوائد والعبر :

١ – أن العرب كانوا أذلاء أمام أعدائهم قبل دخولهم في الإسلام ، وكان الفرس والروم يستعبدونهم ويحكمون كثيراً من بلدانهم بسبب شرك العرب وتفرقهم ، وكان الروم أحسن منهم ديناً وإن كان الجميع على ضلال .

٢ – أن العرب لما تمسكوا بالإسلام وطبقوا أحكامه في كل شؤونهم نصرهم الله تعالى على أعدائهم ، كما قال تعالى :

ôMÎm6s[ãƒur öNä.öŽÝÇZtƒ ©!$# (#rãŽÝÇZs? bÎ) }
ÇÐÈ ö/ä3tB#y‰ø%r& { [محمد: ٧] .

وفي المقابل لما ابتعد المسلمون عن دينهم واجترؤا على معاصي الله تعالى خلاّ بينهم وبين أعدائهم ، وفي هذا العصر لما تنكر كثير من المسلمين لدين الله تعالى وحاربوه سلط عليهم أعدائهم ، فتغلبوا عليهم واستذلوهم .

٣ – وجوب العدل حتى مع الأعداء ، قال الله تعالى :

žwr& #’n?tã BQöqs% ãb$t«sYx© öNà6¨ZtBÌ•ôftƒ Ÿwur }
{ (3“uqø)-G=Ï9 Ü>u•ø%r& uqèd (#qä9Ï‰ôã$# 4 ès?ﷲ(#qä9Ï‰
[المائدة: ٨] .

أي لا يحملنكم بغض قوم على عدم العدل فيهم ، بل اعدلوا فيهم .

٤ – أنه ينبغي استشارة أهل المعرفة والتجربة فيما لديهم خبرة أو تجربة فيه إذا رجى نصحهم .

٥ – فضل الله على هذه الأمة بإرسال هذا النبي الكريم الذي من أطاعه وسار على طريقته حصَّل سعادة وعز الدنيا والآخرة .

---

(١) صحيح البخاري (٣١٥٩) .

٦ – فضل الشهادة في سبيل الله .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

*　*　*

فهرس الموضوعات